بسم الله الرحمن الرحيم
Asharq Al-Awsat
The international daily newspaper of the Arabs
الشرق الأوسط
جريدة العرب الدولية
تصدر من لندن وتنقل بالأقمار الصناعية وتطبع في كل من: الظهران - الرياض - جدة - الدار البيضاء - القاهرة - مارسيليا - باريس - لندن - نيويورك (الصفحة الأولى رقم ١)
London - Wednesday, 5 July 1989 - Front Page No. 1 Vol. 12 No. 3872
الاربعاء ٢ ذو الحجة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩/٧/٥م - السنة الثانية عشرة - العدد ٣٨٧٢

اليوم

العملات
بالدولار الأمريكي: الاسترليني ١,٥٨٦٥. المارك ١,٩٢٢٠. الين ١٤١,٥٠. الفرنك الفرنسي ٦,٥٣٥٠. الريال السعودي ٣,٧٥٠٠. الدينار الكويتي ٠,٢٩٥٧.




الطقس
شمال أوروبا: ترتفع الحرارة وتقل الأمطار.
منطقة البحر المتوسط: حار جاف.
الجزيرة العربية: صيفي على جميع المناطق ومعتدل على المصايف.

يحدث
يبدأ وزير الخارجية التركي مسعود يلماظ اليوم زيارة رسمية للأردن يجري خلالها محادثات حول العلاقات الثنائية والوضع في المنطقة.

أسرارنا
دولة عربية تدرس اجراء تعديلات واسعة في وزارة الخارجية تشمل تغييرات في السلك الدبلوماسي.

البشير لـ الشرق الأوسط: سأحاكم نميري إذا عاد وسأقبض على المهدي خلال يومين

دعوة قرنق للحوار في الخرطوم ووضع تصور لديمقراطية بلا أحزاب

الخرطوم - لندن - القاهرة - «الشرق الأوسط» - من عثمان ميرغني ومحمد احمد هشام وكمال حامد وجمال عنايت:

اعلن الفريق عمر حسن احمد البشير، رئيس مجلس قيادة ثورة الانقاذ الوطني في السودان، في تصريح خاص لـ «الشرق الاوسط» انه يتوقع ان يسلم رئيس الوزراء السابق السيد الصادق المهدي نفسه للسلطات خلال يومين او يلقى القبض عليه. واكد ان السلطات الامنية تبحث عن رئيس الوزراء السابق.

ونفى الفريق البشير الانباء التي تحدثت عن اعتقال مبارك الفاضل المهدي وزير الداخلية السابق وابن عم السيد الصادق المهدي، قائلا إن مبارك مايزال هاربا.

وفي رده على سؤال حول الكيفية التي سيتعاملون بها مع موضوع الرئيس السابق جعفر نميري الموجود في مصر كلاجىء، قال الفريق البشير: «نحن نرحب بنميري في الخرطوم شخصا غير عادي وستقدمه لمحاكمة عادلة».

وأضاف انه ليست هنالك مبررات لتحرك من نميري ضد الحكم الجديد، مؤكداً أن نظامه لا يتخوف من أي تحرك.

وعن تشكيل مجلس الوزراء الجديد، قال الفريق البشير إنه لا يستطيع القول بان المشاورات قد بدأت لتشكيل الحكومة، مشيراً إلى انهم غير مستعجلين في ذلك.

وأضاف ان كل الذي تم حتى الآن في ما يتعلق بتشكيل الحكومة هو استطلاع لبعض الآراء خصوصا مع التجمع الوطني السابق، وذلك للتشاور حول شكل الحكومة فقط.

وكان الفريق البشير قد القى الضوء على ملامح خطته للحكم عندما اعلن في تصريحات منفصلة نقلتها اذاعة ام درمان انه ستتاح للشعب السوداني المشاركة في السلطة من خلال مؤسسات تتيح تمثيلا عريضا ولكنه بعيد عن الحزبية. وقال إن هنالك تصورا لم يكتمل بعد لهذه المشاركة وسيعلن عنه فور اكتماله.

واكد الفريق البشير على أن هذا التصور سيستهدف «ايجاد صيغة ديمقراطية بعيدة عن الحزبية لكي يقول الشعب رايه».

وكان رئيس مجلس قيادة ثورة الانقاذ قد اعلن مراراً منذ تسلمه السلطة يوم الجمعة الماضية انه لن يسمح ابدا بعودة حكم الأحزاب.

ورغم أنه لم يوضح تفاصيل تصوره للحكم، إلا أن مصادر سودانية مطلعة توقعت أن تتمثل هذه الصيغة في انشاء مجلس للشعب يكون التمثيل فيه للهيئات المهنية والمنظمات النقابية، كما قد يتاح في وقت لاحق تمثيل تيارات سياسية دون السماح بعودة الأحزاب.

وحول المساعي لاستئناف عملية السلام في جنوب السودان واجراء اتصالات مع حركة جون قرنق، قال الفريق البشير إنه لم يجر أي اتصال حتى الآن بين مجلس قيادة ثورة الانقاذ وحركة قرنق. ولكنه كشف عن أن بعض الجنوبيين في مجلس قيادة ثورة الانقاذ لديهم علاقات مع حركة قرنق وسيبدأون اتصالات مع الحركة خلال ايام.

ولكن الفريق البشير وجه الدعوة إلى العقيد قرنق للحضور إلى الخرطوم لاجراء محادثات لانهاء الحرب في الجنوب.

وأوضح البشير في تصريحات امس أن دعوة قرنق تهدف إلى اظهار حسن النوايا من جانب القيادة الجديدة واستعدادها للتعاون من أجل حل هذه المشكلة.

واضاف انه يرحب باجراء اية مفاوضات مع أي معارض شريطة أن يلقي السلاح.

وكان رئيس مجلس ثورة الانقاذ قد أعلن امس الأول أنه شكل لجنة من المجلس لوضع اعلان للسلام يوجه إلى حركة قرنق، مشيراً إلى أن التفاوض هو الطريق الأمثل لحل المشكلة وكل القضايا العالقة التي تعترض طريق وقف الحرب في الجنوب. وجدد كلامه حول عرض مسألة الشريعة على استفتاء شعبي اذا لم تحل بالمفاوضات.

وقال إن بعض قادة الميليشيات الحزبية من العسكريين السابقين سلموا أنفسهم، وأن حرس دار حزب «الأمة» في أم درمان وحرس منزل الصادق المهدي رموا أسلحتهم وهربوا بمجرد أن علموا بحدوث الانقلاب.

وأشار إلى أن من بين السياسيين الذين سلموا أنفسهم الدكتور علي حسن تاج الدين عضو مجلس رأس الدولة والسيد عبد الرسول النور حاكم اقليم كردفان الذي كان قد ضل طريقه في الصحراء أثناء محاولته الهرب قبل استسلامه.

وعلى صعيد آخر، استقبل الرئيس المصري حسني مبارك أمس وفد مجلس قيادة ثورة الانقاذ السودانية الذي ضم العميد التجاني آدم الطاهر والعميد فيصل علي أبو صالح والمقدم محمد أحمد.

وعقب المقابلة أعلن العميد فيصل علي ابو

(التتمة على ص ٢)

تسلمها الأمير عبد الله
رسالة للملك فهد من البشير

جدة - واس: استقبل نائب خادم الحرمين الشريفين الامير عبد الله بن عبد العزيز في مكتبه بالديوان الملكي بقصر السلام امس سفير السودان لدى السعودية السيد عيسى مصطفى الذي نقل رسالة لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز من الفريق اركان حرب عمر حسن احمد البشير رئيس مجلس قيادة ثورة الانقاذ الوطني في السودان.


البشير يتحدث في مقر قيادته في الخرطوم أمس.

الأمير سلطان يختتم زيارته لتونس بلقاء ثان مع عرفات

لندن - تونس «الشرق الأوسط» من رفقي الطيب:

اختتم الأمير سلطان بن عبد العزيز، النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء، وزير الدفاع والطيران والمفتش العام السعودي، زيارته الرسمية لتونس أمس، وأدلى بتصريح لدى مغادرته مطار قرطاج الدولي عائداً إلى جدة أوضح فيه انه أدى إلى تونس زيارة ود ومحبة ملاحظا أن الزيارات الرسمية هي للاجانب فقط وليست للعرب فيما بينهم وبالذات بين تونس والسعودية مبرزاً ما يجمع بين الشعبين والبلدين من مبادىء وتطلعات مشتركة.

واشاد الأمير سلطان بما حظي به والوفد المرافق له من حفاوة وكريم الاستقبال وحسن الضيافة، مؤكدا اتفاق الطرفين على أهداف ونوايا خيرة للأمة العربية والاسلامية.

وأعرب عن تفاؤله بتطور علاقات التعاون بين تونس والسعودية حيث قال: لقد فتحنا الأبواب على مصراعيها للتعاون وتبادل الخبرات والتجارب من خلال تبادل الطلاب والزيارات، ونأمل أن يتطور هذا التعاون باضطراد ليكون في كل يوم أفضل من سابقه.

وكان الأمير سلطان قد اجتمع للمرة الثانية قبيل سفره مع الرئيس الفلسطيني السيد ياسر عرفات.

(التتمة على ص ٢)

بوش يؤكد للعاهل المغربي دعمه للثلاثية

الرباط - مكتب «الشرق الاوسط»:

عبر الرئيس الامريكي جورج بوش عن دعمه ومساندته لجهود اللجنة الثلاثية المكلفة بمعالجة الازمة اللبنانية، وتمنى ان تسفر هذه الجهود عن ايجاد حل سريع ودائم للازمة اللبنانية.

وذكرت وكالة الانباء المغربية ان الرئيس الامريكي عبر عن هذا الموقف خلال اتصال هاتفي مع العاهل المغربي الملك الحسن الثاني.

المنظمة تتسلم القسط السادس من الدعم السعودي

الرياض - واس: تسلمت منظمة التحرير الفلسطينية مبلغ ستة ملايين وعشرين الف دولار أمريكي تمثل القسط السادس من التزامات المملكة العربية السعودية تجاه المنظمة وفقا لقرارات مؤتمر القمة العربي الذي عقد بالجزائر لدعم انتفاضة الشعب الفلسطيني في فلسطين المحتلة.

اعلن ذلك امس السيد رفيق شاكر النتشة عضو اللجنة المركزية لحركة «فتح» وسفير دولة فلسطين لدى المملكة.

وقال النتشة: ان الشعب الفلسطيني وقيادته يقدران ويشكران هذا الموقف لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز الذي جعل المملكة العربية السعودية قدوة في دعمها للشعب الفلسطيني وانتفاضته المباركة.

واضاف ان مجموع الاقساط التي تم تسلمها من المملكة منذ بداية هذا العام بلغ ستة وثلاثين مليونا ومائة وعشرين الف دولار.

انتخابات برلمانية في الأردن في نوفمبر

عمان - ر: افاد مسؤول أردني رفيع ان الحكومة الأردنية قررت أمس اجراء أول انتخابات برلمانية في المملكة منذ ٢٣ عاماً في نوفمبر (تشرين الثاني) المقبل.

وقال المسؤول الأردني بعد اجتماع لمجلس الوزراء الأردني تمت خلاله الموافقة على اجراء تعديلات في قانون الانتخابات لعام ١٩٨٦ الذي لم يطبق في أي انتخابات فعلية: «سنجري انتخابات في نوفمبر».

جدل في لبنان بعد رفع الحصار البري
فتح المعابر والمطار وقصف على المرافئ

بيروت - «الشرق الأوسط» ووكالات الأنباء:

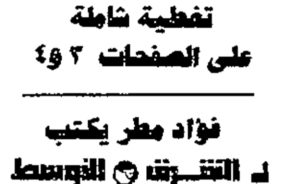
أعيد أمس فتح معبر المتحف بين شطري العاصمة اللبنانية وأعلن رسمياً عن معاودة العمل في مطار بيروت الدولي في اطار المبادرة التي اعلنتها أمس الأول من دمشق الأحزاب اللبنانية المؤيدة لسورية. لكن الخطوة ترافقت مع ملامح خلاف جديد بين الحكومتين اللتين تتنازعان السلطة والشرعية في لبنان.

وقالت مصادر مطلعة في بيروت إن مصير الخطوة الجديدة سيتحدد في ضوء ما سيحمله مبعوث اللجنة العربية الثلاثية إلى لبنان السيد الأخضر الابراهيمي الذي توقعت وصوله خلال ساعات.

وفي تصريح أدلى به أمس بعد عودته من دمشق، اعتبر رئيس الحكومة بالوكالة الدكتور سليم الحص أن لا مبرر لأي اعتراض على الرفع الجزئي لحصار المناطق الشرقية.

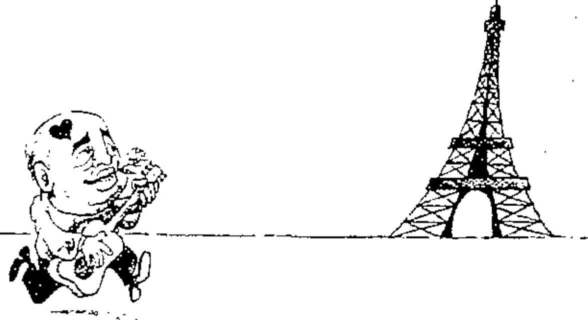
وقال الحص: إن أي اعتراض يعني العزم على مواصلة استيراد الأسلحة لمعاودة القصف بشكل أعنف. وأضاف: الاعتراض سيكون غير مبرر خصوصا وانه (العماد عون) أكد بنفسه أنه يملك اسلحة وذخائر بشكل كاف ورأى الحص أن القرار الذي اتخذته الأحزاب في دمشق لا يشكل في حد

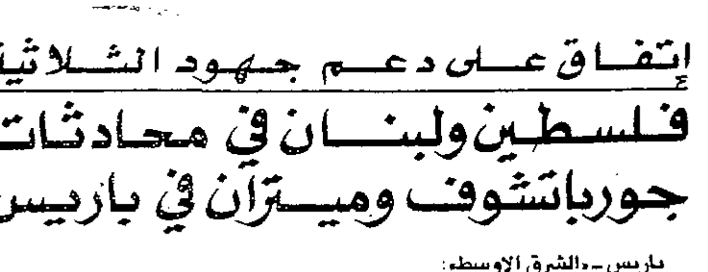
(التتمة على ص ٢)



تغطية شاملة على الصفحات ٣ و٤

فؤاد مطر يكتب لـ الشرق الأوسط عن السودان
صفحة ٥






إتفاق على دعم جهود الثلاثية
فلسطين ولبنان في محادثات جورباتشوف وميتران في باريس

باريس - «الشرق الاوسط»:

بدأ امس الزعيم السوفياتي ميخائيل جورباتشوف زيارة رسمية لفرنسا تستغرق ثلاثة ايام يجري خلالها محادثات مع الرئيس فرانسوا ميتران تتناول اضافة الى المسائل الاوروبية ازمة الشرق الاوسط وتطورات الوضع في لبنان.

وقالت مصادر دبلوماسية مطلعة في باريس ان الجانبين سيستعرضان التطورات المتعلقة بجهود السلام في الشرق الاوسط والخطوات التي من شأنها اخراج هذه الجهود من المراوحة وسيؤكدان على ضرورة تذليل العقبات التي تحول دون عقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الاوسط.

ويذكر ان البيان الذي صدر في ختام القمة التي عقدتها المجموعة الاوروبية في مدريد دعا الى اشراك منظمة التحرير الفلسطينية في جهود السلام ورحب بالحوار بين الادارة الأمريكية ومنظمة التحرير الفلسطينية كما رحب بمشروع رئيس الوزراء الاسرائيلي اسحق شامير لاجراء انتخابات في الاراضي المحتلة لكنه ارفق ترحيبه به بشروط عدة.

وكشفت المصادر ان الوضع في لبنان سيحتل جزءا بارزا في محادثات الزعيمين حول المسائل الاقليمية. واشارت الى ان ميتران وجورباتشوف يؤيدان بقوة جهود اللجنة العربية الثلاثية التي شكلتها القمة العربية الطارئة بالدار البيضاء لحل الازمة في لبنان.

وقالت المصادر ان الزعيم السوفياتي سيطلع الرئيس الفرنسي على الجهود التي تبذلها بلاده للحد من الخلاف السوري - العراقي في لبنان خصوصا بعد قيام مبعوث سوفياتي بتسليم رسالتين بهذا الشأن الى

(التتمة على ص ٢)

(راجع «راي الشرق الأوسط»)

وقفة عرفات الاربعاء وعيد الأضحى الخميس

جدة - واس: اعلن الديوان الملكي السعودي، في بيان أصدره أمس ان الوقوف بعرفة سيكون يوم الاربعاء المقبل، وان عيد الاضحى المبارك سيكون يوم الخميس الذي يليه، وذلك وفقا لما صدر عن مجلس القضاء الأعلى في السعودية بعدما ثبت شرعاً لدى المجلس بشهادة شاهدين عدلين دخول شهر ذي الحجة لهذا العام ليلة أمس الموافق الرابع من شهر يوليو (تموز) الحالي.

ثمن النسخة: السعودية ٥ ريالات (الجريدة والمجلة) ● الكويت ١٠٠ فلس ● الامارات ٢ درهم ● عمان ٢٠٠ بيزة ● قطر ٢ ريال ● العراق ١٥٠ فلس ● البحرين ٢٠٠ فلس ● الأردن ٢٥٠ فلسا ● اليمن ٥ ريالات ● سورية ٦ ليرات ● لبنان ١٠ ليرات ● مصر ٣٠ قرشا ● تونس ٤٠٠ مليم ● المغرب ٢ درهم ● الجزائر ٢ دينار ● السودان ١ جنيه ● ليبيا ٢٠٠ درهم ● موريتانيا ٢٠٠ أوقية
Price List: Australia A$0.90 • Austria 25Sch • Belgium • 70BFr • Canary Islands 240Ps • Cyprus 700Mils • Denmark 13DKr • Finland 8FM • France 10FF • Germany 3DM • Great Britain 60p • Greece 250Drs • India 10R • Indonesia 1600Rp • Japan 250Yen • Italy 2500Lr • Luxembourg 35LFr • Malta 45C • Norway 7Kr • Netherlands 4.5DFL • Pakistan 12R • Philippines 20 PESO • Singapore 3$ • Spain 240 Pts • Sweden 10Kr • Switzerland 3SF • U.S.A $1.00 • Turkey 600TL

الشرق الأوسط
No. 3872 / Wednesday 5-7-1989 ● ١٩٨٩-٧-٥ / الأربعاء ٣٨٧٢ العدد

نحو بيانات يأسف لإبعاد الفلسطينيين

مجلس الأمن يجتمع اليوم والمندوب الأمريكي وراء التأجيل

القدس المحتلة ـ وكالات الانباء: يجتمع مجلس الأمن الدولي اليوم للنظر في مسألة قيام اسرائيل بابعاد ثمانية فلسطينيين اتهمتهم بمقاومة الاحتلال بعد تأجيل الجلسة التي كان مقررا ان تعقد في وقت سابق بناء على طلب المندوب الأمريكي الذي ذكر ان وفد بلاده لم يتلق بعد تعليمات من حكومته.

وعلم من مصادر دبلوماسية في الامم المتحدة أن الولايات المتحدة طلبت أن يؤجل إلى اليوم الأربعاء اجتماع مجلس الأمن الذي من المقرر أن يصدر قرارا يعرب فيه عن أسفه مرة جديدة لابعاد فلسطينيين من الأراضي المحتلة.

وعقد مجلس الأمن بعد ظهر امس الأول جلسة مشاورات في مقر الأمم المتحدة في نيويورك وذلك بعد الجلسة التي عقدها الجمعة الماضي في أعقاب طرد ثمانية فلسطينيين من الأراضي المحتلة إلى لبنان.

ورسميا، اكد الدبلوماسيون الأمريكيون انهم لمْ يتلقوا بعد تعليمات من حكومتهم حول الموقف الواجب اتخاذه في هذه المسألة التي طرحتها دول عدم الانحياز على مجلس الأمن.

وانطلاقا من ذلك، يعتقد المراقبون ان الولايات المتحدة تحاول كسب الوقت قبل انعقاد مؤتمر تكتل ليكود الذي يتزعمه رئيس الوزراء الاسرائيلي اسحق شامير في اسرائيل اليوم. وفي الواقع فان شامير سيواجه بعض الصعوبات في تأمين الموافقة على مشروعه الانتخابي في الأراضي المحتلة من قبل فئة مغالية من أنصاره.

وذكرت المصادر الدبلوماسية من ناحية ثانية، أن الولايات المتحدة يفترض أن تمتنع عن الحضور اثناء التصويت متيحة بذلك صدور هذا النص الذي لا يتناول سوى الجانب الانساني.

وحسب مشروع نص يتم تداوله في الامم المتحدة، فان القرار المقترح يعرب عن الأسف ازاء عمليات الابعاد هذه، ويدعو اسرائيل إلى احترام معاهدة جنيف حول حماية السكان في زمن الحرب.

يذكر أن مجلس الأمن اصدر بالاجماع في الخامس من يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨ وذلك بعيد بدء الانتفاضة الفلسطينية في الأراضي المحتلة في ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٧ قرارا يحمل الرقم ٦٠٧ يدعو اسرائيل إلى التخلي عن ممارسة عمليات الابعاد واحترام المعاهدة نفسها حول السكان المدنيين.

واستمر ابعاد الفلسطينيين وتبنى مجلس الأمن بعد بضعة أيام وذلك في الرابع عشر من يناير (كانون الثاني) قرارا ثانيا بالمعنى نفسه يحمل الرقم ٦٠٨ وقد تم تبني هذا القرار نتيجة امتناع الولايات المتحدة عن التصويت.

ومنذ هذا التاريخ استخدمت الولايات المتحدة حق النقض الذي تتمتع به بصفتها عضوا دائما في مجلس الأمن بشأن جميع اقتراحات القرارات المتعلقة باسرائيل التي طرحت على هذا المجلس.

من جهة أخرى، ذكرت مصادر فلسطينية أن فلسطينيين جرحا أمس في الضفة الغربية المحتلة برصاص الجنود الاسرائيليين واصيب فلسطيني آخر متهم بـ «التعاون» مع السلطات الاسرائيلية بطعنات وجهها إليه مجهولون في غزة ليل الاثنين/ الثلاثاء.

وقالت المصادر نفسها إن السلطات العسكرية الاسرائيلية تشن منذ مساء أمس الاول حملة اعتقالات في الضفة الغربية المحتلة.

وأوضحت المصادر أن فلسطينيين جرحا بالرصاص المطاطي اثناء مواجهات مع الجيش في مخيم جنين للاجئين (شمال الضفة الغربية) في حين قام الجيش باعتقال عشرين شخصا في مدينة جنين.

وأشارت المصادر إلى أن اكثر من مائة فلسطيني اعتقلوا في منطقة رام الله ليل الاثنين/ الثلاثاء بينهم تسعون في مدينتي رام الله والبيرة، واعتقل الآخرون في القرى المجاورة.

وقالت المصادر إن ٢٥ من سكان بيت لحم وستة من سكان قرية سعير قرب الخليل (جنوب الضفة الغربية) اعتقلوا ايضا. وأوضحت أن الجيش اغلق المتاجر في سوق بيت لحم.

وابقت قوات الأمن لليوم الثالث على التوالي حظر التجول ساريا على قرية بيت ساحور قرب بيت لحم.

وذكرت المصادر الفلسطينية أن فلسطينيا في الثانية والعشرين من مدينة غزة متهما بـ «التعاون» مع السلطات الاسرائيلية اصيب بجروح بالغة بطعنات سكين وجهها إليه مجهولون ليل الاثنين/ الثلاثاء. ونقله الجيش في سيارة اسعاف إلى مستشفى اسرائيلي.

واخيرا، لقي اضراب عام دعت إليه منظمة «الجهاد» استجابة أمس في قطاع غزة، وامتنع عمال فلسطينيون عديدون في المنطقة عن التوجه إلى مراكز عملهم في اسرائيل وفق ما أوضحت المصادر.

على صعيد آخر، ذكر راديو اسرائيل أن محكمة عسكرية تابعة لقوات الاحتلال الصهيوني اصدرت خلال جلسة عقدتها امس الأول في مدينة نابلس في فلسطين المحتلة سلسلة احكام تعسفية جديدة على ثمانية مواطنين فلسطينيين بدعوى مقاومة الاحتلال.

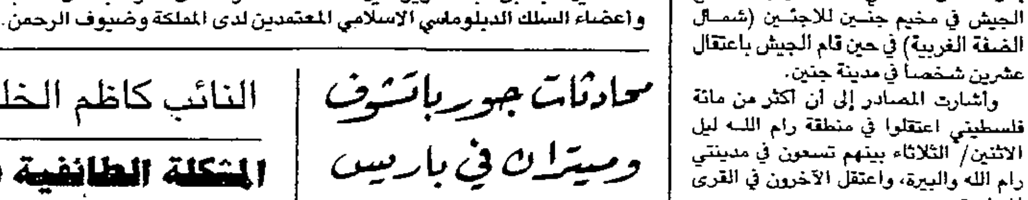
وقال الراديو إن المحكمة المذكورة حكمت على مواطن من قرية سنيريا في قضاء طولكرم بالسجن الفعلي لمدة ست سنوات بسبب انتمائه إلى حركة «فتح» وقيامه بالقاء زجاجات حارقة على جنود الاحتلال واعتدائه على أشخاص يتعاونون مع الاسرائيليين.

المطرب العالمي جيرمان جاكسون يشهر اسلامه

الرياض ـ ق. ن. ا: اشهر المطرب العالمي جيرمان جاكسون اسلامه امام رئيس محاكم جدة خلال زيارة قام بها للمملكة العربية السعودية اخيرا.

وجيرمان جاكسون شقيق المطرب العالمي مايكل جاكسون قام بعد ذلك بزيارة لمكة المكرمة والصلاة في المسجد الحرام.

وعبر جيرمان جاكسون عن سروره البالغ بانضمامه الى الدين الاسلامي.. وقال إن اللحظة التي اعلن فيها نطق الشهادتين كانت من أسعد اللحظات في حياته.



الأمير ماجد بن عبد العزيز امير منطقة مكة المكرمة لدى تشرفه بغسل الكعبة صباح امس في مكة المكرمة وشاركه في الغسل الأمراء واعضاء السلك الدبلوماسي الاسلامي المعتمدين لدى المملكة وضيوف الرحمن.

محادثات جورباتشوف وميتران في باريس

تتمة المنشور ص ١

الرئيسين صدام حسين وحافظ الاسد.

وكان جورباتشوف قد اكد لدى استقباله في الكرملين وزير الخارجية المغربي الدكتور عبد اللطيف الفيلالي ان موسكو ستبذل مساعيها لدى العراق وسورية في شأن لبنان وانها تدعم بقوة جهود اللجنة العربية الثلاثية.

وقالت المصادر ان ميتران سيشدد امام الزعيم السوفياتي على ان الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن تتحمل مسؤولية كبيرة في ضرورة «مساعدة لبنان على استعادة وحدته وسيادته والتعايش بين ابنائه في ظل نظام ديمقراطي».

وعلمت «الشرق الأوسط» من مصادر موثوقة أن مباحثات الرئيسين جورباتشوف وميتران تناولت مشروعا فرنسيا لحل الأزمة اللبنانية من اربعة بنود وهي:

١ـ دعوة مجلس الأمن الدولي للانعقاد بواسطة اللجنة العربية الثلاثية لتحقيق انسحاب اسرائيل من لبنان وذلك بموافقة وضغط من الدول الخمس الدائمة العضوية في المجلس.

٢ـ الدعوة إلى انسحاب جميع القوات غير اللبنانية.

٣ـ الدعوة لعقد معاهدة لبنانية ـ سورية تنص على العلاقات المميزة بين البلدين.

٤ـ تنسيق العلاقات اللبنانية ـ السورية بواسطة انشاء سفارتين في البلدين.

وتجدر الاشارة إلى أن هذا المشروع حاولت فرنسا تسويقه من خلال جولات مبعوثين فرنسيين في عدد من الدول العربية، وتتوقع أوساط سياسية أن ينال المشروع موافقة الزعيم السوفياتي ميخائيل جورباتشوف.

النائب كاظم الخليل لـ «الشرق الأوسط»

المشكلة الطائفية في لبنان سياسية لا دينية

باريس ـ «الشرق الأوسط»:

كشف النائب كاظم الخليل، اكبر اعضاء المجلس النيابي اللبناني سنا، انه ارسل إلى قادة اللجنة العربية الثلاثية رسائل مرفقة بمشروع كامل لحل الأزمة اللبنانية.

واوضح لـ «الشرق الأوسط» أن المشروع يحتوي مبادىء اساسية للحل تتضمن تعديلات معينة في الدستور، كما تتضمن موضوع طائفية الرئاسات الثلاث وفريق من الموظفين اللبنانيين.

ورأى الخليل، الذي يفترض أن يتولى هو الدعوة لانتخاب رئيس لمجلس النواب بوصفه كبير السن، أن الطائفية في لبنان هي علة العلل لكنها ليست طائفية دينية بل طائفية سياسية.

وشدد على أن الحوار بين اللبنانيين يجب أن يقتصر على أصحاب الرأي السليم الهادف، أما المسلحون فهم أصحاب مصلحة نفعية لا يبتغون غيرها.

وقال: إن سورية بلد شقيق لها صلات عديدة وعميقة مع لبنان يجب أن نعالجها ونبرمجها بحيث تحفظ سيادة واستقلال وكرامة لبنان وسورية معا.

وعن الطائفية في لبنان قال الخليل: انني منذ بدأت العمل السياسي قبل اكثر من ٧٠ عاما لم اقف على حادث واحد وقع في لبنان بسبب عقيدة دينية، او بين فريقين من طائفتين مختلفتين، بل انني املك الدليل القاطع على أن كل ما حدث في لبنان من ازمات طائفية منذ ١٨٤٠ و١٨٦٠ وما بعدهما كانت حوادث سياسية لا دينية. ولكل حادث من هذه الأحداث اكثر من دليل على عدم طائفيته. فأحداث ١٨٦٠ لا يمكن الجدال في أن السلطة العثمانية في ذلك الحين والدول الغربية الكبرى آنذاك دفعت الفرقاء اللبنانيين إليها، والسبب معروف وهو تقطيع أوصال الرجل المريض الذي هو الامبراطورية العثمانية. وكل حادث طائفي في لبنان كان دائما وراءه دافع وعامل سياسي خارجي وداخلي.

وعن الاصلاح الذي يقترحه قال: كلمة اصلاح لم تعد تليق بالاستعمال. وأخشى أن تكون هذه الكلمة كلمة حق لا يراد بها حق. أما الاصلاح فلا أعتقد أن ما جرى ويجري في لبنان سببه الخلل القائم في قواعد الحكم.

صحيح ان في لبنان وقائع كثيرة يجب تعديلها، وأن غبنا ربما لحق ببعض الطوائف لكنني مقتنع بأن ذلك لا يستوجب كل ما حل ويحل بلبنان. واعتقد أن ما الحقته الحرب بالطوائف اللبنانية التي كانت تدعي أنها مغبونة ومظلومة ومحرومة كان أشد ضررا ويكثير مما لحق بها في أيام السلم، فأحداث لبنام لم تنصف مظلوما ولم تساعد ظالما، بل أن المصائب حلت بالجميع ومن كل الفئات والمذاهب والطوائف.

جدل في لبنان بعد رفع الحصار البري

تتمة المنشور ص ١

ذاته حلا بل «خطوة ايجابية ومهمة على طريق الحل». وأضاف: إن القرار يضع عمليا حدا للحصار ويتيح اعادة توحيد العاصمة ويجعل العمل السياسي المشترك ممكنا للتوصل إلى حل للأزمة اللبنانية.

ويذكر أن رئيس حركة «أمل» الوزير نبيه بري كان قد أعلن أمس الأول من دمشق وباسم «الجبهة الوطنية» التي تضم الأحزاب اليسارية رفع الحصار البري المضروب على المناطق الشرقية لكنه أكد أن الحصار البحري سيستمر.

ومن جهته، اتهم رئيس حكومة العسكريين العماد ميشال عون سورية بتشديد الحصار البحري على المناطق الخاضعة لسلطته وبارسال قطع بحرية إلى المياه الاقليمية اللبنانية.

ووجه عون رسالة إلى الأمين العام للأمم المتحدة خافيير بيريز دي كويلار والأمين العام للجامعة العربية الشاذلي القليبي ابلغهما فيها أن «البحرية السورية تمنع السفن التجارية المحملة مواد غذائية من دخول المرافىء الشرعية».

واستقبل رئيس حكومة العسكريين بناء على طلبه سفراء الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي وطلب منهم تدخل حكوماتهم «من أجل وقف الحصار البحري والممارسات السورية المخالفة للقوانين الدولية للملاحة البحرية».

وقال مصدر رسمي في حكومة العسكريين إن زوارق سورية اعترضت أمس الأول في المياه الاقليمية اللبنانية ثلاث سفن تجارية متجهة إلى المناطق الشرقية وارغمتها على العودة من حيث أتت.

وكانت مصادر نقلت عن عون قوله بعد اعلان بري رفع الحصار البري أنه ينتظر أن يتبلغ النتائج من السيد الابراهيمي لأن الذين أعلنوا رفع الحصار ليسوا الجهة التي فرضت الحصار وقامت بعمليات القصف.

ونقلت وكالات الأنباء عن الشرطة في بيروت أنه بعد ساعات فقط من تصريحات بري تعرضت مرافىء المناطق الشرقية لقصف مدفعي شمل مرافىء جونيه وجبيل وبيروت وأسفر عن مقتل امرأة. وأضافت أن الألوية الموالية لعون ردت باطلاق عشر قذائف على مناطق في غرب بيروت تركز فيها القوات السورية مرابض مدفعية. وتعرضت المرافىء أمس لقصف جديد.

وكان نهار أمس قد بدأ باعادة فتح معبر المتحف حيث سمح بالعبور للسيارات بلا ترخيص فشهد المعبر ازدحاما للسيارات والشاحنات المحملة بالبضائع. وقامت الوية الجيش الموالية لحكومة الحص بازالة بعض السواتر الترابية لتسهيل حركة العبور وأعلنت لاحقا عن اعادة فتح معبر المدفون في شمال لبنان.

وأعلن وزير الاشغال العامة والنقل في حكومة الحص الوزير وليد جنبلاط عن استئناف العمل في مطار بيروت. وقالت إدارة المطار أنها ستكون قادرة على استقبال الطائرات في غضون ٢٤ أو ٤٨ ساعة. لكن مصادر في الادارة نفسها اشارت إلى انها تحتاج إلى ضمانات لكي توافق الشركات على إعادة التأمين على الطائرات وركابها.

وظهرت مساء أمس ملامح خلاف جديد حول مسألة الحصار. فقد أعلن رئيس «الجبهة اللبنانية» التي تضم الأحزاب الرئيسية في المناطق الشرقية الدكتور جورج سعادة رفض الجبهة لأي حوار سياسي قبل رفع الحصار البحري. واتخذ عدد من نواب المناطق الشرقية مواقف مشابهة لموقف سعادة ووجه بعضهم انتقادات إلى تصريح الرئيس الحص وقالوا: «إن موقفه بعد عودته من دمشق يتناقض مع الموقف الذي كان قد أعلنه قبل أيام».

ASHARQ AL-AWSAT (USPS 720-210) Published daily by Saudi Research & Marketing, U.K. (Ltd.), 1331 Pennsylvania Avenue N.W. 920 Washington, D.C. 20004.
SUBSCRIPTION RATES: One Year $300.00 Six Months $150.00 second-class postage paid at Washington, D.C. and additional mailing offices.

الأمير عبد الله يستقبل بشارة والجلبي

جدة ـ واس: استقبل نائب خادم الحرمين الشريفين الأمير عبد الله بن عبد العزيز في مكتبه في الديوان الملكي بقصر السلام في جدة أمس الأمين العام لمجلس التعاون لدول الخليج العربية السيد عبد الله يعقوب بشارة.

كذلك استقبل الأمير عبد الله بن عبد العزيز بعد ظهر أمس وزير النفط العراقي السيد عصام عبد الرحيم الجلبي الذي يزور السعودية حاليا.

وحضر المقابلة وزير البترول والثروة المعدنية ووزير التخطيط السعودي بالنيابة السيد هشام ناظر، والأمير عبد العزيز بن سلمان بن عبد العزيز المستشار بمكتب وزير البترول والثروة المعدنية، والمستشار بديوان ولي العهد السيد عبد المحسن بن عبد العزيز التويجري، والسفير العراقي لدى السعودية السيد عبد الوهاب الصباغ.

السعودية تشارك في الاحتفال بتنصيب منعم

جدة ـ واس: تشارك السعودية في الاحتفال بتسلم كارلوس منعم رئاسة جمهورية الأرجنتين. وسيمثلها في هذه المناسبة الأمير نواف بن عبد العزيز ومندوبان من وزارتي الخارجية والاعلام.

البشير: سأحاكم نميري إذا عاد

تتمة المنشور ص ١

صالح أن الفريق عمر حسن احمد البشير حملهم رسالة للرئيس مبارك.

وحول سؤال عن دور قيادة الثورة في استعادة قوة العلاقات السودانية العربية والدولية وتوفير الأمن والاستقرار في السودان، قال العميد فيصل علي أبو صالح: «إنه يجب علينا أولا أن نعرف توجه الثورة والعهد الجديد حيث أن مبدأ من مبادىء الثورة أن نحقق أولا الوحدة الوطنية ومن أهداف الثورة أيضا أن تكون هي ثورة قومية ليس لها أي اتجاه أو انتماء لأي حزب أو لأي طائفة أو لأي عقيدة من العقائد المعروفة».

على صعيد آخر، وجه أبناء الإمام الهادي المهدي برقية تهنئة للفريق البشير. وقد وقع البرقية علي وعبد الرحمن ومهدي، وغاب توقيعا ولي الدين ونصر الدين المعتقل.

كما تلقى البشير برقية التهنئة من مزارعي مشروع الرهو الذين رفعوا اضرابهم وعبروا عن تأييدهم للنظام الجديد. وتلقى قائد الانقلاب أيضا برقية تهنئة من جوزف لاقو.

واستمرت الاذاعة أمس في بث الأناشيد العسكرية، فيما تابع التلفزيون تقديم بعض البرامج الوطنية.

اعتقال ٩ من قيادات جنوب السودان

● صرح العقيد بيوكوان عضو مجلس قيادة الثورة السوداني انه تم اعتقال عدد من السياسيين الذين كانوا يشغلون مناصب دستورية ومناصب اخرى في حكومات الاقاليم الجنوبية وذلك للتحقيق معهم وتبرئة ذمة من تثبت براءتهم.

ويبلغ عدد المعتقلين من قيادات مجلس الجنوب تسعة من بينهم انجلو بيدا ويوهاني أكول وتوبي مادوت.

تفقد احوال العسكريين المعتقلين

● اوضح الفريق عمر حسن احمد البشير ان اعضاء القيادة العسكرية السابقة في الجيش السوداني متحفظ عليهم في منازلهم ويقدر عددهم بنحو ثلاثين ضابطا. وقال «اننا نكن لهم كل احترام كزملاء عسكريين وكرمز للعسكرية في السودان»، مشيرا الى انه قام بزيارة الفريق اول فتحي احمد علي القائد العام السابق للقوات المسلحة السودانية مع اسرته في منزله.

الأمير سلطان يختتم زيارته لتونس

تتمة المنشور ص ١

وابلغ مصدر فلسطيني كبير «الشرق الأوسط» أن اللقاء تناول استعراضا شاملا للأوضاع العربية الراهنة في المنطقة وبشكل خاص الأوضاع داخل فلسطين المحتلة في ظل الاجراءات التعسفية الاسرائيلية وإبعاد المواطنين الفلسطينيين الذي تم اخيرا، واستمرار الانتفاضة في مواجهة الاحتلال الاسرائيلي إلى جانب جملة من القضايا الدولية.

واضاف المصدر في اتصال هاتفي أجرته معه «الشرق الأوسط» من لندن أن الأمير سلطان، اكد بهذه المناسبة موقف السعودية الدائم والملتزم والداعم في كل المجالات للقضية الفلسطينية ونضال الشعب الفلسطيني والانتفاضة الباسلة بقيادة السيد الرئيس ياسر عرفات رئيس دولة فلسطين ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية.

وقال المصدر الفلسطيني إن الرئيس عرفات وجه بهذا الخصوص شكره لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وللحكومة السعودية والشعب السعودي على المواقف السعودية المميزة تجاه القضية الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني.

وفي نهاية الاجتماع، اقام الرئيس الفلسطيني مأدبة غداء بمقر اقامته في تونس تكريما للأمير سلطان، حضرها اعضاء الوفد السعودي المرافق، واعضاء القيادة الفلسطينية يتقدمهم السيد فاروق قدومي (أبو اللطف) وصلاح خلف (ابو اياد) وهايل عبد الحميد (أبو الهول) ورفيق النتشة (أبو شاكر) وهاني الحسن وأبو المعتصم.

كما حضر المأدبة السيد ابراهيم السعد البراهيم سفير السعودية لدى تونس، والسيد حكم بلعاوي سفير دولة فلسطين في تونس.

وقد وصل الأمير سلطان بن عبد العزيز إلى مطار الملك عبد العزيز الدولي مساء أمس، إلى جدة، وكان في استقباله الأمير عبد الرحمن بن عبد العزيز نائب وزير الدفاع والطيران والمفتش العام، والأمير مشاري بن عبد العزيز، والأمير نواف بن عبد العزيز، والأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية، والأمير ماجد بن عبد العزيز أمير منطقة مكة المكرمة، والأمير ممدوح بن عبد العزيز رئيس مكتب الدراسات الاستراتيجية في الديوان الملكي، والأمير أحمد بن عبد العزيز نائب وزير الداخلية، والأمراء والوزراء وكبار المسؤولين من مدنيين وعسكريين وجمع غفير من المواطنين.

الشرق الأوسط تتابع أحداث الخرطوم

إسترجاع للوقائع والأحداث من ١٩٨٥ إلى ١٩٨٩ [٤]

علاقات الصادق المهدي الخارجية عزلت السودان عن محيطه والمطلوب الآن العودة إلى المبادئ والثوابت القديمة

في اعقاب الانتفاضة الشعبية في السودان في ابريل (نيسان) ١٩٨٥ اظهرت الدول العربية تجاوبا صادقا معها، وجاءت اول مكالمة هاتفية من القاهرة للاطمئنان على الموقف بعد اعلان القوات المسلحة انحيازها للشعب ولخياره. وفي تلك المحادثة طلب رئيس المجلس العسكري الانتقالي السوداني المشير عبد الرحمن سوار الذهب من الرئيس المصري حسني مبارك ان يبقي المشير جعفر نميري في القاهرة.

بقلم: محمد سعيد محمد الحسن

وجرت محادثة مع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، الذي ابلغ سوار الذهب ان السعودية مع السودان ومع كل ما يحقق امانيه. وبعد اطمئنانه على الموقف العام، استمع الملك فهد من المشير سوار الذهب للاحتياجات العاجلة، وجاء تعقيبه، بأن السعودية تقتسم مع السودانيين كسرة الخبز، وبعث بطائرة لتنقل مبعوثي المجلس العسكري الانتقالي ومعهم بعض المسؤولين المختصين لتقديم قائمة الاحتياجات التي لبيت على الفور، ومنها توجيه باخرتين على البحر بشحنتيهما من البترول الى بورتسودان.

وجاءت بعد ذلك مكالمات من العاهل الاردني الملك حسين والرئيس العراقي صدام حسين، والرئيس الليبي معمر القذافي والشيخ جابر الاحمد الصباح امير الكويت. وتوالت الاتصالات وايضا وصول الوفود العربية التي جاءت للخرطوم مهنئة ومساندة.

وشهدت تلك الفترة ذروة التوافق والتعاون بين السودان والدول العربية التي كان وقوفها الى جانبه ايجابيا الى اقصى مدى واعانته على اجتياز ومواجهة ظروف الجفاف والتصحر والمجاعة وأيضا توفير مدخلات الانتاج استعدادا للموسم الزراعي الجديد، وتلبية احتياجات اخرى كانت الحاجة اليها ضرورية.

العلاقات السودانية المصرية

ورغم ان وجود المشير جعفر نميري في القاهرة شكل «حساسية»، الا انه تم تجاوزها، في اعقاب زيارات متتالية للمشير سوار الذهب، ثم بعد ذلك للسيد احمد الميرغني رئيس مجلس رأس الدولة، ثم للسيد الصادق المهدي رئيس الوزراء، اتفق خلالها على النأي بقضية المشير نميري عن العلاقات الثنائية. أما مسألة التكامل وأجهزته، فان مصر لم تبت بشأنها بأي قرار، وإنما جاء القرار من قبل الصادق المهدي حيث ألغى ميثاق التكامل وأجهزته الفنية التي قامت لدراسة المشروعات الفنية وجدواها ووسائل تمويلها وتنفيذها لصالح البلدين. وقدم رئيس الوزراء السوداني ميثاقا بديلا اطلق عليه «ميثاق الاخاء».

وكان من الواضح للعديد من المراقبين، أن مصر التي رحبت بما طلبه السودان وجاء رئيس وزرائها الدكتور عاطف صدقي الى الخرطوم ووقعت الميثاق، إنما ارادت تجاوز اي حساسيات من اجل أن تظل العلاقات الثنائية في مستوى تطلعات الشعبين.

ولكن كان في كل مرة، يصدر شيء من هنا وآخر من هناك ويجعل العلاقات «الثنائية» و«الخصوصية»، تتعرض لالتهابات التوتر. وكانت تصدر ايضا تصريحات حول اتفاقية الدفاع المشترك التي وقعت في ١٥ يونيو (حزيران) ١٩٧٦، تزيد في التوتر. فقد كان السيد رئيس الوزراء يردد انها الغيت او ملغاة، وكان الحزب الاتحادي الديمقراطي يرى غير ذلك. ولكن عندما وقعت مبادرة السلام السودانية في ١٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٨ بين السيد محمد عثمان الميرغني والكولونيل قرنق في اديس ابابا، والتي نص احد بنودها على إلغاء أي اتفاقيات تمس سيادة السودان. وبعد تشكيل حكومة الجبهة الوطنية المتحدة في مارس (آذار) وإقرار المبادرة السودانية بعد خمسة اشهر من توقيعها، سافر السيد سيد احمد الحسين نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية الى القاهرة لينقل اليها التطورات والاتصالات التي تمت في اتجاه السلام، وعندما عاد الى الخرطوم، اصدر مجلس الوزراء بيانا جاء فيه، انه جرى إلغاء اتفاقية الدفاع المشترك بالتراضي. وقال بيان آخر صدر في القاهرة ونشرته صحيفة «الاهرام»، ان مصر وافقت على الطلب السوداني، ومن اجل تحقيق السلام.

وعندما اثير امر نشاط المشير جعفر نميري او تصريحاته التي اخذت طريقها الى الصحف العربية وتناقلتها بعض الصحف السودانية، جاء تعليق السيد الصادق المهدي عليها بأنها «تصريحات مأذونة»، أي انها تمت بعلم وموافقة السلطات المصرية. ولكن تعليق المتحدث الرسمي باسم الحكومة السودانية الدكتور حسين ابو صالح كان: «ان مسألة هذه التصريحات التي ادلى بها المشير نميري ينبغي معالجتها بهدوء شديد، وينبغي ان تكون بمنأى عن العلاقات الثنائية».

وانعقدت في شهر مايو (ايار) الماضي ندوة حول العلاقات السودانية ـ المصرية، تاريخها وحاضرها ومستقبلها، نظمتها جامعة القاهرة واشترك فيها عدد من الاكاديميين السودانيين والمصريين وبحضور عدد من الشخصيات السودانية، تناولت العلاقات السودانية ـ المصرية، حيث جرت مناقشات واسعة للعلاقات الثنائية تناولت جميع جوانبها، ورحبت الصحف السودانية المستقلة بهذا الحوار باعتباره مدخلا سليما للعلاقات التاريخية التي ينبغي وضعها في إطار «خصوصيتها»، وأيضا في إطار تنمية مواردهما ومصالحهما المشتركة وتعاونهما النافع.

وجرت الدعوة لأن يتسع الحوار ويتعدد على العديد من المستويات لتحقيق الرؤية المشتركة.

وبرزت مظاهر التوتر مرة اخرى، عندما اعلن عن اكتشاف محاولة انقلاب عسكرية وإلقاء القبض على مدبريه، وألمح رئيس الوزراء السوداني السابق الى ان المشير جعفر نميري وراء تدبير هذه المحاولة «من وراء مكمنه ومأمنه»!

وساد التوتر مرة اخرى. وكانت ملاحظة العديد من المراقبين، انه في كل مرة تسنح فيها الفرصة للعلاقات الطبيعية لا بد وأن تتعرض للهزات وفي احيان عديدة من قبل السيد الصادق المهدي.

العلاقات العربية

وكان من الواضح ايضا وللعديد من المراقبين، ان العلاقات الوطيدة التي ظلت قائمة بين السودان والدول العربية، اخذت في الفترة الاخيرة تتعرض للفتور الشديد، الى درجة ان بعضها اوقف التعامل مع حكومة المهدي.

وكان من الواضح ان هذا الموقف جاء نتيجة كرد فعل لمواقف او تصريحات نسبت الى السيد المهدي، ولم يكن المقصود السودان، ولا شعبه.

واقتضى هذا الموقف من السيد محمد عثمان الميرغني زعيم الحزب الاتحادي الديمقراطي القيام بزيارات الى عدد من العواصم العربية اذ عرف بصلاته الوطيدة بقادة هذه الدول، ولأنه عرف ايضا ومن خلال مواقف حزبه الوطنية والتاريخية بتوجهاته القومية والعربية.

وكان من الواضح، حرصه البالغ على ان تظل العلاقات السودانية ـ العربية في مكانتها الرفيعة وقد كان حديثه مع قيادات الدول التي زارها يركز على اساس السودان وارتباطاته العربية، ووجوب ان يؤخذ في الاعتبار المخاطر التي تهدده، وأهمية مساندته وتأييده، وقد وجد من هذه القيادات كل التفهم المطلوب.

ولكن ظلت الشروخ بشكل أو آخر قائمة.

العلاقات مع اثيوبيا

ولقد ساد ايضا التوتر مع اكثر من جارة افريقية مثل كينيا وتشاد وافريقيا الوسطى التي قطعت علاقتها مع السودان وطلبت من البعثة الدبلوماسية السودانية مغادرة بانجي خلال ٤٨ ساعة.

ولكن تظل العلاقات السودانية ـ الاثيوبية الاشد اهمية وحيوية لتداخل المصالح والمشاكل، وأيضا لأن لأثيوبيا دورا حيويا في قضية السلام، وقد تعرضت لنقد اكثر من مرة من السيد المهدي. وساد التوتر الحاد مع تصاعد عمليات قوات قرنق وانطلاقها من الاراضي الاثيوبية.

ثم تراجع التوتر تماما، بعد قيام السيد محمد عثمان الميرغني بزيارة اثيوبيا في نوفمبر ١٩٨٨ حيث استقبله الرئيس الاثيوبي منجستو هيلا ميريام، حيث استعرضت العلاقات الثنائية ووجوب حل المشاكل القائمة، وعدم رهن «العلاقات الثنائية ومصالحهما لأي طرف آخر».

ولا بد وأن ضغط الرئيس منجستو ومتابعته لمحادثات اديس ابابا قد ساعدت كثيرا في توقيع اتفاقية السلام، لانه بالمقابل ينشد الوصول الى حل للقضية الاريترية، ولأنه يعرف ان السيد محمد عثمان الميرغني له تأثير ودور بالغ الأهمية في هذا الجانب.

كما ان الرئيس منجستو يتطلع الآن الى تحقيق علاقات طيبة مع الدول العربية، ويعتقد ان إعادة العلاقات الطبيعية والتاريخية بين البلدين تتيح له الوصول اليها والتعامل معها بصورة افضل.

● ● ●

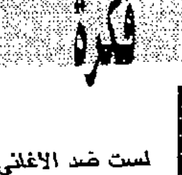
قصدت من هذا الاستعراض السريع ايضا، التركيز على ان السودان يبقى قويا ومستقرا ومؤثرا من خلال خياراته وتوجهاته وثوابته، وأيضا من خلال الحفاظ على الطريقة السودانية المتميزة بالتعقل بلا جنوح، ولا تطرف ولا توتر.

ان السودان قوي بموارده وقدراته، ولكنه قوي ايضا بانتمائه العربي وبخصوصية علاقاته مع الاشقاء وبالعلاقات الطيبة مع الجارات الافريقية وبالأخص اثيوبيا وكينيا واوغندا وتشاد.

ان السودان لا يحتاج الى ملفات او اجتهادات جديدة، إنما يحتاج في كل وقت الى الامساك بهذه «الثوابت» التي عرف بها فاكسبته تلك المكانة التي يتطلع السودانيون جميعا الى استعادتها اقليميا ودوليا، وهي «ثوابت» لم تأت من فراغ وإنما جاءت عبر نضال تاريخي ووطني طويل ورصيد من المثابرة والتجرد.


الفريق البشير خلال استقباله للوفد الليبي الذي وصل الى الخرطوم قبل يومين.

فكرة


مصطفى أمين

لست ضد الاغاني الهزلية الكاريكاتورية. ففي الوقت الذي كانت تغني ام كلثوم قصيدة ولد الهدى وقصيدة سلو قلبي من نظم امير الشعراء احمد شوقي، كان المنولوجست شكوكو يغني اغنية «يا دابحة قلبي بقزازة... لماذا الظلم ده.. لماذا؟».

وفي الوقت الذي كان الموسيقار محمد عبد الوهاب يغني ثلاثية «الجندول» و«الكرنك» و«كليوبترا»، كان يلحن في نفس الوقت اغاني كاريكاتورية مثل «مربوط ع الدرجة الثامنة والناس درجات، ومرشح اخد التسعة غير العلاوات»، ويلحن لنجيب الريحاني اغنية «عيني بترف».

وقبل عبد الوهاب لحن سيد درويش كثيرا من الاغاني الكاريكاتورية. ففي خلال سنة ١٩١٩ طلبت الثورة من جميع المصريين عدم الدخول في وزارة تتألف تحت الحماية البريطانية. وحدث ان بعض المصريين خرجوا على هذا الاجماع بعد مقاطعة دامت ستة اشهر ودخلوا وزراء في احدى وزارات الحماية. والف بديع خيري اغنية على لسان هؤلاء الوزراء مطلعها «علشان ما نعلى ونعلى ونعلى.. لازم نطاطي نطاطي نطاطي»، وكان المتظاهرون اثناء الثورة يغنون هذه الاغنية وهم يهتفون بسقوط هؤلاء الوزراء، وحدث ان وضع سيد درويش اوبريت فادخل فيها هذه الاغنية.

وقد كنت منذ ايام في خطبة ابن صديق في احد الفنادق الكبرى وسمعت الفنان سمير صبري والراقصة فيفي عبده يغنيان اغنية كاريكاتورية لم أسمعها من قبل وهي حوار بين رجل عجوز وفتاة شابة. العجوز يغازلها والفتاة تقول له عيب يا رجل يا عجوز، والمارة يدخلون في الحوار ويلعنون الرجل العجوز الذي لا يخجل من شيبته ويغازل الفتاة الحسناء. وفوجئت بان مئات المدعوين والمدعوات يشتركون في ترديد الاغنية وكانهم يحفظونها عن ظهر قلب. وعرفت بعد ذلك انها اغنية ضاحكة انتشرت انتشارا هائلا بين الشباب، وانها طبعت على شريط ووزعوا منه الالوف من الاشرطة.

وعلى الرغم من ان كلمات الاغنية مغرقة في العامية الا ان انغامها السريعة والصورة التي ترسمها جعلتها على كل لسان، ولا يمكن ان نعترض على مثل هذه الاغنية لان فيها موعظة. فهي تهزأ من الرجل المسن الذي يطارد فتاة صغيرة السن، ويا حبذا لو تألفت اغان جديدة تهزأ من تجار المخدرات وتهزأ من المدمنين وتلعن الكوكايين والهيروين. هذه الاغاني سوف تفعل اضعاف ما تفعله المقالات والنصائح في الاذاعة والتلفزيون!

إن السخرية احيانا تقتل اكثر مما يقتل الرصاص!

سياسيون خارج السودان

● احمد الميرغني رئيس مجلس رأس الدولة وكان في زيارة خاصة لليونان.
● الدكتور بشير عمر وزير الطاقة والتعدين وكان في زيارة رسمية الى ايطاليا.
● ميرغني النصري عضو مجلس رأس الدولة وكان في زيارة الى جنيف توجه منها الى لندن.
● عثمان عبد القادر عبد اللطيف حاكم الاقليم الاوسط وكان في زيارة رسمية الى المانيا الغربية وتوجه بعدها الى مصر وبعد الانقلاب الى لندن.
● الشريف زين العابدين الهندي الامين العام للحزب الاتحادي الديمقراطي كان في زيارة الى القاهرة ويعتقد انه توجه الى لندن.
● الدكتور احمد السيد حمد من قيادات الحزب الاتحادي الديمقراطي متواجد في القاهرة.





الشرق الأوسط تتابع أحداث الخرطوم

من انقلاب عبود إلى انقلاب البشير

الأزمة الاقتصادية وراء خروج المواطن إلى الشارع ومغادرة الدبابات للثكنات

التحدي الاكبر الذي يواجه النظام السياسي الجديد في السودان سيكون معالجة مشكلة اختلال الأوضاع الاقتصادية وتدهورها، التي ظلت تتفاقم منذ اواسط السبعينات حتى خلقت شعوراً باليأس في امكانية الاصلاح واعادة السودان إلى طريق الاستفادة من موارده الطبيعية والبشرية.

بقلم بروفيسور: عمر محمد عثمان

ولا تقتصر المشكلة على الصور المختلفة لمعاناة المواطنين مثل ندرة السلع الاستهلاكية الضرورية، وتدهور الخدمات الأساسية، وارتفاع معدلات التضخم، وتآكل قيمة العملة الوطنية، واختلال التوازن الداخلي والخارجي، فهذه لا تعدو أن تكون مظاهر لمشاكل اساسية وحقيقية تكاد تستعصي على الحل وتتمثل في ضعف القواعد والعناصر الأساسية التي يرتكز عليها النشاط الاقتصادي في مجمله وفي جزئياته، فأصبح تدني الانتاج والانتاجية هو السمة الغالبة في كل القطاعات وكل المؤسسات والمنشآت الانتاجية والخدمية. وقد وصل تآكل وتفكك العناصر الانتاجية الأساسية الحد الذي جعل كل المحاولات الجزئية لتأهيل واعادة تعمير بعض المنشآت في الصناعة، او الزراعة، أو البنيات الأساسية، لا تؤدي إلى النتائج الايجابية المرجوة. إن المطلوب هو المعالجة الشاملة لكل تركيبة الاقتصاد الوطني وتقوية القواعد التي ترتكز عليها.

إن الذي يتعمق في دراسة العوامل التي تسببت في التغييرات السياسية في السودان، بدءاً بانقلاب ١٧ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٨ وانتهاء بانقلاب ٣٠ يونيو (حزيران) الماضي، سيجد أن تأزم الوضع الاقتصادي وتأثيره المباشر على حياة المواطن العادي كان دائماً هو العامل الحاسم الذي دفع المواطنين او الدبابات للخروج للاطاحة بنظام سياسي فشل في تلبية ابسط ضرورات الحياة. وقد تجلى ذلك في اوضح صورة في فشل نظام ٢٥ مايو (ايار) في معالجة المشاكل الاقتصادية والتي تفاقمت بدرجة خطيرة بسبب التخبط في السياسات الاقتصادية وسوء الادارة. فكان طبيعيا وحتمياً أن ينهار كما حدث في ابريل (نيسان) ١٩٨٥.

ثم جاءت الحكومة المنتخبة التي تولت الحكم في يونيو (حزيران) ١٩٨٦ وقد اتيحت لها فرصة قلما يجود بمثلها الزمان لأي نظام سياسي جديد، وكان من الممكن لهذه الحكومة، لو احسنت استثمار هذه الفرصة، أن تعيد الاقتصاد السوداني من جديد إلى طريق الاستفادة من موارده الطبيعية المعطاة وامكانياته البشرية المقتدرة، وتمثلت هذه الفرصة بجانب المساندة الواسعة من معظم القوى السياسية والاجتماعية في الداخل واستعداد الدول الشقيقة والصديقة للمساهمة، الدراسات الاقتصادية والفنية والتوصيات ومؤشرات البرامج والخطط الاصلاحية التي تضمنتها وثائق المؤتمر الاقتصادي القومي الصادرة في مارس (اذار) ١٩٨٦ والتي اجمعت عليها كل الاحزاب والحركة النقابية وتنظيمات رجال الاعمال التنفيذيين والمتخصصين الأكاديميين. ولكن كما سبق ان تناولت ذلك بتفصيل في العديد من المحاضرات والمقالات. فقد عجزت الحكومة المنتخبة عن الاستفادة من هذه الفرصة لأن معالجة المشكلة الاقتصادية لم تكن ابدا من أولوياتها، فظلت الاوضاع تتفاقم بصورة مريعة، واصاب الشلل اجهزة الحكم كلها وخاصة الاجهزة المسؤولة عن رسم وتنفيذ السياسات الاقتصادية، واصبح التخبط والتضارب، بل والضباب الكامل للسياسات، يشكل السمة البارزة لتصرفات اجهزة الادارة الاقتصادية. وقد وصل الحد بأن يعترف رئيس الوزراء في حديث صحفي مع جريدة «الوطن» في الاسبوع الأول من شهر يونيو (حزيران) حول عجز الحكومة عن تخفيف الضائقة التي يعاني منها المواطنون بأنها «لا تستطيع أن تفعل اكثر مما تفعل» وأن يعلن وزير المالية عجزه عن وضع الميزانية السنوية لسبب ضخامة العجز بالنسبة للايرادات. وينتهي الامر بأن يتقدم بميزانية يعتمد فيها على اقتراض بليوني جنيه سوداني من النظام المصرفي والذي يعني في الواقع الاعتماد على مطابع البنك المركزي. وإذا علمنا أن الرقم الفعلي للاقتراض يتجاوز دائما الرقم الذي يضمن في مشروع الميزانية لاكتشفنا مدى التمادي في التخريب الاقتصادي. والتخريب ليس متعمدا ولكنه نتيجة لتراكمات السياسات الخاطئة تضافرت معها الكوارث الطبيعية والحروب والمشاحنات الداخلية وعجز الحكومة عن معالجة المشاكل التي ورثتها من النظام السابق بالقدر الكافي من الجدية.

مؤشرات نحو معالجة المشكلة

تشير البيانات الصادرة عن قيام النظام الجديد إلى أن التركيز في المرحلة الحالية سيكون على توفير السلع الاستهلاكية الضرورية بتحسين قنوات توزيعها وزيادة الكميات المطلوبة منها ومحاربة صور الفساد فيها والتحكم في اسعارها. هذه خطوات اساسية ومهمة يتعين اتخاذها بأعلى مستويات الحزم والجدية، على الاقل تحقيقا لاهداف سياسية بتأكيد مصداقية النظام الجديد وجدارته بثقة المواطنين في قدرته وجديته في محاربة الفساد.

ولكن النتائج الايجابية التي يمكن أن تسفر عنها هذه الاجراءات في المرحلة الحالية قد لا تكون كبيرة ومحسوسة بدرجة مؤثرة، إذ ان المشكلة - كما اشرنا إلى ذلك - نتجت اساسا من ضعف القدرة الانتاجية على انتاج السلع والخدمات الأساسية محليا وضعف الموارد اللازمة لاستيراد ما يتعين استيراده من الخارج. ولذلك فان الحل الناجع للمشكلة هو العمل على زيادة الانتاج في كل المواقع. ولكن هذه الحقيقة يجب أن توضح للمواطنين وترسخ في اذهانهم تفاديا لانتكاستهم مرة أخرى للشعور باليأس والاحباط ومن اجل استنفارهم للتعاون في زيادة الانتاج وفي تقليل الاستهلاك في الجوانب التي يمكن التقليل منها، ثم لتشجيعهم وحفزهم على تحمل الاجراءات القاسية التي يتحتم اتخاذها في سبيل الاصلاح الاقتصادي وتعاونهم في تحقيق أهداف السياسات الاقتصادية الجديدة.

خطة انقاذ عاجلة

ومن الضروري ان يصاحب هذه الاجراءات العاجلة لتخفيف الضائقة التي يعاني منها المواطنون -بالرغم من محدودية أثرها - وضع وتنفيذ برنامج انقاذ عاجل قصير الاجل تتراوح فترته بين ثلاث وأربع سنوات على غرار «خطة الانقاذ العاجلة» التي طرحها المؤتمر الاقتصادي القومي في مارس (اذار) ١٩٨٦، والتي تبنتها الحكومة السابقة من حيث المبدأ ثم ماطلت في تنفيذ اجراءاتها ثم لجأت بعد ذلك إلى المبالغة في تفخيمها وتضخيمها للدرجة التي فشلت معها في تنفيذها - ذلك إذا افترضنا صدق عزمها وجديتها في تنفيذها - فظلت معطلة حبراً على ورق. والخطة العاجلة تقوم أساسا على زيادة الانتاج في المنشآت الانتاجية القائمة مع بعض الاضافات في الجوانب التي تتصل بتوفير السلع الاستهلاكية الضرورية مثل اللحوم والخضر والفواكه.

ولن يستغرق وضع خطة انقاذ عاجلة جديدة أكثر من بضعة شهور، إذ ان كل الدراسات متوفرة، وكل البدائل التي يمكن الاختيار من بينها ايضا متوفرة، ولا يبدو ان الموارد الخارجية اللازمة لخطة انقاذ عاجلة محدودة الأبعاد ستشكل مشكلة، إذ أن الجزء الأكبر منها مقرر ضمن مشروعات إعادة التأهيل الجاري تنفيذها، كما أن الترحيب الذي وجده النظام الجديد في الدول العربية الشقيقة والدول الغربية يشير إلى امكانية الحصول على موارد اضافية لتنفيذ الخطة المقترحة.

نحو استراتيجية تنمية سودانية

بالرغم من ان خطة الانقاذ العاجلة المقترحة ستعالج امر اعادة تأهيل المنشآت القائمة بصورة افضل من المحاولات الجزئية السابقة بسبب المعالجة الشاملة التي تنتهجها، فانها ليست البديل للبحث عن استراتيجية سودانية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة، والتي ترتكز على دراسة وتفهم العوامل المؤثرة في تركيبة السودان الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية. إن غياب مثل هذه الاستراتيجية السودانية والاستمرار في اساليب العهد الاستعماري هما السبب في الفشل حتى الآن في الاستفادة الكاملة من امكانيات السودان، وضعف معدلات النمو الاقتصادي والتقدم الاجتماعي مقارنا بالبلاد الأخرى التي لا تتمتع بمثل الموارد التي يتمتع بها السودان. ويمكن للبحث والتفكير والدراسة في اطار هذه الاستراتيجية ومكوناتها أن تتواصل خلال فترة تنفيذ الخطة العاجلة المقترحة حتى تأتي الخطط المستقبلية متمشية مع الاستراتيجية التي يتم التوصل إليها.

* البروفيسور عمر محمد عثمان تولى عمادة كلية الاقتصاد في جامعة الخرطوم (١٩٦٢-١٩٦٨) ثم مديرا للجامعة، ثم نائبا لرئيس المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في افريقيا، ثم رئيسا للمؤتمر الاقتصادي القومي (١٩٨٦).

من مظاهر الازمة الاقتصادية في السودان: المظاهرات التي حدثت في الخرطوم في ديسمبر (كانون الثاني) الماضي ضد زيادة اسعار السلع الاستهلاكية.

الشرق الأوسط تتابع أحداث الخرطوم

المطاردة المتواصلة في السودان بين الديمقراطية والجنرالات «٤»

بعد لقاء الخميني في باريس بدأ اللغز الإيراني في حياة المهدي

في الوقت الذي كنا نعرض اغلاط الصادق المهدي الخمس الكبرى التي شكلت في معظمها السبب الأهم لحدوث الانقلاب العسكري الذي قام به يوم الجمعة ٣٠ يونيو (حزيران) ١٩٨٩ مجموعة من الضباط يقودهم العميد عمر حسن احمد البشير، اذا بالسيد الصادق المهدي يفاجئنا بالغلطة الأكبر وهي الهرب في محاولة للنجاة من القبض عليه وايداعه السجن ومحاكمته.

بقلم: فؤاد مطر

وللهرب حسنات وسيئات. اما الحسنات فأهمها على الاطلاق ان الرجل يبقى قريبا من ناسه فلا يرتبكون ويقدمون على امور من شأنها تعقيد الموقف لأن ما فيه من تعقيد يكفي. واما السيئات فلأن الهرب ليس من صفة الشجعان، وما هو معروف عن السيد الصادق انه شجاع.

ولعل من المناسب هنا عدم الاكتفاء بالحسنة الاهم والسيئة الاهم، وسرد ما هو الاقل اهمية من هذه الحسنات وتلك السيئات على اساس ان ما يبدو من وجهة نظري ككاتب يتابع التطورات التي تحدث في السودان هو الاهم قد يكون في نظر الغير هو المهم وان ما يرونه مهما قد يكون هو الاهم.

ومعذرة من كثرة شرح هذه النقطة لكي لا يبدو اننا نتحدث عن لغز.

ولنعرض معا بعض الحسنات والسيئات للهرب الذي نحن في صدد الاشارة اليه.

ان الهرب بالنسبة الى زعيم مثل السيد الصادق المهدي وهو الذي ذاق متاعب الاحتجاز والاعتقال من شأنه ان يبعد عنه هذا الكابوس.

ومن شأن الهرب ايضا ان يبدو امام جماعته بأنه القادر على ان يختفي عن انظار السلطة بفضل العناية الالهية التي تحرسه.

ومن شأن الهرب ان يوحد صفوف الانصار فلا يتفرقوا ولا تتطاير طاقاتهم هنا وهناك.

ومن شأن الهرب ان ينجو من حماقة قد يقترفها احد الذين يعتبرون انفسهم ضحايا فترة الحكم التي كان السيد الصادق فيها النجم الساطع في سماء السودان.

ومن شأن الهرب ان يحاول تحقيق التآلف بين القلوب وبحيث يتطور التآلف الى تحالف بين الصفوف. وبعد هذا التحالف تبدأ مرحلة الاستعداد لجولة اخرى من المبارزة بعدما يكون الحكم الجديد قد اكتشف ان امر حل مشاكل السودان ليس بهذه البساطة وان المسألة ليست عصا سحرية لمجرد ان يلمسها العاجز عن ايجاد حل لمشكلة فان المشكلة تجد الحل على الفور.

هذا على الصعيد الحسنات. أما على صعيد السيئات فان الهرب سيجعل من الصادق هاجسا يأكل في صحن الحكام الجدد وينام معهم ويلازمهم في تحركاتهم. ومثل هذا الهاجس معناه ان يرتبك عمل الذين قاموا بالانقلاب بمعنى انهم بدل ان ينشغلوا في تحقيق هدفهم الذي هو انقاذ السودان فان انشغالهم سيتحصر في رصد هذا الهاجس وتعقب ظهوره والتحسب لما قد ينتج عن هذا الظهور.

كما ان من سيئات الهرب ان الصادق المهدي قد يستفز الانقلابيين الذين باتوا اقوى بعد اعتراف العديد من الدول بهم وبعدما اوفد كل من الرئيسين حسني مبارك ومعمر القذافي من يمثلهما الى الخرطوم للتباحث مع هؤلاء والوقوف على امانيهم وتطلعاتهم.

ومن يعرف السيد الصادق بمثل معرفتي به يعرف ان الرجل لا يتحمل الاستفزاز، فضلا عن انه ليس من السهل ان يتحمل تصور تغير حاله بين رمشة عين والتفاتتها.

ومن هذه صفاته وفي الوقت نفسه لديه هذا الكم الهائل من الانصار يجنح الى التحدي.. ونخاف على الصادق الذي هرب ان يتمكن - وهو القادر على ان يجد في طول مدن وقرى السودان الموزعة على المليون ميل مربع التي هي مساحة السودان من يأويه ويحميه وينصره - من الوصول الى قلعة الانصار (الجزيرة أبا) وتتكرر من هناك المأساة التي سبق ان حدثت قبل بضع سنوات عندما واجه الانصار برماحهم وسيوفهم وبنادقهم ورشاشاتهم وصلابة معتقداتهم القوات السودانية التي بعث بها الحكم الجديد زمنذاك ونعني به حكم الرئيس نميري. ونخاف ايضا ان تتحكم مشاعر العنفوان عند الانقلابيين الجدد بمثل ما سبق ان تحكمت في نفوس نميري ورفاقه فتحدث المواجهة التي ستكون مشكلة

اذا سال فيها الدم لأن الدم سيكون اكثر غزارة من ذلك الذي يسيل حتى الآن في حرب الجنوب. كما انها ستكون مشكلة اذا هي لم يحدث حسم لها.

وعندما نكتب هذه الأسطر فاننا نأخذ في الاعتبار انه مثلما ان للسيد الصادق في طول السودان وعرضه انصارا على استعداد لايوائه ونصرته وتقديم العون له الى ان يبلغ الهدف الذي يسعى للوصول اليه، فان له ايضا من هم على استعداد للوشاية به او الحاق الأذى بشخصه.

وقد يتواصل الهرب لكنه لن يحقق الغرض في اي حال.

وقد تحدث حماقة ويتم انهاء حياة الصادق بالطريقة التي تم بها انهاء حياة عمه الامام الهادي. وهذه على ما يبدو سنة من يرفع السيف في وجه الذين يقومون بانقلاب داخل السودان او خارجه وان تفاوت رد الفعل تبعا للمزاج ولنوعية الدم بمعنى انه من النوع الذي يفور بسرعة أو يبقى ينساب بهدوء في شرايين صاحبه مهما كانت حدة الاستفزاز وشراسة اسلوب التحدي.

وما يجعلنا نطمئن نحن الذين عرفنا السيد الصادق واحببنا فيه توجهاته الفكرية، انه كان في بعض مجالسه يوجه اللوم دائما الى عمه الهادي ويقول عنه انه بعناده اوصل الانصار الى حافة الهاوية وانه ارتكب غلطة العمر عندما وضع كيان الانصار في مواجهة مع المؤسسة العسكرية السودانية فانتهي الأمر بنا الى التشتت والى حد اننا لا نعرف حتى المكان الذي دفنته فيه قوات نميري. لكن هذا التقييم سمعناه من السيد الصادق عندما كان مازال معارضا ومازال غير مقتنع بصوابية خط عمه الامام. والمعروف ان الذين ينتقلون من المعارضة الى الحكم يعيدون النظر في بعض المفاهيم لاعتبارات تفرضها طقوس السلطة التي تجعل المرء احيانا يتساهل في الامور المبدئية ويرى البديهيات امورا صعبة. ولو كنا سنعقد مقارنة بين مواقف السيد الصادق المعارض ومواقف السيد الصادق بعدما اصبح الرجل الاول والقوي في الحكم فاننا سنكتشف ان الاستناد الى مواقف الماضي يجب ان يكون على شيء من الحذر لأن الحكم يغير الرجال والطباع واحيانا باستدارة ١٨٠ درجة. وهذا ما حدث

اللقاء الأول بين الصادق المهدي والخميني في «نوفل لو شاتو» من اليمين: الزميل فؤاد مطر ناشر ورئيس تحرير مجلة «التضامن»، صهر الخميني، الصادق المهدي، الخميني، ابراهيم يزدي الذي شغل لبعض الوقت منصب وزير الخارجية، عثمان خالد، آية الله حسين منتظري.

للسيد الصادق ومعه.

ومعذور في ذلك ام غير معذور، تلك مسألة اخرى. لكننا نخشى عليه بقدر ما يخشى الانقلابيون الجدد منه، ان يتوج حالة الهرب بمواجهة جديدة لا ندري اذا كانت ستقتصر على الجزيرة ابا بعدما قيل ان الميليشيات جاهزة وفقا لمفاهيم الخبرة والتعبئة التي تبدو ايران قريبة منها، أو على الاقل انها ليست بعيدة عنها.

ولنتصور حجم هذه المواجهة في زمن تطورت فيها ادوات المواجهة فلم يعد الرمح والسيف وبنادق الاجداد هي السلاح وانما هنالك كل انواع السلاح وهنالك حتى الصواريخ.

... وهنالك وفي السودان الخطر الكبير والشر المستطير، خبرة اربع عشرة سنة من الحرب اللبنانية التي تقوم على القصف العشوائي. وهنالك ايضا ايران التي استطاعت خلال حكم السيد الصادق ان تبني جسورا بقوة الفولاذ معه ولا ندري ما الذي فعلته خلال ثلاث سنوات الا ان الخشية كبيرة من ان تكون بعض مدنها مراكز تدريب للميليشيات وتكون قد زودت السيد الصادق بالكثير ما تحتاجه المواجهة التي كان على رغم استبعاده للانقلاب العسكري ضد حكمه يعرف ان هذا الانقلاب لا بد سيحدث ذات يوم.

وعلاقة السيد الصادق بايران ليست قديمة ولكنها تدعو الى الحيرة.. ولانني طرف طيب النوايا في هذه العلاقة فانني اجد الفرصة مناسبة للتطرق اليها مستأذنا القارىء في انني سأغفل بعض الوقائع لأن ليس كل ما يعرف يقال... أو بالأحرى يجب ان يقال، خصوصا اذا كان الذي يعرف هو كاتب مثلي تشاء الظروف احيانا ان يسمع كلاما بالغ الاهمية او يشارك في مناسبة أو مناسبات يكون الكلام فيها على درجة عالية من الخطورة. وهذه في أي حال قاعدة اعتمدها منذ ربع قرن ودائما اقول ان الصدر يجب ان يتسع لاستيعاب الغضب والاسرار. واحمد الله انني متمسك بذلك واعتبره جزءا اساسيا من اخلاقيات التعارف والتعامل.

كان الصادق المهدي في لندن عندما كان الخميني قد وصل الى باريس واستقر به المقام في «نوفل لو شاتو». وفي ذلك الحين كان الخميني هدفا يسعى اليه الصحافيون امثالي والسياسيون المعارضون امثال السيد الصادق المهدي الذي نلتقي به في استمرار عندما يكون في لندن التي مارس فيها نشاطا سياسيا عريضا وكانت اذا جاز التعبير مثل محطة الاقمار الاصطناعية بالنسبة الى نشاطه هذا وبالذات في السنتين اللتين سبقتا عودته الى الخرطوم متصالحا مع حكم نميري.

وذات يوم رتبت للسيد الصادق لقاء مع الخميني وتوجهنا من لندن الى باريس. وكان مع الصادق احد قادة الحركة الاسلامية في السودان عثمان خالد الذي كانت العلاقة مضطربة بينه وبين الدكتور حسن الترابي وكان بسبب ذلك حليفا للصادق.

توجهنا من مطار شارلي ديجول الى مقر الخميني بعد استراحة عابرة في الفندق. كان الجو باردا. وكل منا يرتدي الثياب الثقيلة والمعاطف.

كان الترحيب حارا بالضيف السوداني الكبير. وجلسنا ارضا. الخميني في الوسط ونحن حوله. وكان آية الله منتظري في ذلك الوقت قد وصل حديثا الى مقر الخميني فشارك في اللقاء.

الحديث حول الاسلام. واللغة المشتركة هي الانكليزية. السيد الصادق يتحدث بالانكليزية. والدكتور ابراهيم يزدي يترجم الى الفارسية ثم يرد الخميني بالفارسية ويترجم يزدي الكلام الى الانكليزية. وكان سيبدو الأمر مزعجا جدا لو ان هنالك من لا يعرف الانكليزية والفارسية خلال هذا الحديث حول الاسلام والقرآن الذي نزل على نبيه العربي.. عربيا.

ولم تستغرق الجلسة التقليدية على الارض طويلا. ثم ادى الصادق الصلاة وراء الخميني.

وبعد هذا اللقاء الذي كان ودودا ازداد نميري تطرفا في موضوع التوجه الاسلامي وازدادت ضغوط دعاة هذا التوجه المحيطين به في القصر الجمهوري أو في قاعة الصداقة او الذين يلتفون حوله لتأدية صلاة الجمعة في المسجد القريب من منزله.

ومن خلال ذلك اللقاء في «نوفل لو شاتو» لم اقف على النوايا والاهداف. فاللقاء للتعارف.

لكن الامور تطورت بعدما زار الصادق المهدي ايران وعقد لقاءات مع اهل الحكم الذي كان قد تسلم المقاليد هناك.

وفي تلك الزيارة لم يقابل السيد الصادق الخميني الذي بات لا يستقبل احدا بعد عودته من المنفى لكنه في اللقاءات التي عقدها مع مراكز القوى المؤثرة في السلطة زرع بذرة تعاون بينه وبين الحكم الايراني. ولمجرد ان حدثت الانتفاضة وسقط حكم الرئيس نميري وبدأ الصادق يمارس دوره بدأت النبتة الناشئة عن تلك البذرة تظهر وتكبر يوما عن آخر. وعندما انتهت المرحلة الانتقالية واصبح الصادق المهدي صاحب القرار الاول في السودان احاط تلك النبتة بعنايته وفتح النوافذ السودانية امام الايرانيين الباحثين عن دول يتولون تصدير ثورتهم اليها والانطلاق منها لتصدير هذه الثورة الى مناطق اخرى.

واذا جاز التشبيه فان الثورة الايرانية ارادت ان يكون السودان مثل المطار الذي تحط فيه طائرة تقوم برحلة بعيدة ولا بد لها من التوقف في مطار في منتصف الطريق للتزود بالوقود.

تلك كانت اهمية السودان بالنسبة الى الحكم الايراني. يريدونه للانطلاق منه الى افريقيا لان ايران بعيدة جدا عن القارة السمراء. ويرون في علاقة استراتيجية مع هذا البلد ما من شأنه ان يشكل ضغوطا على مصر بحيث تتوقف هذه عن مساندتها للعراق.

وقد اخترقت تلك العلاقة مع ايران والأفكار التي سمعها المهدي من «فقهاء» الثورة الايرانية غشاء الواقعية في تفكير الصادق فجعلته نتيجة ذلك يعرض علاقاته بالقوى السياسية التي لا بد من مؤازرتها كي يحقق السودان بعض الاستقرار الى الاهتزاز.. ولقد اهتزت هذه العلاقات بالفعل وحدث ما يجوز اعتباره نفض اليد من الحكم الذي يقوده الصادق المهدي.

وفي بعض المراحل كادت ثقة العراق بالسيد الصادق تتوافر خصوصا بعد لقاء صريح تم بين الرئيس صدام حسين والسيد الصادق وكان انطباع الرئيس العراقي عن الصادق جيدا، لكن سرعان ما تبددت هذه الثقة وحل محلها الحذر، بعدما فوجىء الرئيس صدام بموقف من الصادق يصعب على كثيرين فهمه سوى انه الاساءة عن سابق قصد وتصميم. ومن الطبيعي عندما يكون العراق يعيش وهج انجازات معركة التحرير ثم تعمد حكومة السيد الصادق الى تحويل انظار السودانيين عن هذا الوهج بتوجيه الاتهام الى دبلوماسي عراقي بأنه يشتبه بوجود علاقة له في حادث اغتيال مهدي الحكيم في فندق هيلتون - الخرطوم... من الطبيعي عندما يحدث ذلك ان تصيب العراق خيبة امل كبرى بهذه الغلطة التي يقترفها السيد الصادق المهدي والتي لا تبدو عفوية وانما هي متصلة في شكل او آخر بـ «اللغز الايراني» في حياة السيد الصادق المهدي وبالذات بعد لقاء التعارف بالخميني في باريس وبعد لقاءات لا ندري ما الذي جرى بحثه فيها تمت في ايران.

ويبقى ان فرصة ذهبية ضاعت على السودان هي فرصة ان يكون هنالك عهد من الديمقراطية ويحكم البلد زعيم له ثقافة السيد الصادق المهدي وشعبيته.

ولكن الصادق تعثر لأنه استمر اسير الامامة والحكم. امامة طائفة الانصار وحكم السودان.

... ولقد ضاع الحكم

... وتعقد موضوع الامامة.

... وبقي السودان عرضة لمطاردة اخرى بين الديمقراطية والجنرالات.

بهذه الحلقة تنتهي حلقات «المطاردة المستمرة في السودان بين الديمقراطية والجنرالات» التي كتبها بطلب من «الشرق الاوسط» الزميل فؤاد مطر ناشر ورئيس تحرير مجلة «التضامن» التي تصدر من لندن.

كتاب جديد من تاليف مايلز كوبلاند تنفرد الشرق الأوسط بنشره

«أجاكس»: الاطاحة بمصدق

لاعب اللعبة

تعريب: ماجد سرحان ١٦

● في الحلقة الماضية. تناول كوبلاند تاسيس اول هيئة للعمل السياسي ورئاسته لها في بداية عمله الجديد بوكالة المخابرات المركزية الاميركية والتي تم إحداثها من اجل مواجهة الاعمال السرية التي يقوم بها الاتحاد السوفياتي. واشار الى مواقع المواجهات التي حصلت في بعض بلدان الشرق الاقصى وافريقيا. كما عرض لجانب من اوجه الصراع داخل الادارات الاميركية وتاثير ذلك على مجمل العمل الاميركي في الخارج.

كما اماط اللثام عن ان سي.آي.ايه لجات الى الشعوذة والسحر والعرافين للتاثير على بعض قادة العالم الثالث ومن خلالهم نجحت في تدبير الانقلاب العسكري ضد نكروما في غانا وسوكارنو في اندونيسيا.

وفي الوقت الذي اكد فيه ان الرئيس جمال عبد الناصر هو الوحيد الذي لم يعتمد على ارشاد المنجمين والسحرة، الا انه كان من عاداته ان يصغي باهتمام للمساعدين والاصدقاء الذين كان يرتاح اليهم مثل هيكل الذي كان ينقل اليه «الكلمة» الاميركية بوضوح اكبر وإقناع اقوى.

ويواصل كوبلاند في حلقة اليوم، الحديث عن واحدة من انجح عمليات سي.آي.ايه. في ايران وهي الاطاحة بحكومة الدكتور مصدق وإعادة الشاه بعد هروبه من طهران، ويقارن بين عملية «اجاكس» والتي لم تكلف سوى مليون دولار بعملية جواتيمالا الفاشلة على الرغم من انها كلفت ٢٠ مليون دولار. كما يوجه الانتقاد المرير الى اجهزة سي.آي.ايه التي تحولت الى مجموعة من البيروقراطيين الذين تركوا مهامهم الاصلية للتنافس على احتلال المناصب داخل الوكالة.

من بين الاقطار التي جلبت اهتمام هيئة العمل السياسي في البداية كان اكثر من عشرين قطرا في افريقيا والشرق الاوسط ولم يكن بينها اي دولة في اميركا الجنوبية او الشرق الاقصى. الا ان رئيس قسم نصف الكرة الغربي اشتكى من ذلك وقال ان جميع دول اميركا الوسطى واميركا الجنوبية يجب ان تكون اهدافا لعملنا السياسي لانها قريبة منا مما يعني انها ستكون اهدافا للسوفيات، واي بلد معرض للعمل السياسي السوفياتي يجب ان يكون هدفا لنا نحن. وكان مصيبا بالطبع، ولكن معرفتي بتلك الدول كانت محدودة ولم اكن افهم سياساتها بصورة جيدة كما انني لم اكن اتكلم الاسبانية. وهكذا وافقت معه ـ ونسيت مع الاسف انه كان ضابطا في الجيش مما يعني ان من المرجح انه سيقودنا الى نوع من العمليات البغيضة من وجهة نظر محترفي العمل السياسي الحقيقيين.

اما بالنسبة للشرق الاقصى فكان الوضع مختلفا رغم اوجه الشبه. اذ ان خبرتي الوحيدة في الشرق الاقصى كانت في بورما (وهي خبرة محدودة). فعندما اجريت مع بوب ماندلستام الدراسة التي بنينا عليها خططنا الاساسية للعمل السياسي، كان رئيس مكتب بورما العضو الوحيد في قسم الشرق الاقصى الذي ابدى استعدادا للحديث الينا. وطوال فترة عملي مع سي. آي. ايه كان الشرق الاقصى باكمله عالما آخر بالنسبة لي كما ان موظفي سي. آي. ايه الذين عملوا فيه كانوا غرباء من كوكب آخر.

لكن صديقي الكولونيل ستيف ميد الذي ارسل الى كوريا مع اقتراب الحرب من نهايتها (قبل اسبوع تقريبا من موعد توجهي الى مهمتي في القاهرة) انضم الى شخص اسمه هانز توف وهو شخصية من طراز جيمس بوند، اشتهر ببعض بطولاته في الحرب اثناء عمله مع مكتب الخدمات الاستراتيجية. وعندما قابلته مع ستيف كان مديرا لمحطة طوكيو حيث رتب عمليات للهرب والمراوغة من الصين وكوريا الشمالية واليهما. وكان يحيك القصص عن بطولاته بشكل يجعل منجزات ستيف المتواضعة امرا تافها. لكنه كان مع ذلك شخصية رائعة. ومع ان قصصه كانت مشبعة بالخيال فانه زود كلينا بمعرفة جيدة عن طبيعة عمليات الشرق الاقصى. ولا شك في انه كان رائعا كضابط في مكتب الخدمات الاستراتيجية كما ان ما قاله لي ولستيف خلال اسبوع واحد جعلنا ندرك ان كل قسم الشرق الاقصى، باستثناء جزء صغير، لم يكن في الواقع من سي. آي. ايه التي نعرفها وإنما كان استمرارا لمكتب الخدمات الاستراتيجية. والذي جعلنا نتوصل الى هذه النتيجة هو تلك الملاحظة التي صدرت عن فرانك وايزنر ذات صباح في اجتماع للموظفين. اذ قال: «ان هانز هو ضابط المخابرات المثالي». ثم حول نظره الي وبعدئذ الى كيم واضاف القول: «من الافضل ان تتمنوا وجود المزيد من امثاله».

وبهذه الكلمات في ذهني، بدأت في القاء نظرة ثانية على الشرق الاقصى، ولكن خلسة، وبمساعدة من ستيف الذي كان قد انهى للتو جولة في كوريا قام فيها بمهمات عسكرية. ولم استغرق كثيرا من الوقت لأعرف ان قسم الشرق الاقصى في سي. آي. ايه كان تكرارا لمكتب الخدمات الاستراتيجية بل واكثر من ذلك. اذ كانت له طائراته الخاصة، واساطيل من القوارب الصغيرة، وعدد من المشاريع التجارية من كل نوع التي انشئت في الاصل كستار ولكنها اصبحت تعود الان بأرباح كبيرة، كما كان القسم يؤمن الخدمات لسي. آي. ايه على اساس عملي بحت: اذ كانت سي. آي. ايه تدفع مقابل الخدمات مثل اي زبون تجاري آخر. وذات مساء ذكرني ستيف مع كيم، ان آلن دالس وفرانك وايزنر في نظرتيهما وتفكيرهما كانا مثل قسم الشرق الاقصى من مخلفات الحرب العالمية الثانية، وانهما يكشفان من خلال محادثاتهما الاجتماعية عن تلهف على تلك الايام القديمة مع مكتب الخدمات الاستراتيجية. وقال: «انت وكيم حديثا العهد، ولذا فان دالس ووايزنر لن يشعرا ابدا بالارتياح التام معكما. فالاشخاص المفضلون عندهما هم إد لانسديل ورالف جروير وهانس توفت».

لقد قلت قبل بضع فقرات ان الامور «خرجت عن السيطرة». وبشكل ادق يجب ان اقول ان اولئك الذين اداروا سي. آي. ايه في الخمسينات والستينات انجرفوا وراء عواطفهم. وكان ذلك امرا لا مفر منه. فعندما كانت سي. آي. ايه في نعومة اظفارها كان العاملون في مكاتبنا ومحطاتنا الميدانية قد اختيروا بطريقة تشبه الطريقة التي يختار بها فريق لكرة القدم او اوركسترا سيمفونية اللاعبين، اي ان كل واحد كان افضل من يمكن العثور عليه. فمثلا كان رئيس محطة ايران ومسؤول المكتب الايراني في واشنطن يتكلمان اللغة الفارسية ويعرفان ايران معرفة جيدة، كما انهما كانا في منصبيهما لانهما كانا مؤهلين لهما افضل من الآخرين الذين يمكن العثور عليهم في جميع انحاء الولايات المتحدة. لكن قوى البيروقراطية لم تحتج الى وقت طويل لتحويلنا الى اشخاص بوظائف يتطلعون الى حياة لا تلائمهم فحسب، بل وتلائم زوجاتهم واطفالهم. فاذا ما اصبح احدنا مثلا مشهورا بخبرته في دولة ما من دول العالم الثالث فانه سيظل مرتبطا بها ولن يحصل اطلاقا على مهمة في لندن او باريس او روما.

ان حظ اي بيروقراطية من النجاح على المدى الطويل يقرره الموظفون الصاعدون الذين يلعبون «اللعبة الشخصية» القائمة على قوة الاندفاع والنمو، كما ان سلوكهم الجماعي ينعكس على اللعبة البيروقراطية. وهكذا كان الحال في سي. آي. ايه. فقد بدأنا كمنظمة حكيمة تفهم ما يجري في العالم، ولكننا سرعان ما اصبحنا مجموعة من البيروقراطيين الذين يتنافسون مع بعضهم بعضا على احتلال المناصب داخل منظمتنا، وبدأنا بالتالي ندفع المنظمة الى التنافس مع المنظمات الاخرى في محاولة لضمان افضل ميزانية وافضل الموظفين والتقدير القومي. وكان القدامى الذين واصلوا المناداة بتفضيل خبير المنطقة على الذي يعرفها معرفة عامة يخوضون معركة فاشلة. اما نحن الذين واصلنا المحافظة على بقائنا خبراء واخصائيين في مناطق معينة فقد اعتبرتنا الوكالة اناسا شاذين نطارد الاوهام والاحلام بدلا من متابعة مزايا الوظيفة المعقولة وفوائدها. اما آرتشي فكان حالة استثنائية لانه كان يتكلم اربع عشرة لغة وكان الكل يعرف ان في وسعه ان يتعلم بعض لغات اخرى خلال اسابيع قليلة. ولهذا كان الجميع يفترضون انه يستطيع اتقان اي تخصص ثقافي. لكن رؤساءنا اعتبروه شخصا غير متخصص.

عملية «اجاكس»

اما انا فلم اكن محظوظا مثله. وبعد ان عدت من مصر واصل رؤساؤنا الكبار الاشارة الي بصفتي «لورانس الجزيرة العربية للفقراء»، ولم يكن قصدهم بذلك الثناء علي طبعا. ومع انني لم ادرك الامر في حينه فان الذي الزمني بشكل لا رجعة فيه بالتخصص في منطقة، هو تلك العملية التي جرت قبل اسابيع من سفري الى مصر، الا وهي عملية اجاكس، التي قام بها كيم روزفلت عام ١٩٥٣ لانقاذ شاه ايران من رئيس الوزراء اليساري النزعة مصدق. وانا انظر اليها الان بصفتها الفصل الاخير في قصة المدنية كما عرفناها، وفي الوقت نفسه الفصل الاول من تحول سي. آي. ايه الى مؤسسة بصبغة بيروقراطية عسكرية لم يعد فيها مكان لي، مؤسسة انتهت الى التنافس مع البنتاجون في الحجم وفي الموظفين المتوسطي القدرات. وقد ادت الى استقالة كيم واستقالتي والى اعتماد الحكومة الاميركية على قوى خارج سي. آي. ايه لتحقيق ما كنا نعتقد انه يدور بخلد واضعي توجيهات مجلس الامن القومي وتعليماته.

ولكي اوضح كل ذلك ينبغي ان اعود سنتين الى الوراء لكي اصف اجاكس. ومع انها حدثت قبل الاحداث التي تناولتها في الفصول السابقة فان اهميتها لم تبدأ تعن على بالي الا بعد ان عدت الى واشنطن عام ١٩٥٥ لالقي نظرة شاملة على ما كانت سي. آي. ايه تفعله في مختلف ارجاء المعمورة ضمن اطار النشاط الذي اسند الي.

ومع انني كنت على هامش تلك العملية فانني عرفتها معرفة جيدة. فبادىء ذي بدء ارسلني كيم عشية مغادرتي واشنطن الى القاهرة عام ١٩٥٣، وقبل اسابيع فقط من العملية نفسها الى ايران لأجري الاستطلاعات الضرورية السابقة للانقلاب، مع انه لم يعطني اي دليل على انه يريد مني اكثر من اعداد «دراسة اخرى» من ذلك النوع الذي اصبحت اشتهر به في الوكالة. بمعنى آخر لم يلمح لي اطلاقا بان التفكير كان قد بدأ فعلا في عملية لانقاذ الشاه، ولهذا لم انظر الى المهمة وكأنها اهم عمل في حياتي، لا سيما وانني كنت اعتقد انني حصلت على الاذن بالاستقالة من سي. آي. ايه والانضمام الى بوز آلن اند هاملتون مستشارا اداريا في مصر.

ولم ادرك الا بعد ان درست ملفات اجاكس بعد سنتين، ان ما كان يريده وزير الخارجية جون فوستر دالس في الواقع آنذاك هو بيان واضح من شقيقه آلن دالس عن السؤالين التاليين: اذا اخفقت الحكومة الاميركية في التوصل الى تفاهم مع رئيس الوزراء مصدق، واستمرت تصرفات مصدق في إلحاق الخطر بحكم الشاه، فهل يعتبر ترتيب انقلاب لازاحة مصدق امرا ممكنا؟ واذا لم يكن الامر كذلك، ما الذي يمكننا ان نفعله لمنع تحويل الشاه الى مجرد حاكم رمزي؟ واذ استعيد الان تلك الحقبة، اجد ان السؤالين كانا من ذلك النوع النظري المشكوك فيه كتلك الاسئلة التي طالما وجهت الي في وقت لاحق عندما كنت في مصر مثلا: اذا ما قررنا ان العالم سيكون في وضع افضل دون جمال عبد الناصر فكيف نستطيع ان نتخلص من وجوده؟ اذ لم يكن هناك احد قد فكر جديا في اغتيال ناصر. وكل ما اراده دالس هو دراسة منطقية نستطيع ان نحولها الى انطوني ايدن الملتهف، لاقناعه بتهدئة نفسه. اما في حالة مصدق فمن الواضح ان دالس كان بحاجة الى الحجة التي يستطيع بها تهدئة البريطانيين. فقد كانوا في حالة من الاهتياج والقلق بعد ان امم مصدق شركة نفطهم المفضلة (شركة النفط الانجلو ـ ايرانية) وكانوا يلمحون بقوة الى اننا ما لم نفعل شيئا في ذلك الشأن فانهم سيتصرفون من جانبهم. ولا بد وان يكون ذلك عملا عسكريا علنيا نظرا لان العمل



● مصدق وهاريمان في طهران عام ١٩٥١.





● الدكتور مصدق يدافع عن نفسه محاطا بمحاميه العقيدان بزركمهر وشاهقلي عام ٥٣ ـ ١٩٥٤م.

● الدكتور محمد مصدق في لقطة طريفة مع محاميه العسكري العقيد شاهقلي اثناء محاكمته عام ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤.



● مايلز كوبلاند.



● الجماهير الايرانية.

● هندرسن، سفير الولايات المتحدة الاميركية في طهران ١٩٥٣

● فلسفة مصدق السياسية كانت شيئا اسمه «التوازن السلبي» وهي نفس الاستراتيجية التي نال بها جمال عبد الناصر سلطة جامحة في مصر وتقوم على جعل البريطانيين و الاميركيين يتنافسون على كسب وده

● الجماهير الايرانية على عكس الجماهير العربية.. تستطيع تغيير امزجتها بسرعة من نقيض الى اخر.. اعتمادا على التوقيت واختيار الحوافز بخبرة.. وهي سعيدة في العادة بالصراخ تأييدا لشخص ما.. مثلما هي سعيدة بالهتاف ضده مادام يسمح لها بالصراخ

السري كان غير وارد بعد ان رحلت الجالية البريطانية باكملها، من دبلوماسيين وغيرهم عن ايران.

الا ان كيم عندما اسند المهمة الي لم تكن نظرية اطلاقا. اذ كان قد بدأ في معالجة ادق التفصيلات، وكان يريد اجوبة عن الاسئلة التالية:

١ ـ على ضوء الوضع الحالي في ايران، كما ستفهمه، هل سنحتاج الى عمل سياسي استثنائي هناك لحماية المصالح الاميركية؟ (وسألت ما هي المصالح الاميركية هنا؟ فأجابني كيم بقوله: ان هذا هو ما يجب ان تقرره في الجزء المبكر من دراستك، ولكن ارجوك الا تعطينا احدى معلقاتك) ثم ما هو نوع العمل السياسي المطلوب؟ وما هي البدائل؟

٢ ـ اذا ما قررت ان الانقلاب ضروري، فماذا ستكون اهدافه المحددة؟ ما هي الاهداف التي سيخدمها بالضبط؟ (وسألت: هل تفكرون حقا بتدبير انقلاب؟ فرد كيم بقوله: لا تنطلق من اي فرضيات الا بهدف المناقشة والبحث. ما عليك الا ان تفعل ما اطلبه منك».

٣ ـ فيما يتعلق بالاساليب الفعلية العملية ـ وعلى افتراض ان النتائج التي تتوصل اليها تثبت ان مصدق في حد ذاته مشكلة ـ هل من الممكن مجرد تحقيق ذلك النوع من الظروف التي نستطيع معها السيطرة عليه، ام هل ينبغي عزله سواء ميتا ام حيا؟

٤ ـ بناء على اساس تلك الخبرة في سوريا التي تواصل التبجح بها، هل لك ان تصف بالتفصيل كيف يمكن تنفيذ انقلاب ضد مصدق؟

٥ ـ والى اين سيقود؟ اي ماذا ستكون النتيجة والمضاعفات؟ هل سيدوم اثر العملية؟

وتعززت شكوكي في ان الاسئلة كانت نظرية بحتة، وان مهمتي كانت مجرد تمرين بيروقراطي آخر نتيجة ما كنت اعرفه عن العلاقة القائمة بين حكومتنا وحكومة مصدق وايضا بين حكومتنا والحكومة البريطانية. مثلا عندما توقفت في طهران خلال جولتي حول العالم مع بلت جونستون وليعلن كيركباتريك، كرس السفير آنذاك وهو هنري جريدي من الجيل الايرلندي الثاني، معظم وقت المقابلة التي دامت ثلاثين دقيقة لمهاجمة البريطانيين والامبريالية البريطانية. كما انني قرأت فيما بعد برقيات بعثها الى واشنطن واعترف فيها بأنه طمأن الايرانيين بأن في وسعهم الاعتماد على التأييد الاميركي في حالة حدوث اي مواجهة.

وكان من الواضح من خلال البرقيات المتبادلة انه لم يكن الوحيد. فخلال كل تلك الضجة والجلبة التي صاحبت قرار مصدق تأميم شركة النفط الانجلو ـ ايرانية، كان المسؤولون الذين يرسلون التقارير من سفارتنا في طهران يجمعون على توجيه اللوم الى البريطانيين وينادون باتخاذ موقف مؤيد لمصدق بشكل او آخر. وكانوا يشيرون مرارا وتكرارا على سبيل المثال الى ان شركة النفط الانجلو ـ ايرانية تدفع من الضرائب للحكومة البريطانية اكثر مما تدفع عائدات للحكومة الايرانية، وانها لم تكن تسمح للايرانيين بالاطلاع على حساباتها، ولم يكن مجلس ادارة الشركة يسمح حتى بعضو ايراني رمزي فيه. كما رفضت الشركة تدريب الايرانيين في اي ميدان باستثناء ابسط الواجبات الفنية والادارية. كذلك اشتملت تقاريرهم على مقتطفات تصف ببعض مشاعر السخط الطريقة الظالمة النابعة من الازدراء التي كان يتعامل بها مسؤولو الشركة مع اهالي البلاد من موظفيهم ومع رسميي الحكومة الذين يتهورون ويطلبون الاطلاع على دفاتر الشركة وسجلاتها.

وكنا جميعا في سي. آي. ايه نعرف ان الحكومة الاميركية لم تكن تعارض تأميم الصناعات الحيوية شريطة دفع التعويض العادل لاصحابها، كما ان دبلوماسيينا المحترفين في كل انحاء العالم كانوا يرسلون تقارير من مختلف انحاء العالم يقولون فيها ان هناك «يقظة جماهيرية» عالمية النطاق، وان القومية الوطنية ليست امرا محتوما فحسب، بل والبديل الوحيد للشيوعية المحلية. وكانت محطة سي. آي. ايه في طهران قد وصفت مصدق بأنه «وطني بسيط» من النوع الذي توافق عليه ادارة الرئيس ترومان بحماسة. وكانت سياساتنا حتى نهاية تلك الادارة تعكس باستمرار تعاطفا مع «اللبرالية المعادية للامبريالية» تأييدا للاعتقاد بأن البريطانيين لم يواجهوا حقائق ما بعد الحرب العالمية الثانية. وكان مفتاح فلسفة مصدق السياسية مثلما وصفتها سفارتنا، شيئا اسمه «التوازن السلبي» وهو اصطلاح استعرته بعد سنتين عندما وصفت الاستراتيجية التي نال بها جمال عبد الناصر سلطة جامحة في مصر. فبدلا من المحافظة على الحياد باسترضاء الدول العظمى (مثلا بتقديم تنازلات نفطية للسوفيات في الشمال وترك الشركة الانجلو ـ ايرانية لتعمل دون قيود في الجنوب) نادى بسياسة تجعل الطرفين يتنافسان على كسب ود ايران ـ مثلما فعل ناصر فيما بعد.

مهمة هاريمان

وبعدئذ كان هناك ما يسمى «بمهمة هاريمان» وهي امتداد لما تمخض عن اجتماع عقد في يوم احد، بمنزل افريل هاريمان في جورجتاون. ففي هذا الاجتماع ابلغ السفير البريطاني سير اوليفر فرانكس الحضور ان البريطانيين لديهم جنود في قبرص على اهبة التحرك، فرد عليه هاريمان بأنهم سيضعون انفسهم في مكانة صعبة خطيرة ان هم فعلوا ذلك. وبعد الاجتماع مباشرة توجه هاريمان الى ايران يرافقه الخبير الاميركي الاول في موارد الطاقة آنذاك، والتر ليفي، والجنرال فيرنون والترز الذي كان قد بدأ يبرز في تلك الفترة بصفته الدبلوماسي ـ اللغوي الاول عندنا. وعندما عاد الثلاثة الى واشنطن رفعوا تقريرا قالوا فيه ان الحركة الوطنية في ايران تنمو بسرعة عظيمة وهي الميزة المهيمنة دون مراء على الحياة السياسية والاجتماعية في ايران، وان اي خطوة قد نتخذها دون اخذ هذه الحقيقة في الاعتبار سيكون مصيرها الفشل المحتوم.

الا ان مصدق ارتكب خطأ واحدا في اجتماعه مع هاريمان وهو انه هدد باللجوء الى السوفيات وتنبأ بحدوث انقلاب شيوعي. ولم يكن ذلك في رأي خبراء سي. آي. ايه في الشؤون الايرانية خطأ، لان مصدق سيفعل ما يتحتم عليه فعله ـ وهو بالطبع ما كان يقوله من يسمون بالمستعربين عن الزعماء العرب الذين شعروا ان الولايات المتحدة تخلت عنهم من اجل اسرائيل. ومهما يكن من امر فعندما حلت ادارة ايزنهاور مكان ادارة ترومان في يناير (كانون الثاني) عام ١٩٥٣، كان ذلك البند الاول الذي انقض عليه وزير الخارجية جون فوستر دالس. ولم اعرف الا فيما بعد ان الذي دفع الاخوين دالس الى التفكير بجدية في فكرة تدبير انقلاب مضاد لمصدق هو انه لن يكون انقلابا، وانما انقلابا مضادا.

كان هذا ما عرفته عندما كلفت بمهمتي الاخيرة قبل استقالتي من سي. آي. ايه لاذهب الى مصر. كذلك عرفت ان مصدق نفسه كان قد ناشد الرئيس ترومان قبل ذلك باشهر قليلة فهم موقفه ولقي تعاطفا قويا منه، وانه شعر بدهشة حقيقية عندما وقف الرئيس ايزنهاور بحزم الى جانب بريطانيا. ثم، بينما جلست لأدرس المشكلة كان اول شيء علمته هو انه كان يسود سي. آي. ايه نفسها لا سيما بين الباحثين والمحللين والعاملين في المكاتب، اعتقاد راسخ بانه يجب علينا ان نعمل مع مصدق ونتعاون معه لا ان نعمل ضده. والواقع ان مستكينا في ايران كانوا متعاطفين دون اي تحفظ معه بصفته وطنيا معاديا للشيوعية، كما انهم كانوا يعتقدون ان جميع مسؤولي شركة النفط الانجلو ـ ايرانية الذين عرفوهم (باستثناء اريك دريك المدير العام للمصفاة في عبدان) اشخاص مغرورون. وقد اغتبط مسؤول مكتب ايران ايما اغتباط عندما ذكرني بان مصدق تأهل بصفته احدى الشخصيات الممكنة من المصلحين غير الشيوعيين الذين لهم سحر وجاذبية شعبية، الذين وضعنا قائمة باسمائهم على اساس انه يمكن تطوير واحد منهم الى «بيلي جراهام مسلم».

ولم استغرق وقتا طويلا خلال مطالعتي الملفات الموجودة في مكتب ايران لاشعر بتلهف على بدء المهمة. فقد رأيت فيها نوعا من التحدي الذي يروق لي. وامضيت ثلاثة ايام هناك في قراءة ملف بعد آخر. وبعد ان قضيت عطلة الاسبوع في هدوء وسكينة توجهت الى ايران. وهناك بدأت مهمتي بنهم شديد، بعد ان التقيت بالسفير الاميركي لوي هندرسون وموظفي السفارة والعاملين في محطة سي. آي. ايه الكبيرة (وكذلك محطة سي. آي. ايه الحقيقية السرية العاملة من القسم القنصلي). وكانت المهمة سريعة، فعلى عكس المؤسسات الدبلوماسية في معظم المناصب الشاقة، كان يشغل المراكز الرئيسية المهمة في السفارة نفسها ومحطة سي. آي. ايه اخصائيون اكفاء بدلا من الدبلوماسيين المحترفين الذين يعدون الايام الباقية على انتهاء مدتهم انتظارا لليوم الذي يتركون فيه ويرتقون على السلم ليعملوا في اوروبا الغربية. كان هناك السفير هندرسون نفسه وهو صديق حميم لالن دالس وكيم روزفلت واب رمزي لجميع العاملين في الشرق الاوسط. وكان بين موظفي السفارة الرسميين اربعة على اقل يتكلمون الفارسية بطلاقة، وعلى عكس معظم الدبلوماسيين الذين يخدمون في «مناصب شاقة» متفجرة سياسيا، لم يجبنوا عن الخروج الى الشوارع ليروا بانفسهم كيف كانت قطاعات المجتمع المختلفة تشعر تجاه الامور المختلفة.

وكان هناك رئيس محطة سي. آي. ايه الذي كان جده لابيه وزيرا للدفاع في فرنسا في السابق بينما كان جده لامه وزيرا سابقا للدفاع في ايطاليا، وكان هو نفسه ضابط مخابرات يتحدث ثلاث لغات، ومن الطراز الاول. اما نائب رئيس المحطة (الذي استطيع الان ان اكشف عن هويته لانه اعترف بما كان يفعله قبل سنوات عديدة) فهو جون ووكر الذي ارتقى نجمه في سي. آي. ايه حتى اصبح في نهاية المطاف وقبيل تقاعده بفترة قصيرة المفتش العام في سي. آي. ايه في الوقت الذي كانت حاجة الوكالة ماسة الى مفتش عام اي عندما كانت حملة الكونجرس بقيادة السيناتور تشيرتش وغيره في اوجها.

«السيدة القطة»

ولاهداف دراستي، كان اكثر الذين قدموا لي اكبر قدر من المساعدة وحدة صغيرة ترأسها زوجة رئيس قسم الشيفرة واللاسلكي يطلق عليها اسم «السيدة القطة». ولابد لي من ان اقول كلمة حق عن هذه السيدة الرائعة. واعتقد انني اول شخص يكتب عنها وعن وحدتها ـ التي كان يسميها العاملون في المحطة «سي. آي. ايه الحقيقية» او «سي. آي. ايه داخل سي. آي. ايه» ـ ليس لانه لم يكن احد يعرف بوجود وحدتها فحسب، بل ولانه كان عندها وسائلها الخاصة للتعامل مع من يجرؤ على محاولة اختلاس النظر الى ما تفعله تلك الوحدة.

فعندما توجهت الى طهران ابلغني كيم بوجود «السيدة القطة» لكنه حذرني بوجوب الابتعاد عنها. ثم عدل عن رأيه عندما ادرك انها الوحيدة التي لديها اتصالات ذات قيمة مع «القطط» للاشارة الى الكثير من الاميركيين المرتدين ـ وهم من اصل ايراني (فارسي، وبلوشي وكردي وتركماني وما الى ذلك) كانوا قد جاءوا الى ايران للعمل مع الشركات الاميركية ومع «عصابة زركانه» وهم مجموعة من رافعي الاثقال الذين دعت الحاجة اليهم لتوجيه عملية استئجار الرعاع والسيطرة عليهم وتوجيههم مثلا في لحظة معينة مناسبة من مسيرة الرعاع يمكن توجيههم من الهتاف بموت الشاه وحياة مصدق الى الهتاف بموت مصدق وحياة الشاه ـ وقال لي كيم ان مواهبها الشخصية كانت التظاهر بأنها ثملة سكرانة مع انها بكامل وعيها، والتظاهر بأنها لا تتكلم الفارسية وغيرها من اللغات السائدة في ايران مع انها تتحدثها كأهلها. ولاحظت عندما وقعت عيناي عليها لاول مرة ان طلعتها لا تنصفها. اذ كانت تبدو، مع انها تجاوزت الاربعين من عمرها، كفتاة في اوائل العشرين. لكنها كانت جذابة بطريقة غريبة.

وادراكا منها بان الايرانيين يميلون الى الافتراض بان المرأة ذات الجاذبية الجنسية بلهاء، فقد اعتادت ان تعقد شعرها الاسود الطويل على شكل كعكة وراء رأسها وترتدي نظارات سميكة الاطار ولا ترتدي من الملابس الا ما هو بلون اسود، وتلف نفسها طبعا بعباءة سوداء طويلة وتغطي رأسها ووجهها كلما كانت في الخارج. وباختصار فقد كان منظرها العام مثل فتاة ايرانية عادية امضت سنة في جامعة لندن.

وقال لي كيم ان بيتها بجوار السفارة الاميركية كان «جزءا من زيها». وكان كلامه صحيحا. اذ كان يعج بالقطط والاطفال الذين تصعب السيطرة عليهم، كما كانت الضجة فيه عالية الى درجة يكاد يكون من المستحيل معها اجراء اي محادثة. وعندما توقف الاطفال عن الصراخ والصياح وساد الهدوء قالت يجب ان اتأكد انهم بخير، ثم عادت لنبدأ الحديث.

حدث هذا الاجتماع في صبيحة اليوم الثالث من وصولي الى طهران، وبعد ان تأكدت من شخصيتي. كانت تعرف كل شارع في طهران، وكل مكان للتجمع السياسي وكل زاوية مظلمة فيها وكل ركن منعزل. وبمساعدة منها قضيت صباح احد الايام في التعرف على الاهداف التي يجب على اي شخص يدبر انقلابا ان يستولي عليها (محطة الاذاعة، محطات الطاقة والكهرباء الرئيسية، المراكز الرئيسية لمقاسم الهاتف، منازل رئيس الوزراء مصدق والشخصيات الاخرى على قائمة الاعتقالات وما الى ذلك)، ثم في رسم الخط الذي يجب على رعاع المتظاهرين ان يسلكوه، والنقاط والمخارج التي ستفكر فيها الشرطة عندما يحين موعد اخضاع الجماهير للسيطرة.

استغرق ذلك مني الصباح باكمله. وبحلول الساعة الواحدة تقريبا قالت السيدة، واسمها كاثي على ما اظن، ان الوقت حان لتناول طعام الغداء، فتوجه سائقها بنا الى مقهى كان بلا ريب احد تلك التي وصفها كيم في وقت لاحق في كتابه الذي خضع لمراقبة شديدة عن عملية اجاكس.

فقد قال كيم في كتابه «الانقلاب المضاد» في وصفه: «كان فيه اميركيون غرباء يتحدثون انقى اللهجات من بروكلين وغيرها ولكنهم كانوا يتحدثون في الوقت نفسه اللهجات الكردية ولهجات كرمنشاه وخرمشهر واذربيجان بنقاء اشد بعد ان تعلموها على ايدي آبائهم وامهاتهم المهاجرين».

وبدا لي ان السيدة القطة تعرفهم جميعا. اذ قالت: «ان هؤلاء الشبان محترفون وليسوا سياسيين. وسوف يحتاجهم العم كيم مهما كان نوع الانقلاب الذي يفكر فيه».

وهكذا توفرت عندي معظم العناصر اللازمة للجزء العملي من الانقلاب. ولكن ماذا عن التأييد الشعبي؟ وهنا كانت كاثي المصدر الاساسي الذي اعتمدت عليه مرة اخرى. اذ امضينا فترة ما بعد الظهر في زيارة الاحياء التجارية حيث كان في الوسع مشاهدة كل مستويات المجتمع الايراني من ادنى درجات الفقر المدقع الى ارفع درجات الثراء. ولم يكن للفقراء جدا اهمية في عام ١٩٥٣ لان آية الله الخميني لم يكن قد اثار الوعي السياسي عندهم. ولكن كان من الواضح انهم يؤيدون الشاه بالطريقة نفسها التي يؤيد فيها تسعون بالمائة من الفقراء جدا في بريطانيا الملكية. وبعدئذ كان هناك اصحاب المتاجر. وكان هؤلاء جميعا ملكيين بصورة مطلقة كما اتضح لي من ملاحظة او ملاحظتين عابرتين تعمدت كاثي قولهما لكي ارى رد الفعل. وانا متأكد من انه كان هناك بعض اعضاء حزب «توده» الشيوعي ولكنه لم يصدر عنهم اي ردود فعل.

ووافقت كاثي معي على ما قلته عن «الجماهير» اي الحشود التي لا يسهل التمييز بينها عندما تتجمع في الشوارع في مناسبات النزاع الديني او السياسي، ثم تتضاعف بتسارع الى ان تصل ذروة لا تستطيع بعدها ان تخدم اي هدف بناء. وفي بعض الانقلابات يمكن ان تصبح بديلا للقوة العسكرية بينما تصبح في انقلابات اخرى مكملة لها من اجل بيان التأييد الشعبي للانقلاب. الا انه يجب اخمادها في انقلابات اخرى او الاصح كبحها في مهدها قبل ان يصبح القمع واضحا الى الدرجة التي يستغله مدبرو انقلاب آخر. وقد وجدت ان الجماهير في العالم العربي على درجة من الخطورة تجعل من الصعب استخدامها بشكل عملي، لكن كاثي اصرت على ان الجماهير عظيمة الاهمية في ايران. وفي وسعي ان اوافق معها بعد ان شاهدت مناسبة بغيضة في مدينة مشهد عندما مزقت جماهير من المشيعين ملابس متفرج اميركي حاول التقاط بعض الصور لاحدى الجنازات. الا ان الجماهير الايرانية، على عكس الجماهير العربية، تستطيع تغيير امزجتها بسرعة، من نقيض الى آخر.. ويعتمد كل هذا بالطبع على التوقيت واختيار الحوافز والدوافع بخبرة.

وقالت كاثي، التي شاهدت العشرات من هذه المناسبات، ان الجماهير الايرانية سعيدة في العادة بالصراخ تأييدا لشخص ما مثلما هي سعيدة بالهتاف لآخر او ضده مادام يسمح لها بالصراخ. ومن الممكن ان تنجرف الى ما وراء نقطة اللاعودة، ولذا فإذا كان لنا ان نعكس اتجاهها (اي ان نداهنها للهتاف لشخص كانت تهاجمه للتو) يجب ان نفعل ذلك قبل وصولها نقطة اللاعودة تلك. لكنني كنت اعرف ان الجماهير الايرانية او غيرها عندها عامل مشترك، وان على اي عميل للعمل السياسي ان يتأكد من تحديد هذا العامل بشكل صحيح قبل البدء في استغلالها.

وخلال جولتي مع كاثي استنتجت ان هذا امر يسهل جدا فعله في ايران. ففي الدول العربية التي عرفتها (سوريا والعراق وحتى مصر) لا يستطيع المرء مجرد الخروج الى الشوارع لالقاء الشعارات المعادية للحكومة ولو بهدف التجربة والاختبار. الا انني لاحظت في

مصدق ارتبط بشكل لا رجعة فيه مع حزب توده.. ومعنى ذلك أن الاحداث التي قد تؤدي إلى نوع من السيطرة السوفياتية على ايران كانت تقترب من نقطة اللاعودة والطريقة الوحيدة لمنع ذلك ازاحة مصدق

طهران ان الآراء السياسية كانت تحت خط الوعي عند معظم الايرانيين بدرجة واحدة فقط وان في وسع المرء ان يثيرها بمجرد ذكر اسم او اصطلاح سياسي او شعار شعبي. وكنت اعي جيدا آنذاك، ان معظم ابناء الشرق الاوسط، من الايرانيين والعرب على السواء، يقولون لمستمعهم ما يريد ان يسمعه. الا ان عينات الرأي العام التي حصلت عليها مع كاثي في ذلك اليوم اقنعتني ان وسع كيم روزفلت الاعتماد على اي انقلاب قد يفكر فيه، الى درجة قوية على رأي عام مؤيد للشاه. وعندما عدت الى واشنطن سخر زملائي ذوو النزعة اليسارية في سي. آي. ايه وايران مما توصلت اليه من نتائج بعد دراسة عينات الرأي العام ليوم واحد فقط.

وفي الوقت نفسه قلت لنفسي ان المسألة ابسط مما ينبغي لا سيما وان المثقفين اليساريين الذين كانوا قد امضوا بعض الوقت في ايران، كانوا مقتنعين بأن العكس تماما هو الصحيح. يضاف الى ذلك ان عددا من موظفي مكتب ايران الشباب في واشنطن كانوا متأثرين بكتابات كل الخبراء «القوريين» الثورة على الابواب، الجماهير على وشك الاستيقاظ كراهية البريطانيين في ايران مستشرية وما الى ذلك. ولذا كان علي ان آخذ ذلك كله مأخذ الجد لا سيما وان تعليماتي في واشنطن كانت تشتمل على «حقن» قوية مؤيدة لمصدق ومعادية لشركة النفط الانجلو-ايرانية. وكان افريل هاريمان الحكيم المحترم، قد ذكر في تقريره ان الحركة الوطنية في ايران هي العنصر المهيمن على الحياة السياسية والاجتماعية كما قال بالحرف الواحد: «ان اي تحرك او خطوة.. لا تأخذ هذه الحقيقة في الحسبان سيكون مصيرها الفشل المحتوم». كذلك كان خبراؤنا في الشؤون الايرانية يصرون على ان مصدق كان مضطرا الى فعل ما يفعله نظرا للظروف المحيطة به.

لكن ما هي تلك الظروف؟ لقد امضيت اسبوعا في ايران لكنني لم اجد منها شيئا. والدليل الوحيد على احتمال وجود بعض تلك الظروف هو الملاحظة التي صدرت عن مصدق نفسه عندما تنبأ في اجتماعه مع افريل هاريمان بحدوث انقلاب شيوعي واضاف القول انه لا يستطيع منعه الا باللجوء الى السوفيات. ولهذا كنت بحاجة الى الاطمئنان على ذلك العنصر من الانقلاب الذي يفسر في نهاية الامر النجاح في هذا النوع من الانقلابات التي كان لي فيها بعض اليد والخبرة: ذلك العنصر هو الجيش. وهنا لجأت الى ملحقنا العسكري الذي اؤكد انني نسيت اسمه، لانه كان يفهم عمله جيدا، والى جيري دوهر مغامر السفارة الذي كان اجرأ العملاء الذين التقيت بهم حتى ذلك الوقت ماعدا ستيف ميد. وحصلت منهما على رواية مفصلة عن المكائد والدسائس في ايران، التي للجيش ضلع فيها بما في ذلك النزاع بين رئيس الاركان وهو محتال اسمه الجنرال رياحي وبين سلفه الجنرال علي رزمرة الذي اصبح رئيسا للوزراء الى ان اغتيل لانه كان «اداة للاميركيين والبريطانيين» بشكل واضح مثلا كان من المألوف دائما مشاهدة سيارات الليموزين الدبلوماسية الاميركية والبريطانية امام منزله وقت العشاء.

وحصلت منهما (من جيري بشكل خاص فهو الذي تلاعب بعلي رزمرة في السلطة) على كل الادلة التي كنت بحاجة اليها عن مساندة الجيش لاي ضابط مشهور من الموالين للشاه يتحدى رياحي. وذكرا بشكل خاص الجنرال فضل الله زاهدي كشخص «ممكن». ولم اكن اعرف ان الجنرال زاهدي كان «نقطة الحشد» التي يفكر فيها كيم، ولكنني ادركت ذلك عندما طمأنني جيري بانه يعادي البريطانيين بصورة موثوقة.

وهكذا، وبعد اقل من اسبوعين في ايران كتبت ما اعتقدت انه تقرير من الطراز الاول. وبعد سنوات عديدة كتب صديقي باري روبن عن الجهل وسوء الفهم المتبادلين في العلاقات الاميركية - الايرانية فقال: «ان الاستراتيجيين الاميركيين اعتبروا ايران قطعة من الشطرنج على مسرح اللعبة الدولية السياسي، قادرة على اتخاذ خطوات عسكرية وسياسية فعالة من اجل تأييد الاستراتيجية العظمى دون الاشارة او الرجوع الى توتراتها الداخلية». والواقع انني كنت بطريقة متواضعة احد اولئك الاستراتيجيين، ولكنني اعربت عن وجهة النظر هذه بالذات عندما قدمت بحثي الى كيم لدى عودتي من ايران، التي كان الوضع فيها يحتوي على كل ما يلزم للانقلاب.

فقد كان مصدق يمثل هدفا سهلا (اي انه كانت هناك معلومات صحيحة كافية عنه تشن حملة لاغتيال شخصيته)، وكان فيها رأي عام «مرن» يميل بما فيه الكفاية الى جانب الشاه مما يساعد الاهداف العملية وهناك الصحافة (اذ ان رئيسي الصحيفتين الرائدتين في البلاد كانا يتلقيان المساعدات والاعانات من شركة النفط الانجلو- ايرانية لكنهما كانا مستعدين لاقامة علاقة اكثر دواما معنا، كما ان اغلاق الصحف المعادية للشاه لم يكن بحاجة الى اكثر من بضع قنابل حارقة. وهناك سبل تنظيم المظاهرات الجماهيرية وتوجيهها في الاتجاه الصحيح، والجيش والشرطة والمخابرات (سافاك) ووكالة الامن الايرانية، واهم من ذلك كله «مزاج» الشعب الايراني الموالي للشاه. وبالاضافة الى ذلك ايضا كان هناك «عمالقة زركانه» اي كل ما يلزم للانقلاب.

اذن كيف يستطيع كيم تحقيقه؟ لقد كتبت بمساعدة كاثي خطة مفصلة خطوة خطوة، بنيتها على انقلاب حسني الزعيم في سوريا ولكن مع ادخال تحسينات نابعة من اتساع نطاق معرفتي وادراكي بأن ايران ليست سوريا. وكان هناك بالطبع حقيقة اخرى وهي ان معظم زملائنا الذين يفهمون ايران حقا كانوا يحبذون ابعاد السوفيات عنها باعطاء مصدق ببساطة كل ما يريده (وكانوا يعتقدون مثل معظم العاملين في سفارتنا ان طلباته معقولة) ولكن كان هناك اعتبار واحد يطغى على كل ذلك وهو العناد البريطاني. والاهم من ذلك كله: ايهما اهم من وجهة نظر ادارة ايزنهاور، حسن النية البريطانية ام ارضاء مجموعة من الاكاديميين اليساريين؟ كان الجواب واضحا الى الحد الذي تجاهلت معه جميع الاسئلة التي كان من المفروض ان اجيب عنها ماعدا تلك التي تفترض سلفا ان سادتنا قرروا ضرورة الانقلاب العسكري.

لكنني كنت انسى: اذ كان هناك سؤال آخر ايضا اسهبت في الحديث عنه ببلاغة في مسودة بحثي النهائية. ذلك هو السؤال المتعلق بمضاعفات الانقلاب وما يعد حدوثه. فقبل الفي سنة، وفي حقبة تشون تشوي (اي الربيع والخريف) من التاريخ الصيني ورد ابسط المبادىء الاستراتيجية جميعا في بحث بعنوان (بنج فا) اي «فن الحرب». وهذا المبدأ هو انه يجب على اي زعيم عسكري الا يتخذ اطلاقا اي اجراء سياسي او دبلوماسي او حزبي الا بعد ان يتفحص كل العواقب الممكنة لذلك الاجراء ويجد انها مقبولة. انه شيء بديهي. الا ان حكومتنا كانت في اغلب الاحوال تفعل شيئا او آخر لمجرد انه الشيء الواضح دون ان تكلف نفسها عناء التفكير لدقائق خمس، في ما يمكن ان تكون عواقبه. لكننا التزمنا في هذه الحالة بذلك المبدأ التزاما مطلقا. اذ قلت انه على الرغم من كل الاعتراضات على الانقلاب وبغض النظر عن مدى صواب الخبراء في تقديراتهم، فان اي عملية اوصي بها من هذا القبيل - سواء اكانت مع مصدق ام ضده او مع الشاه ام ضده - ستتلوها فترة عذبة من النور لمصالحنا الخاصة ومصالح الشعب الايراني شريطة ان نتبعها بدعم قوي حقيقي لأي شخص ينتهي الى السلطة.

وغادرت واشنطن متوجها الى القاهرة في الرابع من يوليو (تموز) عام ١٩٥٣ بينما توجه كيم الى طهران عن طريق بيروت ودمشق وبغداد ثم عبر الحدود العراقية - الايرانية مرورا بخانقين، بعدي بيومين اثنين. وكان قد مضى اسبوعان على بدء مهمتي التي تدوم سنتين في مصر، عندما ابلغني صديق في واشنطن انه تقرر المضي قدما في عملية ايران التي اطلق عليها الاسم المستعار «اجاكس»، وأن لدي مهمة واحدة وهي مقابلة آلن دالس في لندن، ومرافقته في جولة تفتيشية على المحطات المختلفة التي يتم اختيارها بشكل عشوائي لمجرد ضمان وجوده خارج واشنطن اثناء سير عملية اجاكس. وكان علي ان ابقيه مشغولا بمشكلات المحطات المحلية او ان افعل اي شيء قد يلزم لاغريه بترك كيم وشأنه خلال اعداده للعملية. لكن المشكلة الحقيقية صدرت عن الجنرال سميث الذي كان قد نقل الى وزارة الخارجية مساعدا للوزير، لان كيم كان يعرف ان الجنرال يرهب آلن وانه قد ينهار تحت ضغط برقيات الارشاد اليومية الواردة من المقر الرئيسي، التي يمكن ان يبعثها الجنرال الا اذا كان هناك من يقف الى جانب آلن لتخفيف قلقه.

وهكذا وقع الاختيار علي. وقد اثبت فعاليتي عندما ابرق الجنرال سميث، بعد ان اخفق في الحصول على اجوبة عن استفساراته من طهران، الى آلن في احدى محطات توقفنا وهي بروكسل. وسأل الجنرال في برقيته: هل فكر كيم في استخدام الاكراد؟» واجبت باسم آلن دون ان ابلغه: «كلا».

هروب الشاه

ولكن الجنرال ارسل في الثالث عشر من اغسطس (آب) برقية الى كيم وبعث نسخة منها الينا خلال وجودنا في اثينا جاء فيها:

«الشاه هرب الى روما. افترض انك ستفعل الشيء نفسه فورا». وطلب كيم الى عامل الاشارة عنده ارسال برقية الى غرفة الشيفرة في وزارة الخارجية تقول: «الكلمات الاولى من برقيتكم رقم جيه اكس ٢٧٩٠ مشوشة ومبهمة. ارجو ارسال البرقية ثانية عندما يسمح الوقت». ثم بعث برقية الى آلن في اثينا يقول فيها ان كل شيء يسير على ما يرام ولن الانقلاب قد يقع في اليوم التالي وان علينا ان نعثر على الشاه في روما وان نطلب اليه العودة الى طهران. وتساءل آلن: «لكن اين الشاه.. ان روما مدينة كبيرة». وبلطف شرحت له ان من غير المعقول ان ينزل الشاه في فندق عادي ولا بد ان يكون في الجناح الملكي من فندق اكسلسوار.

وتوجهنا الى روما، واندفعنا نحو الفندق وسط الزحام ثم فاجأنا الشاه في جناحه وابلغناه فحوى برقية كيم. واعترف الشاه بأن هذا هو العمل السري الوحيد في فترة حكمه ونهض فارتدى ملابس نادل في الفندق واخذ يدفع طاولة خدمة بعجلات تكدست عليها الاطباق المتسخة ثم انسل من الباب الخلفي وصعد في سيارة كانت تنتظره وانطلق نحو المطار.

في هذه الاثناء كان كل شيء في ايران يسير على ما يرام باستثناء غياب الشاه. صحيح ان حزب توده نظم في اليوم الذي كان يفترض انه يوم تنفيذ الانقلاب، مظاهرة اشترك فيها حوالي خمسة آلاف شخص وهم يصيحون: الموت للشاه.. وعاش مصدق، وان عدد اولئك المتظاهرين تضاعف في اليوم التالي. وكان هذا العدد سيتضاعف بالطبع مرات فمرات لولا ان كيم قرر انه سيخرج جماهيره هو الى الشوارع سواء اكان الشاه موجودا ام لم يكن.

وسأل مساعده الايراني الرئيسي سيفي راشديان: «من اين نؤمن عشرة آلاف شخص تابعين لنا؟».

ورد سيفي: «وما العيب في الذين يتظاهرون الان في الشارع؟».

وقال كيم: «ان العشرة الاف شخص الذين في الخارج الان يهتفون بشعارات الموت للشاه وبحياة مصدق».

«وماذا في ذلك».

«نحن نريد جماهير تهتف بموت مصدق وحياة الشاه».

كان من الواضح ان هناك مشكلة في الاتصال بين الرجلين. وكانا على وشك فقدان الثقة في ذكاء بعضهما بعضا عندما بدأ سيفي يشرح لكيم، وكأنه يشرح لطفل معوق، ان كاثي وقطعها سيكمنون للشاحنات التي تحمل تلك الجماهير المأجورة عند دخولها المدينة ويوضحون للرعاع ان هتافاتهم ستكون مختلفة هذه المرة: الموت لمصدق وعاش الشاه.

وهذا هو ما حدث. وتضاعف عدد جمهور «مؤيدي الشاه» في ذلك اليوم الى اكثر من عشرين الف شخص، كما ان العناصر الخشنة فيه اخرست منظمي حزب توده بمطاردة الرئيسيين بينهم، ويذبح بقيتهم وحملهم على قضبان طويلة رفعت عاليا كمثال لما قد يحدث لأولئك الذين لا يحجمون. ولربما قرأ بعض القراء روايات عن تجنيد الجنرال نورمان شوارتزكوف خبير شؤون الشرطة الذي الحقناه بالجيش الايراني الكثير من المتمردين المسلحين الذين كان لديهم «حقائب مليئة بالنقود». لكن هذه الروايات غير صحيحة لانك لا تحتاج الى حقائب مليئة بالنقود لاستئجار الرعاع الايرانيين. فالقلة التي شكلت النواة حصل كل من افرادها على مائتي دولار بينما انضم الباقي اليهم مع تعاظم قوة الاندفاع. المهم في الامر ان الشاه وصل المطار بعد ظهر ذلك اليوم نفسه وكان كبار اعضاء مجلس النواب وجميع وزرائه بمن فيهم اولئك الذين كانوا قد انضموا الى مصدق في استقباله وتقبيل اطرافه.


● الدكتور محمد مصدق


● الشاه، بالتاج والصولجان

● الدكتور حسين فاطمي، وزير خارجية حكومة الدكتور مصدق

● هرب الشاه الى روما، ثم فاجأناه في جناحه بفندق اكسلسوار، وأبلغناه فحوى برقية كيم، فارتدى ملابس نادل في الفندق وأخذ يدفع طاولة خدمة بعجلات تكدست عليها الاطباق المتسخة حتى انسل من الباب الخلفي وصعد سيارة كانت تنتظره نحو المطار

وقد يظن البعض انني افرطت في تبسيط القصة. ولكن مع انني كنت وقت العملية في روما ولم اكن في طهران، فان اعضاء فريق عملية اجاكس مع كيم شرحوا لي القصة مثلما اوردتها لكم.

وعند هذه النقطة لا بد وان اصحح ما ورد في الكثير من الكتب والمقالات التي اعطتني من الفضل والاستحقاق ما لا يجدر بي. اذ ان البعض وصفني بأنني كنت «العقل المدبر» لعملية اجاكس او «العقل المدبر» وراء كيم روزفلت، او اكدوا بطرق مختلفة ان العملية ما كانت لتنجح لولا العمل التخطيطي والتمهيدي الذي بذلته بنفسي. فقد شرب الشاه بعد عودته بايام قليلة نخب كيم في قصره وقال: «انني مدين بعرشي لله سبحانه وتعالى، ولشعبي وجيشي ولك انت، وبالطبع لمساعدك السري الذي لن اذكر اسمه». وفيما بعد، عندما منح الرئيس ايزنهاور وسام الامن القومي لكيم طأطأ رأسه وقال بطريقته المعهودة: «انني لا استحقه. فنحن ندين جميعا بالفضل لأحد مساعدي الذي يحبذ البقاء مجهولا».

لكن كل ما ساهمت به في العملية هو ابعاد آلن دالس عن ضغوط الجنرال سميث وملاحقاته. اما تقريري الاستطلاعي فلم يقرأه الا اثنان هما كيم وزوجتي وقد اضطررت الى اطلاع زوجتي عليه مخالفا بذلك التعليمات الامنية لانقاذ زواجنا بعد ان قرر احد مسؤولي قسم الامن، دون معرفتي، ان غيابي عن القاهرة مدة اسبوع او ما قارب ذلك كان مجرد ذريعة لزيارة صديقة لي في البندقية.

اما كيم فقد رأى انه اذا ما عرض تقريري على اي واحد من كبار المسؤولين الاميركيين او البريطانيين فانه سيعطيهم الذريعة لبدء مراقبته بشكل مستمر مما سيحرمه من اي مرونة في التحرك.

وثانيا. كان تقريري يشتمل على قدر من التفكير السلبي اكثر مما يستطيع كيم قبوله لانه كان يريد تبريرا راسخا لا مراء فيه لما كان على وشك تنفيذه. ففي تقريره (الذي كان صفحتين فقط مع انه كان تلخيصا لتقريري المؤلف من ثلاثين صفحة) اهمل ما قلته عن عدد دبلوماسيينا وضباط مخابراتنا في ايران الذين يعتقدون بصورة جازمة ان مصدق وطني يعادي الشيوعية وان مسؤولي شركة النفط الانجلو - ايرانية مجموعة من المتغطرسين العفنين. اذ قال كيم بدلا من ذلك ان مصدق يرتبط بشكل لا رجعة فيه مع حزب توده، وانه سيتخذ خطوات معينة لا يمكن تفسيرها الا على اساس انها استعدادات لتولي السوفيات السيطرة على البلاد.

وكان مصيبا بالطبع مع انه لم يكن لدي من الوسائل ما يجعلني اعرف ذلك عندما كتبت تقريري. لكن المادة الواردة من وكالة الامن القومي التي كان كيم على اطلاع عليها ولم اطلع انا عليها الا بعد سنوات كثيرة، بينت بوضوح ان الاحداث التي قد تؤدي الى نوع من السيطرة السوفياتية على ايران كانت تقترب من نقطة اللاعودة وان الطريقة الوحيدة لمنع ذلك هي ازاحة مصدق وعدد مع كبار ضباط الجيش الايراني الذين ورد ذكرهم في البرقيات السوفياتية المتبادلة علانية وسرا.

الا ان كيم اظهر في تخطيط عملية القبض على مصدق واولئك الضباط وتوقيتها انه المسؤول الحقيقي عن العملية. صحيح انه حصل على المشورة والنصيحة من بعض اكثر الايرانيين معرفة بالامور ومن عميل سابق في المخابرات البريطانية كان قد وضع في السفارة الاميركية كمستشار سياسي، ولكن الفضل في نهاية الامر يعود اليه لاتخاذه القرارات الصحيحة. فالمهم هو ان كيم قرر من الذين يجب عزلهم. ومن الذين يجب اعتقالهم، واي الضباط الذين يجب التخلص منهم بوسائل اخرى، ومتى يجب اتخاذ الخطوات المختلفة من العملية. وبعدئذ وجه من المقر المؤقت الذي استخدمه الامور بأكملها.

العملية النموذجية

وفي عام ١٩٥٥، رأيت اجاكس، مثلما اراها الان عملية نموذجية. اذ انها استفادت من العناصر الموجودة داخل البلاد ونشطت العواطف الوطنية البحتة والقوى الوطنية اللازمة لتحريكها. كما اشتملت على الاستيلاء على الجيش واعادة توجيهه بشكل ادق وأنظف مما استطعت فعله في اي وقت، ووازنت بين القوة العسكرية والتأييد الشعبي بطريقة لا تضاهى. اما كلفة العملية فلم تصل مليون دولار وهو مبلغ اقل كثيرا من الثلاثة ملايين دولار التي كانت قد خصصت لها.

والاهم من كل شيء ان العملية نجحت على المدى البعيد مثلما نجحت على المدى القصير ايضا. اذ ان الشاه صمد عشرين سنة اخرى وتمتع شعبه بازدهار لم يشهده اطلاقا من قبل مع انني اعترف انهم عانوا من الاستياء والتوترات التي تشهدها اي دولة تسير نحو التحديث بسرعة اكبر مما تسمح به التقاليد. وقد انتهى كل شيء عندما تحولت الحكومة الاميركية الى سياسات تشبه الى درجة كبيرة سياسات المثقفين اليساريين الذين قاوموا عام ١٩٥٣. ولكن هناك درسا يجب علينا نحن الذين نتعامل مع مشكلات العالم حقيقة لا كتابة فقط، ان نتذكره دائما وهو ان يسارينا افضل منطقا وحججا منا، وانهم سيجدون اساسا ما ليقولوا: «ألم نحذركم» مع ان ما كانوا ينادون به هم كان خاطئنا. ففي عام ١٩٥٣ ابقينا الشاه في السلطة وجئنا بربع قرن من الازدهار النسبي. اما بعد خمس وعشرين سنة فقد تراجعت ادارة الرئيس كارتر عن القيام بعملية على غرار اجاكس فكانت النتيجة ان الشاه هرب من البلاد وتركها تحت رحمة آية الله الخميني. ونحن جميعا نعرف ماذا حصل بعد ذلك. لكن الحكمة التقليدية تقول، مثلما يقولون في واشنطن: ان الفوضى الحالية في ايران تعود بذورها الى عملية اجاكس.

وعلى اي حال كان ما جرى يلائم المواصفات التي وضعتها بعد سنتين تحت درع هيئتي للعمل السياسي. لكنه كان يلائم ايضا مواصفات بناة الامبراطورية في سي. آي. ايه وفي قمتها بالذات، الذين كانت كل اعتباراتهم هي «اللعبة المحلية» و«اللعبة الديمقراطية»: وكان احد اعضاء المؤسسة الحاكمة (كيم روزفلت) قائدها يعمل على ان يكون ضمان الوصول الى نفط الشرق الاوسط هدفها، بينما جاء ارضاء حلفائنا البريطانيين كنتيجة فرعية، كما كانت خدمة مصالح سوليفان اند كروموبل وهي شركة المحاماة القديمة للاخوين دالس هدفا آخر. وكما قلت آنفا كانت العملية ذروة في النجاح. ولكن لسوء الحظ كانت ناجحة بطريقة اعطتها فرصا مغرية للعلاقات العامة مما جعلها خلال فترة قصيرة امرا معروفا مما يعني انها خرجت في هذا الجانب عن المثل النظرية التي كانت لدى العاملين معي. ومع ذلك فقد اصبحت نموذجا تاريخيا نسهب فيه في دروس العمل السياسي التي ينظمها قسم التدريب، التي طالما حاضر فيها كيم روزفلت كضيف.

عملية جواتيمالا

ولكن اذا كانت العملية على تلك الدرجة من النجاح فلماذا كنت مع كثير من المحترفين غير سعداء بها؟ مع الاسف، فعلى الرغم من ان المجندين حديثا في سي. آي. ايه ربما تعلموا بعض الشيء من الاوصاف التدريسية والتعليمية لها فان سادتنا لم يتعلموا شيئا. فقد فاتهم فهم الدرس. فقد كانت عملية اجاكس هي بداية السلم الذي قادني، وبعدئذ كيم، الى مغادرة الوكالة. اذ ان ما تلا اجاكس، لا العملية نفسها، هو الذي بعث على خيبة الامل عند كلينا. كان ذلك بشكل محدد هو العملية التي جرت في جواتيمالا بل وبشكل ادق واكثر تحديدا: حقيقة اتخاذ كبار رسميينا وعملاء سي. آي. ايه ذوي النزعة العسكرية من عملية اجاكس، سابقة لعملية جواتيمالا.

لم يكن لي اي علاقة بعملية جواتيمالا، بل لم اعرف في الواقع انها حدثت الا بعد ان عدت من مصر عام ١٩٥٥. ولكن ينبغي ان اذكر لكم ما علمته عن هذه العملية عام ١٩٥٥ لان دراستي لها مكنتني من التنبؤ بالاتجاه الذي تسير فيه الوكالة، مما جعلني ادرك بالتالي انه لا بد وان تكون هناك اماكن افضل. فقد بدأت دراستي بمكالمة من سكرتيرة فرانك وايزنر تطلب فيها مني التوجه الى مكتبه على الفور. وعندما سألتها عما اذا كان يجب ان يرافقني كيم روزفلت قالت: «لا. تعال وحدك».

لقد كان من النادر ان يبتسم فرانك. ولكنه ابتسم في تلك المرة بعد ان حدق في وجهي لثانية او اثنتين. وكنت قد لقيت هذه المعاملة منه في مرتين سابقتين ايضا. وهذه الابتسامات هي احد الاشياء التي جعلتني احتفظ بمحبة للرجل. اذ ان تلك الابتسامات غير المتوقعة كانت كالشمس عندما تشرق فجأة من وراء السحب والغيوم في يوم داكن. وأنا متأكد انه لم يكن يتكلف تلك الابتسامة وانما كانت طبيعية.

وقال فرانك: «لقد قرأت للتو مسودة دليل العمل السياسي الذي اعددته لقسم التدريب واعتقد انه عمل ممتاز من الطراز الاول. وقد اردت ان اهنئك شخصيا لانه اعجبني استخدامك عملية اجاكس كمثال تاريخي ثم مد يده الي مصافحا. وفي اللحظة التي كنت على وشك مغادرة مكتبه قال: «الواقع انني اريد منك ان تقوم بدراسة مماثلة لعملية جواتيمالا التي اشرفت عليها بنفسي كما تعرف».

الواقع انني لم اكن اعرف. ولهذا كان في وسعي ان اتعامل مع هذه المهمة انطلاقا من الاحساس بانني اذا لم افقد موضوعيتي فانني سأؤكد على تلك النقاط التي ستجعل فرانك يبدو بمظهر جيد. وعندما احس موظفو قسم نصف الكرة الغربي بأنني سأسلك بتلك الطريقة كانوا في منتهى اللطف والكياسة حين توجهت اليهم لأطلب ملفاتهم. فقد استقبلني رئيس القسم نفسه، وهو كولونيل سابق في الجيش لم اكن اعرفه سوى معرفة سطحية، وكان قد تلقى للتو مكالمة من فرانك يأمره فيها بتقديم كل مساعدة لي والتعاون معي.

انني لن اثقل على قرائي بسرد رواية اخرى عن تلك العملية، لا سيما وان روايات صحيحة نسبيا وأخرى مزيفة عن العملية ظهرت في عشرات الكتب والمقالات. لكن ما اريد ان اقوله هو التالي: انا وطني من الطراز الاول مائة بالمائة، ورأسمالي وامبريالي مائة بالمائة، ومؤمن بكل طرق التفكير والعادات الاميركية وحتى الديمقراطية على النمط الاميركي بالنسبة لنا نحن، مع انني ارتاب في ملاءمتها لكثير من الثقافات الغربية التي عملت فيها. وأنا حتى من «اليمين المتطرف» مع انني لا اصل الى مرتبة كوكلاكس كلان (اذ لا يمكن ان اكون عنصريا بتربيتي). لكن عندي فوق ذلك حذر محلل المخابرات من القدح، والتحريف والتشويه والكتب المكشوف من الكتاب اليساريين الذين يهاجمون كل شيء تفعله سي. آي. ايه. ومع ذلك استغرقت اقل من نصف يوم لاكتشف ان عملية جواتيمالا كانت اعتداء قوميا من ذلك النوع الذي سيجر في نهاية المطاف، ان لم يكن مباشرة في عام ١٩٥٥، الخزي والعار على الوكالة وعلى اولئك الذين كانوا مسؤولين عن قراراتها القيادية.

الا انني يجب ان اسارع الى القول ايضا: انني لم اجد اي دليل على ان اولئك المسؤولين كانوا غير شرفاء او مخادعين او انهم كانوا انانيين بأي طريقة من الطرق. فكل ما في الامر انهم كانوا اغبياء او الاصح اذا ما اخذنا في اعتبارنا ان مناصبهم كانت تستدعي توفر ذروة المكر والدهاء والتقدم، فان سذاجتهم العجيبة وصلت الى حد البلاهة والغباء.

فبادىء ذي بدء هذا هو ما اكتشفته:

اولا: كانت شركة الفواكه المتحدة، التي رفضت مؤسسة بوز آلن اند هاملتون للاستشارات الادارية ان تقوم بمهمة لها، هي التي حرضت على العملية ودفعت الى اتخاذ اجراءاتها. فقد كشفت استطلاعات بوز آلن الاولية ان كبار اداريي الشركة عفا عليهم الزمن الى درجة انهم لا يصلحون لاحدى روايات تشارلس ديكنز، وانه ليس عندهم من الذكاء ما يؤهلهم لفهم توصيات بوز آلن حتى لو قامت بدراساتها وقدمتها لهم. وكانت تلك الشركة تستغل اهالي البلاد والبلاد بأسرها الى درجة تجعل مسؤولي شركة النفط الانجلو- ايرانية بالمقارنة اساتذة من جامعة هارفارد او ستانفورد.

ثانيا: لم يكن مسؤولو شركة الفواكه المتحدة في تعاملهم مع حكومة جواتيمالا متغطرسين ومتعجرفين فحسب، بل وكانوا كاذبين. ومع انني غفرت فيما مضى لبعض الدجل الراسمالي، فان كذب مسؤولي هذه الشركة كان على درجة من الاثم والغطرسة جعلته اهانة لاتطاق.

ثالثا: كانت شركة الفواكه المتحدة من زبائن مؤسسة سوليفان وكروموبل وهي شركة الاخوين دالس القانونية، كما ان كل واحد تقريبا من كبار المسؤولين في الحكومة الاميركية الذين لهم علاقة بعملية جواتيمالا كان عنده علاقة مالية بالشركة - بما فيهم مساعد وزير الخارجية للشؤون الاميركية، ومدير شؤون الامن في وزارة الخارجية، ووزير التجارة، وحتى وكيل وزارة الخارجية الجنرال بيدل سميث - الذي اصبح فيما بعد عضوا في مجلس ادارة الشركة، وبطريقة مكنت مهاجمينا من القول ان ذلك المنصب كان مكافأة على خدماته لها في العملية. الا ان الذي كان بمثابة صدمة لي هو انه لم يكن احد بين كل هؤلاء المشاهير المرموقين يفهم المدى الذي سيحيل فيه اصدقاؤهم عملية جواتيمالا الى هدف دعائي للمخابرات السوفياتية ولمهاجمة الولايات المتحدة، وسي. آي. ايه من قبل بعض المثقفين الاميركيين، والى ايقاظ مشاعر العداء بين الاميركيين الوطنيين الذين بدأوا يرتابون في «الارضية الاخلاقية العالية» التي واصل وزير خارجيتنا الورع الادعاء بأنه يقف عليها.

٣٠ عاما من الخبرة

واليوم، اذ ننظر الى تلك الفترة بعد ثلاثين سنة من الخبرة، نجد ان كل هذا الصراع بين المصالح جزء من ذلك النوع من «اللا اخلاقيات» التي احرجت فيما بعد ادارة الرئيس نيكسون، وتحرج الان، وأنا اخط هذه السطور، الجمهوريين. ولكن ينبغي ان اؤكد النقطة التي احاول ان اشرحها للقراء. فأنا لست مهتما بأخلاقيات عملية جواتيمالا وانما سأترك ذلك للمهتمين بالاخلاقيات. يضاف الى ذلك انني لا اقول اطلاقا ان الاخوين دالس والجنرال سميث والآخرين لم يكونوا شرفاء او انه كانت عندهم اي دوافع غير الدوافع الوطنية الصادقة. على العكس. اذ انهم لم يجدوا اي خطأ في السماح لاهتماماتهم الشخصية بالتأثير في القرارات التي اتخذوها لمصلحة بلادهم كما فهموها. فما هو جيد «للصفوة الحاكمة» في اميركا - كأفراد او طبقة - جيد لأميركا. وكانوا يعتقدون بصدق ان مجموعتي المصالح هما الشيء نفسه. لكن الموهبة الاساسية عندنا نحن، ضباط الخط الامامي في سي. آي. ايه كانت القدرة على «الشعور» بالامزجة المتغيرة في البلدان المختلفة التي كانت اهدافا لنا، وهو ما فعلناه بنجاح بين. الا ان الحقائق البسيطة لعملية جواتيمالا كشفت النقاب عن حقيقة وهي ان رؤساءنا كانوا في شبه غفلة تامة عن الامزجة المتغيرة والمعايير الاخلاقية حتى في بلدنا نحن - اميركا. يضاف الى هذا انهم لم يروا اي اهمية معينة للامزجة والمعايير الاخلاقية للمنطقة التي ستدار فيها العملية.

ولا بد من ان اضيف مع ذلك القول ان عملية جواتيمالا التي كانت شبه عسكرية ولم تكن من عمليات العمل السياسي، نفذت بشكل ممتاز. اذ ان فرانك وايزنر الذي كان اشبه بمنتج للعملية ضمن وصول كل شيء تحتاج اليه العملية الى حيث يلزم وفي الوقت المناسب. اما تريسي بارنز فقد اشرف على الخطوات والتحركات اليومية بخبرة اخصائي العمل شبه العسكري، بينما نظم هاوارد هنت، الذي اشتهر فيما بعد في فضيحة ووترجيت، العملية بالخيال والدهاء والحيلة المتوفرة عند مؤلف الروايات البوليسية (وهو مؤلف لهذا النوع من الكتب ايضا)، في حين نفذ العملاء من امثال ديفيد اتلي فيليبس (الذي اصبح فيما بعد اول رئيس لرابطة ضباط المخابرات السابقين) العمل الاساسي اليومي بفعالية وكفاءة مثاليتين. وقد ادار هؤلاء الرجال محطة اذاعة سرية ناجحة جدا، ونشروا الشائعات اللازمة لتليين الهدف لكي يهوي عند مواجهة التحدي، كما نظموا الكثير من الغوغائيين المرتزقة لغزو البلاد في اللحظة المناسبة وانجاز كل المهمات العملية، ورتبوا حملة من الصخب والجلبة والضوضاء لمرافقة المرتزقين عند دخولهم مدينة جواتيمالا مما جعلهم يبدون اقوى وامنع كثيرا مما هم عليه فعلا، وهكذا. اما كلفة العملية فقد كانت عشرين مليون دولار اي اكثر من عشرة اضعاف كلفة عملية اجاكس.

وبعد انتهاء العملية، وقبل ان تجمد الضجة قال هاوارد هنت انه شعر وكأنه مرتزق لشركة الفواكه المتحدة وانه من هذا المنطلق فقط يمكن ان يحكم بأن العملية نجحت. اما ديفيد فيليبس فقد قال ان كل ما نجحنا فيه هو الاطاحة بحكومة «ربما كان لديها اتصالات شيوعية واستبدالها بدكتاتورية اخرى من دكتاتوريات جمهوريات الموز». وعندما كتبت الدراسة التي طلبها مني فرانك وايزنر بينت ان العملية كانت خروجا كاملا على مبادىء العمل السياسي مثلما اوردتها في دليل التدريب الذي يفترض ان فرانك قرأه، وسألت كيم لماذا صمت على كل شيء.

وتذكروا ان هذا كله كان عام ١٩٥٥، اي بعد سنتين تقريبا من حدوث العملية نفسها. وابلغني كيم انه كان قد اعترض عليها ولكنه كان وحيدا في موقفه كما ان آلن ابلغه ان العملية ضرورية. ومضى كيم ليقول: ان علينا ان نواجه الحقيقة وهي انه ليس هناك احد من كبار المسؤولين في وزارة الخارجية او سي. آي. ايه يفهم ابسط عناصر «العمل السياسي»، مثلما كنت قد صغتها انا وانهم لن يتعلموها او يفهموها. فالذي يفهمونه فعلا هو استراتيجيات «لعبتنا المحلية» و«لعبتنا البيروقراطية». وفي هاتين اللعبتين كانت عملية جواتيمالا متابعة طبيعية لعملية اجاكس في ايران لانها ستضع سي. اي. ايه في عصبة الميزانيات الكبرى. وفعلا فان عملية جواتيمالا وضعت فرانك وايزنر ومديريته للتخطيط على قائمة تلك العصبة من الدوائر التي تحصل على ميزانيات كبيرة. وهكذا فان كيم الذي اعتبر ان تنفيذ عملية جواتيمالا كان بداقم الغيرة من عمليته في ايران، وجد انه حان دوره هو ليغير.

كيم.. بيان رسمي

ولكي لا يبدو على كيم انه يحصرم العنب، فان كل ما كان في وسعه ان يفعله هو تسجيل بيان خطي رسمي اوضح فيه من بين نقاط اخرى، الامور التالية (التي اعدت صياغتها نظرا لاشتمالها على عدد من المصطلحات الحكومية غير المألوفة للقراء والمبهمات البيروقراطية):

اولا: اذا كنا بحاجة الى انقلاب اصلا، فانه ما كان ينبغي ان يوجه ضد حكومة جواتيمالا وانما ضد شركة الفواكه المتحدة لتجديد الادارة البالية لهذه الشركة التي لها جبروت جامح لا حدود له في منطقة عظيمة الاهمية لأمن الولايات المتحدة. ونحن بتلقينا الاشارات من الشركة انما نؤيد موقفها وحججها التي يتعذر الدفاع عنها بمعايير مصالح الاعمال الاميركية الجيدة والاخلاقيات الراسمالية، مثلما يتعذر الدفاع عنها بمفاهيم الكبرياء الوطنية في جواتيمالا.

ثانيا: ليس هناك اي معلومات مخابرات موثوقة تبرر اصرار وزير الخارجية دالس على ان حكومة آربنز تخضع لسيطرة موسكو. صحيح ان هناك ادلة تشير الى ان آربنز بدأ يقع بصورة مضطردة تحت تأثير المستشارين الشيوعيين وانه بدأ نتيجة ذلك يتحول الى موسكو، ولكن هناك ايضا معلومات مخابرات تشير الى انه يمكن عكس هذا الاتجاه. (وعندما تحدث كيم الى فرانك وايزنر ذكره بأن المادة التي الصقت بآربنز صفة الخضوع بشكل لا رجعة فيه لسيطرة موسكو كانت من اختلاق مكتب وزير الخارجية نفسه واختلاق موظف سابق في مؤسسة سوليفان وكروموبل القانونية كان المسؤول عن حساب شركة الفواكه المتحدة.

ثالثا: اذا كان وقف مد النفوذ السوفياتي في جواتيمالا هو الهدف الوحيد للعملية فانه يمكن تحقيق هذا الهدف بصورة افضل وبكلفة اقل من خلال مزيج من الضغوط التي يمكن ممارستها على حكومة آربنز داخل جواتيمالا نفسها. ونظرا لان آربنز كان سيفضل الاعتماد على الولايات المتحدة على الاعتماد على السوفيات، فان التوصل معه الى «صفقة» معقولة بالنسبة له ولنا ستكون مقبولة لديه لا سيما اذا تمت بشكل سري لكي لا تجر الى اتهامه بأنه عميل لشركة الفواكه المتحدة او الحكومة الاميركية.

رابعا: ان مثل هذه الصفقة ستنطوي بالضرورة على الاذعان للاجراءات المتواضعة المضادة لشركة الفواكه، التي شعر آربنز بأنه يجب عليه اتخاذها، وهي على اي حال تنازلات في وجه الضغوط القومية الداخلية لا في وجه الضغوط الشيوعية من الخارج. وأي زعيم ستضعه العملية في مكان آربنز سيواجه في نهاية الامر تلك الضغوط نفسها ولا يمكنه البقاء في السلطة فترة طويلة الا اذا واصلنا دعمنا لما ستعتبره اميركا الوسطى واميركا اللاتينية في تلك الحقبة عملية انتحارية.

وزاد كيم نقطة خامسة وهي: لو لم يكن هدف العملية حماية المصالح الاميركية وانما اعطاء السوفيات الاساس اللازم لمهاجمتها في جميع انحاء اميركا الوسطى، فان عملية جواتيمالا هي المثالية لذلك.

جون فوستر دالس

الا ان رأيي انا في العملية كان لاذعا اكثر من كيم. وكان النذل فيها هو جون فوستر دالس. والآن ها انذا أفكر بهدوء وأرمي الحذر لتعصف به الريح، وأؤكد لأهداف هذا السجل انني اعتقدت آنذاك، مثلما اعتقد الان، ان دالس كان ذخرا للسوفيات والشيوعيين اكبر واهم من السيناتور مكارثي شائن السمعة. اذ ان معظم الاميركيين ادركوا في نهاية الامر طبيعة مكارثي الحقيقية وهي انه فوضوي اخرق جلف سكير، كل ما اراده هو ان تكتب الصحف عنه، وانه كان يصدر التهم جزافا وبشكل متهور مما جعل معاداة الشيوعية تبدو تصرفا غبيا لا خطيرا. الا ان وزير الخارجية دالس كان مثار البهجة والسرور عند من يعادون معادي الشيوعية. فقد كان لديه كل مؤهلات الخبير في العلاقات الدولية اللازمة لاضفاء مظهر الاصالة عليه، ولكن معرفته بالموضوع لم تزد على ما يمكن لأي شخص ان يتعلمه من حضور العديد من الدورات الجامعية. فمعاداته الغبية للشيوعية مع تلك الحكم الغبية الاخرى التي كان يتلفظ بها من حين لآخر كانت امورا يستطيع اعداؤنا ان ينظروا اليها نظرة جدية. ومع أنه لم يجرؤ احد منا في الوكالة، بدافع الولاء لأخيه آلن، على ان يقول ذلك جهارا، فان الكثيرين منا كانوا يهمسون فيما بينهم ما يشير الى ان جون فوستر دالس كان داخل سي. آي. ايه ما يسميه هاري روزتزكي بالمثقف الغبي، اي الرجل المتعلم الذي يعرف كل شيء ولكنه لا يفهم شيئا مما يعرفه.

ولم يكن دالس اطلاقا غبيا (مع انه لم يكن ابدا ذلك العبقري في الشؤون الخارجية مثلما ظن الرئيس ايزنهاور) وانما كان مصابا بالصمم عندما يتعلق الامر بفهم زعماء الثقافات الغريبة وشعوبها. ومع ذلك فقد كان عنده حسنة كبرى وهي انه كان بالنسبة لنا نحن الذين تعاملنا مع مشكلات الشرق الاوسط، يفهم ضرورة انتهاج موقف منصف تجاه الصراع العربي - الاسرائيلي، كما انه كان يصغي بنصف اذن على الاقل عندما نبين له ما الذي يمكن ان يقبله الزعماء العرب وما الذي لا يمكنهم قبوله. اما اقتراحنا بأن زعماء الدول العربية عندهم «لعبتهم المحلية» التي يلعبونها مثلما نفعل نحن تماما في اميركا فلم يكن مقبولا لديه.

ومن حسناته (من وجهة نظرنا نحن في سي. آي. ايه) انه ضمن موافقة الرئيس ايزنهاور وتشجيعه على انتهاج «موقف متوازن» من الصراع العربي - الاسرائيلي، والتحول الواضح عن تأييد ترومان المطلق لاسرائيل مهما كان ثمن معاداة العرب. ولكنه لسوء الحظ لم يستطع ان يفهم ان تقريعه الاسرائيليين من حين لآخر على إثم او آخر لم يكن بالنسبة للعرب برهانا على عدم انحياز الحكومة الاميركية ما دامت تواصل تقديم مساعداتها المالية الهائلة لاسرائيل. يضاف الى ذلك انه كان مقتنعا بأن العرب يفهمون «عدالة الموقف الاميركي ونزاهته»، الى درجة انه صدق ان في استطاعته جمعهم في حلف دفاع اقليمي لملء الفجوة بين منظمة حلف شمال الاطلسي ومنظمة معاهدة جنوب شرق آسيا. اذ انه كان ببساطة عاجزا عن فهم ما كنت اسميه كره العرب للاحلاف. فقد ابلغنا وزير الخارجية ذات مرة ان ناصر كان على وشك اتخاذ اجراء لا يتلاءم مع سيناريو معين اعده المسؤولون في وزارة الخارجية. وعندما سمع ذلك، نزع نظارته وصاح: «لكنه لا يستطيع ان يفعل ذلك. ان هذا يتنافى مع روح جنيف». وبعدئذ طلب الى اخيه آلن ان يأمر فريق سي. آي. ايه في القاهرة باقناع ناصر بأن العدو الحقيقي لمصر ليس اسرائيل وانما الاتحاد السوفياتي والشيوعية الدولية.

وهكذا قدرناه على محاولته. كما اننا هولنا في حملتنا من التضليل الاعلامي الموجهة الى العرب من اهمية خطاباته التي اشار فيها الى التعاطف الاميركي مع محنة اللاجئين الفلسطينيين. وكان لا بد لنا وأن نهول ونبالغ لكي ننقل الحقيقة الواضحة وهي ان مجرد الاقتراح في الولايات المتحدة آنذاك بأن «الشعب الفلسطيني له حقوقه ايضا» كان يعتبر بشكل عام دليلا على «المعاداة المستترة للسامية»، وان صدور مثل ذلك الاقتراح يحتاج الى شجاعة.

ومع ان آلن دالس لم يسمع شيئا من احد منا فانه كان يعرف حق المعرفة اننا لا نكن الكثير من الاحترام لأخيه. وفي معرض دفعه الانتقادات الصامتة لأخيه كان يذكرنا ما بين فينة واخرى انه على الرغم من «بطء» جون فوستر دالس في فهم آراء اخصائيينا في مشكلات الشرق الاوسط، فانه كان بارعا في اخذ آرائنا في اعتباره عندما يتعامل مع الزعماء الاوروبيين من امثال رئيس الوزراء البريطاني انطوني ايدن. وفي هذا السياق ينبغي علي ان اسجل ان زملاءنا في اوساط المخابرات البريطانية كانت عندهم آراء في سير انطوني ايدن تماثل بشكل عام تلك التي كانت لدينا في دالس، كما انهم كانوا يغتبطون لان سير انطوني كان يكره فوستر دالس كراهية شديدة، مثلما كنا نغتبط نحن لان دالس كان يبادله تلك الكراهية.

كذلك ينبغي علي ان اسجل في هذا السياق ايضا ان كيم روزفلت لم يكن يحترم فوستر دالس، ولم يكن رأيه في اخيه افضل كثيرا مع انه كان يقدره كصديق قديم للعائلة. وبعد بضع سنوات، اي حينما كان جون رانلي يعد لكتابه: «الوكالة: ارتقاء سي. آي ايه وانحطاطها»، قال له كيم:

«لقد اغتبط فوستر دالس بعملية اجاكس وسحرته هذه العملية الى درجة انه ظن ان في وسعي حل اي مشكلة في اي مكان من العالم. وقد شرحت له بمنتهى الدقة لماذا نجحنا في ايران: اذ ان الدراسات الدقيقة الحذرة اقنعتنا قبل كل شيء ان الجيش اولا، والشعب ثانيا كانا يريدان ما نريده نحن. وفي مثل هذه الظروف يصبح من الممكن تحقيق النتائج التي نريدها... وعندما رفعت تقريري الى البيت الابيض، رأيت دالس جالسا في الصدارة وهو يتلمظ بشفتيه... وقلت اذا كنتم تريدون شيئا لا يريده الشعب والجيش، فلا تكلفوا به العمليات السرية، كلفوا به مشاة البحر. ولم تصدر عن دالس كلمة واحدة مع انه كان من الواضح انه يرفض ذلك كليا».

وقد ابلغ كيم مؤلف الكتاب رانلي ان فوستر دالس دأب على الاتصال به من وقت لآخر ليطلب منه تنفيذ عمليات شبيهة بعملية اجاكس، وانه عندما سئم من تفسير الاسباب التي تحول دون ذلك، مرة تلو الاخرى، ووجد ان دالس لم يفهم شيئا مما قاله له، قرر ان دالس ميؤوس منه». وقد استمر هذا الاخذ والرد بين كيم ووزير الخارجية دالس عندما كنت في مصر بين عامي ١٩٥٣ و١٩٥٥. ولم يخبرني كيم به الا بعد ان امضيت بضعة اشهر في اعداد ما كنت اعتقد انه سيكون منهجا معياريا للعمليات السياسية، لأجد بعد كل هذا الجهد والعناء ان فرانك وايزنر يريد مني ان ادرس عملية جواتيمالا على اساس انها العملية النموذجية!

● حلقة الاثنين المقبل:
بداية النهاية لدالس - ناصر

جروميكو يوارى اليوم في موسكو إلى جانب خروشوف

جورباتشوف يبدأ زيارة لباريس ويلتقي ميتران

موسكو ـ باريس ـ وكالات الانباء: يشيع اليوم جثمان الرئيس السوفياتي ووزير الخارجية السابق اندريه جروميكو الذي توفي ليل الاحد / الاثنين الماضي عن عمر يناهز ٧٩ عاما بعد ازمة قلبية. وقد تقرر موعد الدفن هذا يوم امس وعبر اعلان للكرملين الذي توضحت فيه الخطوات التي سيتخذها المشرفون على سير عملية الدفن حيث ستتم بعد ان يسجى جثمان جروميكو في نعش مكشوف لاتاحة الفرصة امام اقاربه والعموم من الناس لالقاء نظرة اخيرة عليه.

وجاء تحديد هذا الموعد ضد التكهنات الي ذكرت عن احتمال تأجيل دفن الرئيس السابق نظرا لسفر الزعيم السوفياتي جورباتشوف الى باريس، الذي أكد موعد سفره امس الى الصحفيين المتجمهرين في القاعة الرئيسية للبرلمان السوفياتي، دون ان يعطي موعداً لدفن جروميكو.

ووصف النعي الرسمي اندريه جروميكو بانه «شخصية بارزة في الحزب الشيوعي والدولة السوفياتية»، وتلي النعي في البرنامج اخباري الرئيسي المسائي في التلفزيون السوفياتي امس الاول وعرضت صورة مجللة بالسواد للرئيس الراحل الذي سيدفن في جبانة نوفوديفيتش بالقرب من قبر خروشوف الذي عينه وزيرا للخارجية في العام ١٩٥٧، وهو المنصب الذي احتفظ به طوال الثمانية والعشرين عاما التالية حتى تعيين الرئيس جورباتشوف لادوارد شيفارنادزه بدلا منه في هذه الحقيبة الدبلوماسية المهمة.

ويأتي اختيار مقابر نوفوديفيتش مكانا لدفن جروميكو كاشارة الى ان الجنازة ستكون ذات طابع عائلي واضح مع اشتراك عدد لا يذكر من كبار الزعماء وفي مقدمتهم رئيس الوزراء السوفياتي نيكولاي ريجكوف.

وفي دمشق اشاد الرئيس السوري حافظ الاسد برئيس الدولة السوفياتي الراحل ووصفه بأنه رجل مخلص عمل على تحقيق علاقات افضل بين موسكو ودمشق.

وتعد سورية اوثق حليف عربي للاتحاد السوفياتي. وجاءت اشادة الرئيس الاسد بالسيد جروميكو في برقية عزاء بعث بها للزعيم السوفياتي ميخائيل جورباتشوف ونشرتها الصحف السورية يوم امس.

وقال الرئيس الاسد ان السيد جروميكو عمل على بناء علاقات ودية بين الاتحاد السوفياتي وسورية وانه شعر اثناء تعامله معه بروح الاخلاص وباهتمام شديد بالدفاع عن قضايا الشعوب التي تكافح من اجل الحرية والاستقلال.

وفي جانب آخر وصل الزعيم السوفياتي ميخائيل جورباتشوف الى العاصمة الفرنسية باريس وسط اجراءات أمن مشددة في زيارة رسمية لفرنسا تستغرق ثلاثة ايام يعقد خلالها خامس لقاء له مع الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران، الذي كان وعقيلته في استقبال ضيفه الكبير وزوجته رائيسا في صالون الشرف في مطار اورلي.

وسيلتقي الرئيسان لاحقا على مائدة الغداء في قصر الاليزيه قبل ان يعقدا جلسة محادثات منفردة.

وفي اليوم التالي سيستهل الرئيس الضيف نشاطه باعتباره في زيارة (دولة) بوضع باقة من الزهور على ضريح الجندي المجهول في ساحة الايتوال (النجمة) التي يتفرع عنها حي الشانزليزيه تحت قوس النصر ثم يستقبله رئيس بلدية باريس جاك شيراك كما درجت العادة في زيارات (الدولة) لفرنسا.

ويلتقي الزعيم السوفياتي ببعض الطلبة والمفكرين الفرنسيين في جامعة السوربون قبل ان يقيم حفل غداء في مقر اقامته في قصر ماريني على شرف رئيس الوزراء ميشال روكار وزوجته.

وفي فترة بعد الظهر سيتم التوقيع على الاتفاقيات الثنائية في قصر الاليزيه، ثم يلتقي جورباتشوف سكرتير الحزب الشيوعي الفرنسي جورج مارشيه.

وفي تمام السادسة الا ربعا سيعقد الرئيسان الفرنسي والسوفياتي مؤتمرا صحفيا مشتركا في الاليزيه.

ويختتم اليوم الثاني من الزيارة بحفل عشاء يقيمه ميتران على شرف ضيفه في منزله الخاص.

وفي صباح يوم الخميس سيلتقي جورباتشوف مع الرئيس ميتران مرة اخيرة في مقر اقامته في قصر ماريني على انفراد ثم يغادر متوجها الى ستراسبورج حيث سيلقي كلمة في القصر الاوروبي قبل ان يغادر متوجها الى بوخارست.

وذكرت مصادر أمنية فرنسية ان ما يربو على الثلاثة آلاف جندي على الأقل في الجيش وشرطة مكافحة الشغب قد انتشروا في مطار اورلي وحوله لدى هبوط طائرة الرئيس جورباتشوف الخاصة والقادمة من موسكو.

وينتظر ان تشمل مباحثات القمة السوفياتية ـ الفرنسية طائفة واسعة من القضايا ذات الاهتمام المشترك على الصعيدين الثنائي والدولي.

وينتظر ان تسفر زيارة جورباتشوف الى باريس عن توقيع ٢١ اتفاقية مشتركة في المجالات التقنية والتعاون العلمي والتجاري والثقافي والرياضي اضافة الى التعاون في مجال الفضاء.

ومازالت العلاقات التجارية بين موسكو وباريس تعاني من القيود وخاصة من الجانب الفرنسي الذي فرض حظر تصدير ٣٠٠ نوع من السلع الفرنسية الى الاتحاد السوفياتي.

وتشغل فرنسا المرتبة الرابعة من بين الدول الاوروبية الغربية التي ترتبط بعلاقات تجارية نشطة مع الاتحاد السوفياتي.

وتعد الزيارة التي قام بها وزير الدفاع الفرنسي جان بيير شوفينمان الى موسكو في ابريل (نيسان) الماضي نقطة تحول في العلاقات بين البلدين وخاصة على المستوى العسكري وهي الاولى لمسؤول مثله منذ ١٢ عاما.

وقد اعلنت وزارة الدفاع في وقت سابق عن توقيع اتفاقية عسكرية بين البلدين هدفها اعادة العلاقات بينهما في هذا المجال.

وكانت فرنسا قد وضعت حدا لعلاقاتها مع الاتحاد السوفياتي في هذا القطاع في اواخر عام ١٩٧٩ اثر تدخل القوات السوفياتية في افغانستان.

وتتضمن الاتفاقية الثنائية التي لم تعلن الوزارة عن تاريخ توقيعها بالتحديد تبادلا في زيارات اعضاء الجيش وزيارات تدريبية للطلاب العسكريين والسماح لبواخر وطائرات البلدين بالارساء والتوقف المتبادل. كما سيتم تشجيع المباريات الرياضية بين فرق البلدين. وسبق لشوفينمان ان اعلن في موسكو عن توقيع اتفاقية خاصة لتفادي الكوارث البحرية اثناء ابحار البواخر الحربية.

الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران يستقبل الزعيم السوفياتي ميخائيل جورباتشوف مصافحا عند قصر الاليزيه في باريس وبدت دانيال ميتران بينهما.

تحليل اخباري خاص بـ الشرق الاوسط

اشادة سوفياتية بسياسة فرنسا

موسكو ـ «الشرق الأوسط»:

ان الزيارة التي يبدأها ميخائيل جورباتشوف لفرنسا اليوم هي حلقة في سلسلة الحوار السوفياتي الاوروبي الذي بدأه الزعيم السوفياتي بزيارته لباريس في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٥. بيد ان الزيارة تتباين عن مثيلتها في العام ١٩٨٥ بتباين العلاقات الاوروبية السوفياتية في المرحلة الراهنة بعد اتضاح معالم سياسة البيريستوريكا في الاتحاد السوفياتي، وملامح الخلافات في وجهات النظر بين بلدان المعسكر الغربي. الى جانب التوتر الذي اصاب العلاقات البريطانية السوفياتية اثر تبادل طرد الدبلوماسيين في مايو (ايار) الماضي، والاستقبال الجماهيري الهائل الذي لقيت به المانيا الغربية ميخائيل جورباتشوف مؤخرا.

ويشير المراقبون في العاصمة السوفياتية الى ان زيارة ميخائيل جورباتشوف لباريس سوف تسجل اكبر طفرة في تطور العلاقات بين البلدين حيث سيتم توقيع قرابة عشرين اتفاقا بين الجانبين في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية والفنية رغما عن تباعد موقف موسكو وباريس ازاء أهم قضايا العصر وهي قضية تصفية الاسلحة النووية.

فالاتحاد السوفياتي ينادي بتصفية الاسلحة النووية ويضع برنامجا لذلك حتى عام ٢٠٠٠ وأعلن استعداده للتغاضي عن القوة النووية الفرنسية والبريطانية خلال المراحل الاولى لهذا البرنامج على ان تنضم فرنسا وبريطانيا الى خطط تصفية الاسلحة النووية في ما بعد، بينما فرنسا تتمسك بموقفها ازاء الابقاء على الصواريخ النووية في اطار نظرية الردع النووي مما يعني تقاربها الشديد مع سياسة تاتشر في لندن بخصوص هذه القضية.

واشارت صحيفة «البرافدا» عشية زيارة جورباتشوف لفرنسا الى اهمية دور باريس في السياسة العالمية مؤكدة انها وان كانت عضوا في حلف الناتو فانها ليست طرفا في منظمته العسكرية، وان سياستها الشرقية ليست سياسة «ناتوية»، وبالتالي ليست سياسة امريكية. واشادت «البرافدا» ايضا بتصريحات الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران التي ادلى بها مؤخرا حول تصميمه على تقليص النفقات العسكرية لفرنسا خلال السنوات الخمس القادمة بمقدار ٤٥ مليون فرنك فرنسي، وكذلك حول تاييد بلاده لنظرية «الكفاية المعقولة من السلاح».

هذا العالم

«الاسطورة».. من الداخل!

إننا نتجاهل، او العالم يتجاهل، واقعا شديد الاهمية، بالغ الخطورة.

ان مركز الاضطراب الاكبر هذه الايام، ليس تظاهرات الخبز في تونس، ليس تظاهرات يناير في مصر، ليس احكام الاعدام في الكويت، ليس حتى بيروت، ليس حتى الوضع السياسي الحالي في السودان.

.ففي هذه المنطقة التي سميت الشرق الاوسط، والتي جعلت اسرائيل نفسها جزءا منها، رغما عنها وعن العالم اجمع، في هذه المنطقة المعروفة بانها منطقة الاضطرابات والقلاقل والخضات السياسية..

في منطقة ظلت اسرائيل تتحدث عنها بلغة المحللين والمنظرين والواعظين، تبدو اسرائيل اليوم، وللمرة الاولى منذ قيامها، الاكثر عرضة للخطر والاكثر خوفا والاكثر تعرضا للنقد العالمي.

والواقع ان «الاسطورة» الاسرائيلية لم تكن في القوة العسكرية ولا في مقدرة اسرائيل على إحداث الحروب المفاجئة ولا في حمايتها من العالم العربي، بل كانت اسطورتها في انها بلد من دون مشاكل ومن دون تظاهرات ومن دون «اوبئة» شرق اوسطية.

وهذا الواقع تغير الآن للمرة الاولى منذ اربعين عاما. فاسرائيل تنام وتستفيق كل يوم على جدل سياسي وعلى تظاهرة وعلى خوف. واسرائيل تحاقب رجلا مثل ابا ايبان احد مؤسسيها لان كلامه اصبح يخيفها فكيف كلام الآخرين.

وامس كنت اقرأ المقال الافتتاحي في «الواشنطن بوست» حول الخلاف بين الحكومة الاسرائيلية والحكومة الاميركية.

وقد فوجئت، ان «الواشنطن بوست» تؤيد «سياسة اميركا السليمة»! حتى «الواشنطن بوست».

وسوف يأتي يوم لا يعود هناك من يؤيد اسحق شامير الا مناحيم بيجن. ربما بتحفظ ايضا.

سمير عطا الله

---

٨ قتلى في انفجار قنبلة ببيشاور

اسلام اباد ـ ا ف ب: ذكرت الشرطة ان ثمانية اشخاص على الاقل قد قتلوا وجرح ثلاثون آخرون يوم امس بانفجار قنبلة في باص في احد المراكز التجارية في بيشاور قرب الحدود الباكستانية الافغانية.

واضاف المصدر نفسه ان القنبلة وضعت في باص يملكه لاجئون افغان. ووقع الانفجار بعد قليل من مغادرة الباص المحطة المركزية متوجها الى مخيم للاجئين في كاشا جارهي احدى ضواحي بيشاور.

اتحاد الغرف الخليجية يطلب دراسة التحديات أمام ١٩٩٢

٤ ملامح لاستراتيجية تتبناها الدول العربية في مواجهة قيام السوق الاوروبية الواحدة

الرياض - مكتب «الشرق الاوسط» - من حاسن البنيان:

طالب اتحاد الغرف العربية الخليجية جميع الدول العربية باجراء دراسات مبكرة لحجم التحديات المتوقعة لقيام السوق الاوروبية الواحدة في علم ١٩٩٢م وتاثيرها على الاقتصاد العربي. ففي ذلك الوقت ستصبح دول المجموعة الاوروبية الـ ١٢ سوقا واحدة لانتقال السلع ورؤوس الاموال والافراد فيها دون قيود لتكون اولوية التعامل التجاري بين دول المجموعة نفسها باعتبار ان الهدف الاساسي بعد عام ١٩٩٢م سيكون تعزيز القدرة التنافسية للصناعات والسلع الاوروبية وتحقيق اكتفاء ذاتي من خلال فرض المزيد من القيود تجاه الدول والمجموعات الاخرى.

واقترح اتحاد الغرف العربية الخليجية ايجاد استراتيجية عربية موحدة لاستيعاب ما يجري من ترتيبات مالية ونقدية جدية وللتكيف مع المستجدات والاستفادة من نقاط القوة وسد الثغرات.

كما اقترح الاتحاد ٤ ملامح يمكن ان تشتمل عليها هذه الاستراتيجية وهي:

● التنسيق بين التجمعات الاقتصادية العربية الحالية وهي مجلس التعاون لدول الخليج العربية ومجلس التعاون العربي واتحاد المغرب العربي ليتم من خلال ذلك دعم القدرة التفاوضية العربية.

● التعرف على التحديات التي واجهت التجربة التكاملية لدول المجموعة الاوروبي والتي بدأت منذ عام ١٩٥٧م بهدف الاستفادة منها.

● ومن الملاحظ ان من النتائج المبكرة لتوحيد المجموعة بعد عام ١٩٩٢م (عام اوروبا بلا حدود ولا حواجز جمركية) هو اتجاه الشركات الاوروبية نحو الدمج اذ زادت نسبة الدمج في فرنسا في عام ١٩٨٧ عما كانت عليه في عام ١٩٨٥م بنحو ٦١٪ وفي المانيا الغربية بنسبة ٣٦٪ وقد سعت الشركات المندمجة الى زيادة النفقات المتعلقة باعداد البحوث وتطوير المنتجات الصناعية وزيادة جودتها وعليه فان المطلوب من مؤسسات القطاع الخاص في الدول العربية الخليجية السعي لتكوين الشركات والمجموعات الصناعية الكبرى للوقوف امام اي منافسة محتملة.

● توسيع مجالات التكامل الاقتصادي العربي الى مجالات جديدة مع الاستفادة من عوامل اخفاق التجارب التكاملية السابقة والاخذ بأسلوب جديد لا ينحصر في توسيع التجارة واقامة المشروعات المشتركة فقط دون الاهتمام بمجال الخدمات اوتطوير مشاريع البنيات الأساسية العربية وضرورة تدعيم التعاون المصرفي والنقدي وبصورة خاصة من خلال تسوية المدفوعات الناتجة عن التجارة البينية التي تواجه محدودية في العملات الحرة.

السوق الواحدة

وتجدر الاشارة الى ان السوق الاوروبية الواحدة عام ١٩٩٢م تضم اكثر من ٣٢٠ مليون نسمة مقابل ٢٣٩ مليون نسمة في الولايات المتحدة و١٢٠,٧ مليون نسمة في اليابان وقد ابدت الولايات المتحدة واليابان والدول الصناعية اهتماما كبيرا لتطورات قيام اوروبا الواحدة حيث سيؤدي هذا الحدث الى آثار كبيرة على الاقتصاد الدولي واقتصاديات المجموعة الاوروبية نفسها من جهة والعالم العربي من جهة اخرى. وقد بلغ الناتج المحلي الاجمالي لدول المجموعة الاوروبية في عام ١٩٨٧م نحو ٣٧٢٥,٨ مليار ايكو (وحدة النقد لدى سلة العملات الاوروبية). وكانت في نهاية ١٩٨٧م تعادل ٣٨٦٥,١ مليار ايكو للولايات المتحدة و٢٠٦٨,٤ مليار ايكو لليابان لنفس العام كما استأثرت دول المجموعة الاوروبية بما لا يقل عن ٤٠٪ من مجمل التجارة الدولية في عام ١٩٨٧م.

التعاون الخليجي

وتعتبر دول مجلس التعاون الخليجي الشريك التجاري السادس لدول المجموعة الاوروبية في عام ١٩٨٧م اذ بلغت قيمة التجارة بين المجموعتين نحو ٢٣,٤ مليار ايكو.. وقد سجلت دول مجلس التعاون الخليجي عجزا تجاريا مع دول المجموعة الاقتصادية الاوروبية خلال العام ١٩٨٧م بلغ نحو ١٠,١١٩ مليار ايكو مقابل ١٢,٣٩٦ مليار ايكو في عام ١٩٨٦م في حين بلغ اجمالي واردات دول المجلس من هذه المجموعة في عام ١٩٨٧ نحو ١٣,٢٥٦ مليار ايكو. وشكل بند الوقود في عام ١٩٨٧ حوالي ٨٨٪ من اجمالي صادرات دول المجلس للمجموعة في حين ان البتروكيماويات كانت تمثل ٤٪ فقط من جملة الصادرات وتشكل صادرات دول المجلس الى المجموعة الاوروبية نحو ٢٤٪ من اجمالي صادراتها في علم ١٩٨٧م في حين تشكل وارداتها من دول المجموعة نحو ٤٠٪ من اجمالي وارداتها. وتتوجه دول المغرب العربي اكثر من ٥٠٪ من صادراتها الى دول المجموعة الاوروبية.



السيد محمد عبد الله الملا امين علم اتحاد الغرف العربية الخليجية

تقرير «الشرق الاوسط» لحالة الاسواق امس

النفط والذهب يواصلان الصعود بثقة امام استمرار تراجع الدولار واستقرار الاسترليني

لندن - «الشرق الاوسط»:

واصلت اسعار النفط الصعود بثقة امس لليوم الثاني على التوالي هذا الاسبوع في الاسواق الاوروبية وفعلت ذلك بافتتاح قوي جاء استمرارا لاقفال صاعد ليلة امس.

وفي اسواق المال واصل الدولار الامريكي الهبوط ايضا مع استقرار وصعود هامشي للاسترليني امام غالبية العملات الرئيسية وتفاوت هذه العوامل لاحداث صعود جديد لاسعار الذهب بلغ نحو الدولارين للاوقية التي صعدت اول من امس باكثر من اربعة دولارات. اما في بورصات الاسهم فحافظت لندن على ادائها القوي فيما تمكنت عوامل الاضطراب السياسي في طوكيو من النيل من ثقة المتعاملين الامر الذي ادى الى تراجع مؤشر نيكاي.

فقد واصل الاداء النفطي في الاسواق الاوروبية تقدمه بثقة امس وبيع البرميل من عقود اغسطس (اب) بسعر ١٧,٩٠ دولار عند الظهر اقترابا من عتبة الـ ١٨ دولارا المهمة نفسيا. وكان السعر للفترة ذاتها اول من امس ١٧,٦٠ دولار ثم اقفلت معاملات الليلة الماضية في الاسواق الاوروبية عند ١٧,٧٥ دولار.

وواصل السعر الصعود في افتتاح المعاملات امس حين كان ١٧,٨٠ دولار للبرميل.

الجنيه الإسترليني

● في اسواق المال، سجل الاسترليني صعودا هامشيا جديدا امس امام غالبية العملات الرئيسية الامر الذي يضيف مرة اخرى الى تراجع الضغوط لزيادة الفائدة مما يعطي السلطات النقدية البريطانية متنفسا لتجنب احداث حالة انكماش اقتصادي على الرغم من القفز الكبيرة التي سجلها مؤشر تجارة التجزئة البريطاني اول من امس - وهو المؤشر الذي قفز خلال شهر مايو (ايار) الماضي بنسبة ٣ في المائة مقارنة بما كان عليه لشهر ابريل (نيسان).

في هذا الاطار كان اداء **الإسترليني على النحو التالي امام عدد من العملات المختارة.**

- امام الدولار الامريكي كسب الاسترليني نصف السنت ليكون سعر الاستبدال ١,٥٨٥٥ دولار. وكان سعر الاسترليني قد هبط قبل اسبوع الى نحو ١,٥٠ دولار.

- امام العملة اليابانية بيع الجنيه بسعر ٢٢٤,٤٤ ين صعودا من ٢٢٣,٢٦ ين لاقفال امس الاول.

- في زيورخ كان سعر الاستبدال ٢,٦٢٠٨ فرنك سويسري صعودا من ٢,٦١٥٧.

- لكن الجنيه تراجع هامشيا امام الفرنك الفرنسي في باريس حيث بيع بسعر ١٠,٣٣٨٢ فرنك هبوطا من ١٠,٣٤٥٧.

الدولار

● وجاء اداء الدولار معاكسا فقد واصل التراجع امام جميع العملات تقريبا وسط معاملات اتسمت بالهدوء بسبب عطلة الرابع من يوليو (تموز) في الولايات المتحدة.

وكان الاداء في مواقع مختارة على النحو التالي:

- في طوكيو اقفلت المعاملات عند ١٤٠,٩٥ ين للدولار الذي خسر ١,٥٥ ين.

- في فرانكفورت واصلت العملة الامريكية هبوطها الى ١,٩١٩٦ ملرك المني، وكانت قد تجاوزت قبل ايام علامة الماركين.

- في زيورخ بيع الدولار بسعر ١,٦٤٨٥ فرنك سويسري هبوطا من ١,٦٥٣٧٥.

الاسهم

● في اسواق الاسهم واصل مؤشر الفينانشيال تايمز للمائة سهم البريطاني اداءه القوي وسجل عند الظهر صعودا بلغ ٧,٨ نقطة لكيون ٢١٧٣,٤ نقطة، غير متأثر لليوم الثاني على التوالي بنبأ الصعود في مؤشر تجارة التجزئة، لكن الاوضاع لم تكن على ما يرام في البورصة اليابانية حيث نالت حالة الاضطرابات السياسي في طوكيو من ثقة المتعاملين الذين فضلوا الانتظار وهكذا تراجع مؤشر نيكاي بواقع ٤٦,٠٤ نقطة ليقفل المعاملات عند ٣٣١٩٠,٣٨ نقطة، بعد ان كان قد تجاوز عتبة الـ ٣٤ الف نقطة.

الذهب

● واستفاد الذهب مرة اخرى من هذه التطورات، فقد كان السعر الموصى به لفترة الضحى في لندن امس ٣٧٧,٥٠ دولار للاوقية صعودا من ٣٧٥,٤٠ دولار للفترة ذاتها اول من امس.

تقرير دولي يدعو الى مضاعفة معونة التنمية للبلدان النامية

طوكيو - كونا: ذكرت مصادر حكومية يابانية امس ان لجنة خاصة بالمعونة تابعة للامم المتحدة قد اعدت تقريرا يدعو الى مضاعفة معونة التنمية من الدول الصناعية للدول النامية خلال السنوات الخمس المقبلة.

وقال رسميون ان اللجنة برئاسة المستشار الالماني الغربي السابق هيلموت شميت قد دعت اليابان ايضا الى زيادة معونتها الخارجية بنسبة واحد في المائة من اجمالي الناتج القومي الياباني صعودا من النسبة الحالية البالغة ٠,٣٢ في المائة.

كما تضمن تقرير اللجنة اقتراحا آخر يدعو الى تأسيس صندوق دولي جديد يستهدف مساعدة الدول الافريقية المتاخمة للصحراء حيث تشكل زيادة السكان والمجاعة مشكلة خطيرة.

وقد تم تشكيل لجنة المعونة للدول النامية عام ١٩٨٧ بمبادرة يابانية لتكون بمثابة بنك للمعلومات من اجل دراسة سبل تسهيل تدفق الاموال بسهولة من الدول الصناعية الى دول العالم الثالث.

ويستفاد من الرسميين ان تقرير اللجنة هذا قد سبق وسلم الى زعماء الدول الصناعية السبع الذين سيحضرون اجتماع قمة باريس اعتبارا من ١٤ يوليو (تموز) الحالي.

ويؤكد التقرير على ان استمرار نمو الاقتصاد العالمي وتوسيع التجارة العالمية هما مفتاح للمساعدة في تسهيل تدفق الاموال من الدول الغنية الى الدول النامية.

ومن اجل استمرار النمو الاقتصادي العالمي يدعو التقرير الى اصلاح نظام النقد الدولي والاعتماد على التجارة الحرة وتنفيذ خطوات فعالة لحل معضلة ديون العالم الثالث.

ويوصي كذلك بايجاد احتياطي بمقدار مليار دولار من الفوائض التجارية للصندوق الخاص المقترح لمساعدة الدول الافريقية.



منعم يواجه غول التضخم

الرئيس الارجنتيني المنتخب، كارلوس منعم، واثق من صلابة موقفه في مواجهة التضخم الجامح الذي امسك بخناق الاقتصاد الارجنتيني.. منعم الذي يتولى مهام المنصب يوم السبت المقبل كان يجيب ليلة امس على اسئلة الصحفيين قائلا انه لن يقبل بأي تنازلات في المعركة الدائرة ضد التضخم.

اسواق العالم

العملات الاجنبية

لندن الواحدة بعد الظهر

العملة	الدولار	الجنيه
مارك الماني غربي	١,٩٢٤	٣,٠٥١٨
ين	١٤١,٦٥	٢٢٤,٦٨٥٢
استرليني	١,٥٨٦٢	١,٠٠٠٠
فرنك سويسري	١,٦٥١	٢,٦١٨٨
فرنك فرنسي	٦,٥٢٧٣	١٠,٣٥٣٦
ريال سعودي	٣,٧٥٠٥	٥,٩٤٩
دينار كويتي	٠,٢٩٥	٠,٤٦٧٩
درهم اماراتي	٣,٦٧٢٥	٥,٨٢٥٣
دينار اردني	٠,٥٥٩	٠,٨٨٦٧
دينار بحريني	٠,٣٧١	٠,٥٨٨٥
ريال قطري	٣,٦٤١	٥,٧٧٥٤
درهم مغربي	٨,٥	١٣,٤٨٢٧
ريال عماني	٠,٣٨٥	٠,٦١٠٧

السندات الامريكية

الاقفال السابق

سندات الخزينة لثلاثين عاما
٨,٠٧٣ نقدا

سندات الخزينة لعشرة اعوام
٨,١٤ نقدا

السلع

الاقفال السابق

كاكاو	١,٢٢٢	نيويورك
بن	٩٧,٦٣	نيويورك
سكر	١٤,٤٧	نيويورك
قطن	٦٨	نيويورك
قمح	٣٩٤	شيكاجو

المعادن

الاقفال السابق

الذهب (اونصة)	٣٧٥,٢٥	دولار
الفضة (اونصة)	٥,٢	دولار
البلاتين (اونصة)	٥٠٣,٥	دولار
النحاس (طن)	١,٥٣٩	استرليني
الالومنيوم (طن)	١,٧٩	دولار
النيكل (طن)	١٢,٩٧٥	دولار
الزنك (طن)	١,٦٤	دولار

النفط (بالدولار)

الاقفال السابق

دبي	١٥,٨	لندن
برنت	١٨,٤٥	لندن
غرب تكساس المتوسط	٠,٠٠	نيويورك

اسعار الفائدة لدى البنوك لندن - الواحدة بعد الظهر

	لاسبوع	لشهر	٣ اشهر	٦ اشهر	٩ اشهر	١٢ شهرا
دولار امريكي	٩,٣١٢٥	٩,١٨٧٥	٩,١٢٥	٨,٨٧٥	٨,٨١٢٥	٨,٧٥
استرليني	١٣,٥٦٢٥	١٣,٦٨٧٥	١٣,٨٧٥	١٣,٩٣٧٥	١٣,٨٧٥	١٣,٨٧٥

الاسهم في ست بورصات رئيسية

اليابان - الاسم	اقفال امس	الاقفال الاسبق	التغير	للعام - الاعلى	للعام - الادنى
مؤشر نيكاي داو	٣٣٢٣٦,٤٢	٣٢٩٤٨,٦٩	٠,٦٧	٣٤٢٦٦,٧٥	٢١٢١٧
ان تي تي	١٤٧٠	١٤٧٠	----	٢٥٠٠	١٤١٠
طوكيو اليتريك باور	٣٥٨٠	٣٦١٠	٠,٨٣-	٤٣٧٠	٢٠٠٠
بنك سوميتومو	٣٤٠٠	٣٤٠٠	----	٤١٤٠	٣١٠٠
نومورا للسندات المالية	٣١٢٠	٣١٥٠	٠,٩٥-	٤٤٧٠	٣٠٣٠
بنك اليابان الصناعي	٤٤٠٠	٤٣٥٠	١,١٥	٤٥٥٠	٣٠٢٠

الولايات المتحدة - الاسم	الافتتاح امس	افتتاح الاسبق	التغير	للعام - الاعلى	للعام - الادنى
مؤشر داو جونز	٢٤٤٠,٠٦٠	٢٤٤٠,٠٦٠	----	٢٠١٧,٣	١٨٧٩
اي بي ام	١١١,٨٧٥	١١١,٨٧٥	----	١٣٠,٦٢٥	١٠٤,٢٥
اكسون كورب	٤٤,٠٠٠	٤٤	----	٤٧,٧٥	٣٨,٠٠
جنرال اليكتريك	٥١,٦٢٥	٥١,٦٢٥	----	٥٢,٢٥	٣٨,٣٧٥
جنرال موتورز	٤١,٧٥٠	٤١,٧٥٠	----	٤٢,٨٧٥	٣٩,٥٠
دوبونت	١٠٨,٧٥٠	١٠٨,٧٥٠	----	١١٢,٥٠	٧٥,٧٥

بريطانيا - الاسم	السعر الواحدة ظهرا (لندن)	السعر الاسبق	التغير	للعام - الاعلى	للعام - الادنى
مؤشر الفينانشيال تايمز للمائة سهم	٢١٧٣,٥٠	٢١٦٣	٠,٤٩	٢١٧٩,٨	١٦٨٩,٩
بريتيش تليكوم	٢٥١	٢٥٣	٠,٧٩-	٥٩٨,٠٠	١٣٩
بريتيش بتروليوم	٢٩٨	٢٩٨	----	٢٩٧,٠٠	١٣٩
جلاكسو	١٣٨٠	١٣٧٢	٠,٥٨	١٨٣٥	٨٨٣
امبريال للصناعات الكيماوية	١٢٥٧	١٢٦٠	٠,٢٤-	١٢٣٢	٩٤٧
شل	٤٢٥	٤٢١	٠,٩٥	٤١١	٣٣٩

المانيا الغربية - الاسم	السعر الواحدة ظهرا (لندن)	السعر الاسبق	التغير	للعام - الاعلى	للعام - الادنى
مؤشر فاز	٦١٦,٠١	٦١٣	٠,٥٧	٥٩٥,٤٩	٣٩٦,٤
ديملر بنز	٧٠٦	٧٠٥	٠,١٤	٧٩٩,٠٠	٥٢٣,٠٠
سيمنز	٥٩٣,٥٠	٥٧٥	٣,٢٢	٥٥٧,٥٠	٣١٠,٥٠
الاليانس	١٩٤٨	١٩٠٧	٢,١٥	١٩٥٧,٠٠	٠١٠,٠٠
البنك الالماني	٦٢٩	٦١٥	٢,٢٨	٥٨٣,٠٠	٣٥٢,٠٠
باير	٢٩٩,٢٠	٢٩٥	١,٤٢	٣١٣,٨٠	٢٣٦,٢٠

سويسرا - الاسم	السعر الواحدة ظهرا (لندن)	السعر الاسبق	التغير	للعام - الاعلى	للعام - الادنى
كريت سويس	٦١٣,١٠	٦٠٦,٧٠	١,٠٥	٥٨٨	٤٠٦,٦
نسلة	٧٩٤٠	٧٨٥٠	١,١٥	٩٠٢٥	٦٣٥٠
هوفمان لاروش	د.ت	د.ت	----	٢٧٣٠٠٠	٢٧٢٠٠٠
سيباجيجي	٤٠٥٠	٤٠١٠	١,٠٠	٣٥٨٠	٢٤٢٠
ساندوز	١٢٦٠٠	١٢٣٠٠	٢,٤٤	١٢٩٢٥	٩١٠٠
اس بي جي	٣٣٧٥	٣٣٥٠	٠,٧٥	٣٥١٠	٢٨٢٠

فرنسا - الاسم	السعر الواحدة ظهرا (لندن)	السعر الاسبق	التغير	للعام - الاعلى	للعام - الادنى
كال جنرال	٤٧٧,٧٠	٤٧٦,١٠	٠,٣٤	٤٨٠,٩	٢٥١,٣
اكويتان	٥٢٩	٥٤٥	٢,٩٤-	٤٧٨,٥٠	٢٢٠,٠٠
تومسون	٢١٤,٩٠	٢١٢	١,٣٧	٢٥٤,٠٠	١١٨,٥٠
ايرليكويد	٦١٤	٦١٠	٠,٦٦	٦٣٧,٠٠	٤٤٢,٠٠
بيجو	١٧٢٥	١٧١٨	٠,٤١	١٧٨٣,٠٠	٧٧٥,٠٠
ميتشلين	١٨٥,٣٠	١٨٦,٨٠	٠,٨٠-	٢٢٩,٥٠	١٣٣,٠٠

الاسعار اعلاه لغرض الاستدلال بها كمؤشرات فقط. المصدر: البنك السعودي الامريكي، فرع لندن، بالاشتراك مع شركة سامبا الدولية لادارة رؤوس الاموال.. تليفون: ٢٤٨١٠٩٦ - ١ - ٠٠٤٤ تلكس: 885124LG

اقتصاديات سريعة

بلاستيك

● تعتزم مجموعة شركات «فيروزي» الايطالية انتاج وتسويق نوع جديد من البلاستيك القابل للتحلل بيولوجيا.

الغرض من الانتاج الجديد هو الاستجابة لنداءات الحفاظ على البيئة بالنظر الى ان منتجات البلاستيك التقليدية تصنع من مادة لا تفنى بيئيا، وبالتالي فالنفايات البلاستيكية لا تتحلل في التربة وتبقى عادما صناعيا ملوثا للبيئة.

ستنتج المجموعة الايطالية البلاستيك القابل للتحلل بيولوجيا من نشا الذرة، وستصنع في المراحل الاولى الاكياس ومناديل المائدة وصفائح التعبئة.

المعلوم ان شركات الكيماويات العالمية الكبرى تطور حاليا وتنتج انواعا من البلاستيك القابل للتحلل لكن المجموعة الايطالية تعتقد ان انتاجها سيكون الاول من نوعه الذي يصنع من نشا الذرة.

صفقات

● اتمت شركة البترول البريطانية (بي بي) التصرف في الجانب الاكبر من اصولها في قطاع التعدين الى شركة «آرتي زد».

بلغت حصيلة الصفقة لحساب بريتش بتروليوم نحو ٣,٦ مليار دولار.

وتنتظر الشركة البريطانية اتمام بيع حصتها البالغة ٤١ في المائة من اصول منجم «السد الاولمبي» اضافة الى حصتها في امتيازات التنقيب في استراليا وعدد من الممتلكات الاخرى الخاضعة لحقوق الشفعة او الموافقات الحكومية خلال الاشهر المقبلة في صفقات مستقلة.

والمتوقع ان تبلغ الحصيلة الاجمالية للمبيعات نحو ٤,٣ مليار دولار.

فاكسيميلي

● تجاوزت ماكينات الفاكسيميلي نطاق الرفاهية وباتت الآن بين المعدات والتجهيزات الاساسية المكتبية في جميع انحاء العالم.

بهذا الشكل اصبحت شركات الاليكترونيات اليابانية اكثر شركات العالم استفادة من الازدهار في قطاع الفاكسيميلي.

الاهم من ذلك ان الفاكسيميلي لعبت دورا سياسيا لم يكن في حسبان بعض الحكومات. فخلال الاضطرابات الاخيرة في بكين استطاع الطلاب عبر ماكينات الفاكسيميلي تجاوز أطر الرقابة وبث رسائلهم الى الخارج.

اسعار العملات

العملة	النقد	التحويل
دولار امريكي	٣,٧٦	٣,٧٥١٠
جنيه استرليني	٥,٨٩	٥,٨١٩٨
مارك المانى	١,٩٤	١,٩٢١٥
فرنك سويسرى	٢,٢٥	٢,٢٤٢١
فرنك فرنسى	٠,٥٧٢٠	٠,٥٦٦٢
ليرة ايطالية	٠,٠٠٢٧	٠,٠٠٢٦٦٣
ين يابانى	٠,٠٢٧	٠,٠٢٦٠٧
جلدر هولندى	١,٧١	١,٧٠٠٤
دولار ستغافورى	١,٩٢	١,٩١٠٨
دولار كندى	٣,١٤	٣,١٣٥٠
شلن كينى	٠,١٨٣٥	٠,١٨٣٥
بيزو فلبينى	٠,١٨٥٠	٠,١٨٤٨
شلن نمساوى	٠,٢٨	٠,٢٧٣٢
كرون سويدى	٠,٥٦٦٠	٠,٥٦٥٦
كرون نرويجى	٠,٥٢٧٠	٠,٥٢٦٨
فرنك بلجيكى	٠,٠٩٢	٠,٠٩١٨٨
ليرة لبنانية	——	——
جنيه مصرى	١,٤٨	——
دينار اردنى	٥,٦٥	——
دراخما يونانى	٠,٠٢٣	٠,٠٢٢٣٧
روبية هندية	٠,١٩٧٠	٠,٢٢٧٣
روبية سريلانكا	٠,١٠٩١	٠,١٠٩١
تاكا بنجلاديشية	٠,١١٤٠	٠,١١٤١
روبية باكستانية	٠,١٨	٠,١٧٧٩٠٧
دينار كويتى	١٢,٦٧	١٢,٦٦٣٣
دينار تونسى	٣,٧٥	٣,٨٨٠٠
دينار جنوبى	٨,٩٠	١٠,٨٨٥٩
دينار بحرينى	٩,٩٦	٩,٩٥٢٠
ريال عمانى	٩,٧٢	٩,٧٤٧٦
ليرة سورية	,٩٢٢	٠,١٨٣٥
درهم اماراتى	١,٠٢١٥	١,٠٢١٢٦٩
ريال قطرى	١,٠٣١٠	١,٠٣٠٦
درهم مغربى	,٤٣٥٠	٠,٤٢٨٤٠٠
كرون دانماركى	٠,٤٩٤٠	٠,٤٩٣٦
بيزتا اسبانى	٠,٠٣٠٥٠	٠,٠٣٠٢٥
ريال يمنى	٣٣,٩٠	——
جنيه سودانى	٠,٣٥	——
دينار عراقى	١,٣٩	——

الصنف	بيع	شراء
كيلو ذهب ٩٩٩٩	——	——
سبيكة ذهب	——	——
اونصة ذهب	——	——
كيلو فضة	——	——
اونصة فضة	——	——

الاسعار مقدمة من شركة الراجحي المصرفية للاستثمار وهي قابلة للتغيير حسب السوق العالمية
للاستفسارات ٤٠٥٤٢٤٤ - الرياض

انه لقرآن كريم

إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ۞ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين ۞ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ۞ يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ۞ خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم ۞

صدق الله العظيم /التوبة

إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا

	مكة المكرمة	المدينة المنورة	القدس الشريف	الرياض	القاهرة	الخرطوم	الرباط	تونس	الكويت	ابوظبي
الفجر	٤،١٣	٤،٠٤	٣،٠٠	٣،٣٥	٤،١٣	٣،٥٨	٣،٣٠	٣،١٥	٣،١٩	٤،١٩
الشروق	٥،٤٣	٥،٣٨	٤،٣٨	٥،٠٩	٥،٥٨	٥،٢٨	٥،١٩	٥،٠٦	٤،٥٣	٥،٣٩
الظهر	١٢،٢٥	١٢،٢٦	١١،٤٥	١١،٥٨	١٢،٥٩	١١،٥٤	١٢،٣٧	١٢،٣١	١١،٥٢	١٢،٣٢
العصر	٣،٤٣	٣،٤٧	٣،٢٥	٣،١٩	٤،٢٥	٣،١٥	٤،١٧	٤،١٥	٣،٣٦	٣،٥٩
المغرب	٧،٠٨	٧،١٥	٦،٥١	٦،٤٧	٨،٠٠	٦،٢٨	٧،٤٩	٧،٤٤	٦،٥١	٧،١٩
العشاء	٨،٣٨	٨،٤٥	٨،٢٢	٨،١٧	٩،٣٣	٧،٤٢	٩،٣٣	٩،٣٢	٨،٢٣	٨،٤٩

	المنامة	الدوحة	مسقط	صنعاء	عمان	بغداد	اسطنبول	بيروت	اثينا	لندن
الفجر	٣،١١	٣،١٩	٤،٠٣	٤،١٦	٣،٥٦	٣،٢٨	٤،٣٢	٢،٥١	٤،١٤	٢،٤٠
الشروق	٤،٤٩	٤،٤٩	٥،٢٢	٥،٢٦	٥،٣٢	٤،٥٨	٦،٣٦	٤،٣٦	٦،٠٧	٤،٥٠
الظهر	١١،٤٢	١١،٣٤	١٢،١٤	١٢،١٣	١٢،٤٠	١٢،١٣	٢،١٠	١١،٥٧	١،٣١	١،٠٦
العصر	٣،٠٩	٣،١٦	٤،١٢	٣،١٣	٤،٢١	٤،٤٨	٦،١٠	٣،٤٠	٥،٢٥	٥،٢٨
المغرب	٦،٣٤	٦،٣٧	٧،٠٢	٦،٤٨	٧،٤٨	٧،١٨	٩،٤٢	٧،٠٦	٨،٥٣	٩،٢١
العشاء	٨،٠٤	٧،٥٧	٨،٢٧	٧،٤٨	٩،٢٤	٨،٣٨	١١،٣٧	٨،٤٤	١٠،٣٨	١١،٢٢

	باريس	روما	بروكسل	مدريد	جنيف	فيينا	برلين	فرانكفورت	ميونيخ	ستوكهولم
الفجر	٣،٣٤	٣،٣١	٣،٢٢	٤،٤٧	٣،٢٤	٢،٣٩	٢،٤٢	٤،٠٤	٢،٥٩	٢،٠٢
الشروق	٥،٥٢	٥،٣٩	٥،٣٤	٦،٢٩	٥،٤٨	٤،٥٩	٤،٤٩	٥،٥٨	٥،١٨	٣،٣٩
الظهر	١،٥٦	١،١٦	١،٤٨	٢،٢٠	١،٤١	١،٠٠	١،١٢	١،٣٣	١،١٩	١٢،٥٤
العصر	٦،١٢	٥،١٨	٦،٠٨	٦،٢٠	٥،٥٢	٥،١٥	٥،٣٥	٥،٣٨	٥،٣٤	٥،٣١
المغرب	٩،٥٩	٨،٥١	١٠،٠١	٩،٥٠	٩،٣٣	٩،٠٠	٩،٣٤	٩،٠٥	٩،١٩	١٠،٠٦
العشاء	١٢،٠٠	١٠،٤٩	١٢،٠٢	١١،٤٣	١١،٤٤	١١،٠٨	١١،٣٠	١٠،٥١	١١،٣٦	١١،٣٥

	كوبنهاغن	لوس انجلس	امستردام	دبلن	نيويورك	واشنطن	شيكاغو	هيوستن	مونتريال
الفجر	٢،٣٧	٤،٠٣	٣،١٧	٣،١٢	٣،٢٩	٣،٤١	٣،١١	٤،٥٠	١،٥٥
الشروق	٤،٣٢	٥،١٦	٥،٢١	٥،٣٤	٥،٢٩	٥،٤٧	٥،٢٠	٦،٢٤	٤،٢٢
الظهر	١،١٥	١٢،٥٩	١،٤٦	١،٣٢	١،٠٢	١،١٤	١٢،٥٩	١،٢٧	١٢،١١
العصر	٥،٤٥	٤،٤٤	٦،٠٩	٥،٤٠	٥،٠١	٥،١٠	٤،٥٨	٥،٠٢	٤،٢١
المغرب	٩،٥٧	٨،١٠	١٠،٠٢	٩،٢٧	٨،٣٣	٨،٣٩	٨،٣١	٨،٢٨	٨،٠٠
العشاء	١١،٤٢	٩،٤٦	١٢،٠٣	١١،٣٧	١٠،٢٧	١٠،٢٧	١٠،٣٠	٩،٥٩	١٠،١٣

دعاء اليوم

الحمد لله رب العالمين، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

في ذكرى حطين «٢»

في التاريخ ايام مشهودة مكانها من سواها مكان الاعلام من سواد الناس، او من ملايين البشر الذين يأتون الى هذه الدار الفانية ويذهبون، فلا يبقى الا للقلة القليلة منهم ذكر ولا اثر. وكذلك الايام تتوالى رتيبة متشابهة، فلا تذكر منها بعد انقضائها سوى قلائل منها اثرت في مجرى التاريخ، او شهدت حدثا من احداثه المهمة.

ويوم حطين هو احد تلك الايام القلائل التي تلتمع في التاريخ كما تلتمع الشهب والكواكب، بما شهد من انتصار حق على باطل، وتحرير وطن سليب، وبما ترك من اثار خطيرة في العلاقات بين الشرق والغرب. وهو يضاهي في اهمية ايام ذي قار، والقادسية واليرموك وسواها من ايام العرب والاسلام التاريخية المهمة.

ان معركة حطين بظروفها، واحداثها الروائية المثيرة، ونتائجها، لاشبه بملحمة رائعة صاغها خيال شاعر ملهم، او جادت بها قريحة قصاص عظيم. ملحمة حافلة بصور الفروسية، والدهاء، اجتمعت فيها قوة الايمان والبسالة، بالنظر البعيد، والتخطيط السليم. وفي هذه الملحمة امثلة نادرة في الخصومة الشريفة، والالتزام بالعهود، ونبل المنتصر، والقصاص العادل. وقد قضت تلك المعركة على اكبر حركة استعمارية شهدها العالم في العصور الوسطى، ومهدت السبيل لقائدها ومخططها صلاح الدين الايوبي لتحرير القدس، وطرد الغزاة من فلسطين الصابرة المبتلاة باطماع الدخلاء، ضحية العدوان بالامس، كما هي ضحية العدوان اليوم.

واحداث تلك المعركة، واسبابها ونتائجها، مدونة بتفاصيل كبيرة في كتب ودراسات عربية وافرنجية لا عداد لها. وان تلك الاحداث، وما فيها من دروس وعبر لاضخم من ان تحصر في عجالة، او توجز مغازيها في مقالة. وجل ما سنحاوله هو تقديم عرض تاريخي مختصر لظروفها واحداثها عبرة وتذكيرا في هذه الايام العصيبة التي تجتازها بلادنا وامتنا، والظروف الصعبة التي تعيش فيها ارض تلك المعركة، التي حررها صلاح الدين قبل ٨٠٠ عام.

بقلم: نجدة فتحي صفوة

وعلى اثر هذا الانتصار وجد ريمون ان خطر المسلمين يتطلب تناسي الخلافات، وان مقاومته لا تتم الا باتحاد القوات الصليبية، فاعلن ولاءه للملك، ونكث عهده مع صلاح الدين، وسار الى عكا للاجتماع بالملك وسائر الامراء، وتدبير امر الدفاع عن المملكة المهددة بالانهيار.

وعقد امراء الافرنج مؤتمر القمة في عكا، وكانوا متحمسين لفكرة التقدم شرقا والتصدي لصلاح الدين. الا ان ريمون امير طرابلس ـ ويبدو انه كان رجلا عاقلا حكيما ـ شعر بان العرب يريدون استدراجهم، فنصحهم قائلا ان صلاح الدين لا يستطيع ادامة هذه القوات الكبيرة لمدة طويلة في هذه المنطقة الشديدة الحرارة، وان الانتظار سيجعل قواته تمل البقاء هناك من جهة، وتتيح الوقت لوصول النجدات الى الافرنج من جهة اخرى. وبعد انقضاء الصيف سيكون بامكانهم خوض المعركة في المكان الذي يلائمهم.

وثار بين الامراء خلاف شديد. وعارض هذا الرأي (ارناط) وشاتيلون وجيرار واتهموا ريمون بالجبن والضعف امام العرب، بل بالتحيز لهم. فأثاره كلامهم، واعلن موافقته على التقدم نحو «صفورية» فزحف الجيش اليها، ووصلها في ٢ تموز، وعسكر في موضع ممتاز تتوافر فيه المياه والمراعي، وهو موضع اذا استطاعوا استدراج قوات صلاح الدين اليه لتمكنوا من القضاء عليها فيه، لانه سيسير اليهم في ارض قاحلة خالية من المياه.

ولكن صلاح الدين، وهو القائد المحنك، لم تغب عنه هذه الاعتبارات، فقام بمناورة بارعة لاخراج الافرنج انفسهم من موقعهم الحصين واستدراجهم منه. فهو لم يهاجمهم في موقعهم، بل ارسل قوة كبيرة هاجمت «طبرية»، فاحتلتها، وحاصرت قلعتها التي اعتصمت فيها حاميتها مع الكونتيسة «ايشيفا» زوجة ريمون. وكانت قلعة منيعة يحيط بها خندق مائي عميق. فارسلت الكونتيسة الى زوجها رسالة تخبره بأمر الحصار، وتطلب النجدة. ويرجح بعض المؤرخين ان صلاح الدين ربما مكن رسول الكونتيسة من اجتياز الحصار المحكم، وغض الطرف عنه، لانه كان يريد وصول الخبر، اذ توقع ان يهرع الافرنج الى انقاذ طبرية، فيغادروا موقعهم الحصين.

وفي مساء اليوم الذي رابطت فيه قوات الافرنج في صفورية (٢ تموز) وصلت رسالة الكونتيسة ايشيفا الى زوجها ريمون، فأثار خبر احتلال طبرية ومحاصرة قلعتها ثائرة ملوك الصليبيين وامرائهم، فاجتمع الملوك بالامراء وتداولوا في امر شن هجوم لانقاذ طبرية. ولكن «ريمون» ـ زوج الكونتيسة المحاصرة ـ خالفهم مرة اخرى، مكررا رأيه السابق، ناصحا بعدم التهور.

قال لهم: «ان طبرية هي مدينتي، والكونتيسة زوجتي، ولكنني على استعداد ان اخسر طبرية وكل من فيها على ان ادمر المملكة برمتها، وعلينا ان نغري العرب بالتقدم الينا، لاننا سنكون في وضع افضل، وهم سيصلون مجهدين بسبب وعورة الطريق، وحرارة الجو، وقلة الماء».

واقتنع الحاضرون بوجاهة هذا الرأي، الا ان «جيرار» قائد الداوية وارناط امير الكرك، عادا الى خيمة الملك بعد انفضاض المجلس في منتصف الليل، وقالا له:

«هل انت صدقت ما قاله هذا الخائن الغدار؟ انه لمن المخجل ان نخسر طبرية والمسافة بيننا وبينها لا تتجاوز ١٨ ميلا. ان فرسان الداوية والاسبتارية ليتحرقون شوقا للانتقام».

فتحول الملك «غي» المتردد الضعيف عن رأيه مرة اخرى، بعد ان كان مقتنعا قبل ساعة واحدة بان من الحكمة ان يكون الدفاع في «صفورية»، واصدر اوامره الى الجيش بالتقدم الى طبرية مع الفجر. وتلك كانت الغلطة القاتلة، والنصيحة السيئة. وهكذا نجحت خطة صلاح الدين، وتم له ما اراد، ولما علم بزحف الصليبيين نحوه استبشر وقال: «حصل المطلوب وجاءنا ما نريد».

وتحرك جيش الصليبيين صباح اليوم التالي (٣ تموز/ يوليو) وغادر موقعه المنيع في «صفورية»، وعلى رأسه ملك بيت المقدس، ومعه الامراء جميعا، فتولى ريمون قيادة مقدمة الجيش، وارناط قيادة المؤخرة، وبقي الملك «غي» في القلب فلما تحرك هذا الجيش نحو طبرية، تحرك صلاح الدين بدوره واتخذ له موقعا قرب (حطين)، وهي قرية قريبة من الساحل الغربي لبحيرة طبرية. وكانت المراعي والمياه متوافرة بكثرة في هذا الموقع. وطلب صلاح الى اغلب قطعاته الموجودة في طبرية اللحاق به، فلم تبق فيها سوى قطعات صغيرة قادرة على ادامة الحصار على القلعة التي كانت الكونتيسة ايشيفا ماتزال معتصمة فيها.

وكان يوم الجمعة (٣ تموز/ يوليو) شديد الحرارة، وسارت قوات الافرنج في ارض جرداء، لا كلأ فيها ولا ماء، وما ان قطعوا شوطا الا واخذ الرجال والخيل يعانون من شدة الحر والتعب والظمأ، وجفت قرب الماء التي كانوا يحملونها، بينما كانت دوريات صلاح الدين تشن عليهم هجمات صغيرة لارباكهم، وزعزعة معنوياتهم، فترشقهم بسهامها ثم تتراجع على خيولها مسرعة دون ان تتيح للاعداء فرصة للالتحام. وعلى الرغم من ان فرسان الصليبيين كانوا يرتدون الدروع الحديدية التي تقيهم من قمة الراس إلى اخمص القدم، فان المسلمين كانوا يستهدفون بسهامهم اقدام خيولهم وبطونها، فاذا سقط الحصان لم تعد للفارس قدرة على التحرك للقتال بدروعه الثقيلة.

ووصل جيش الافرنج الى الهضبة الكائنة فوق حطين مع الظهر، وشاهدوا البحيرة الزرقاء تحتهم، وتحتوي هذه الهضبة على قمتين تعرفان باسم «قرون حطين». وتؤكد المصادر التاريخية جميعا ان جيش الافرنج كان يفوق في عدده قوات صلاح الدين. وكانت قوات صلاح الدين في سفوح تلك الهضاب، فلما شاهدها الافرنج توقفوا على الهضبة ولم يهاجموها، بل قرروا ارجاء الهجوم الى اليوم التالي بعد ان ينالوا قسطا من الراحة، وقد نال التعب والظمأ منهم كل منال، وحسبوا انهم، وهم في موقع مرتفع، مسيطرون على جيش صلاح الدين المرابط في السفح وعلى ضفاف البحيرة.

ومرت ليلة عصيبة كان الافرنج يسمعون خلالها اصوات المسلمين وهم ينادون من وقت لآخر: الله اكبر.. لا اله الا الله.. فلما اصبح الصباح (يوم السبت ٢٤ ربيع الآخر سنة ٥٨٣هـ/ ٤ تموز/ يوليو ١١٧٨م) واجه الافرنج مفاجأة جديدة، اذ وجدوا ان قوات صلاح الدين قد طوقت خلال الليل الهضبة التي عسكروا فيها، واحاطت بهم «احاطة الدائرة بقطرها» على قول ابن الاثير، وبذلك منعت عنهم الماء الذي كان متوافرا على مسافة قصيرة منهم.

وتقابل الجيشان على بعد ٣ كيلومترات جنوب غربي حطين. واشرقت الشمس، وكانت تواجه الافرنج لانهم كانوا في الجهة الغربية، واخذت اشعتها تنعكس على الصخور وتعمي ابصار الافرنج ببريقها.

كان الزمن في صالح صلاح الدين، وكلما طال الانتظار ارتفعت الشمس في كبد السماء، وازداد وهجها، وازدادت معاناة العدو.

وكان صلاح الدين قد دفع جناحي جيشه في حركة التفاف، وبعد اطلاق سيل من السهام، احتدم الجيشان في قتال ضار بالايدي.

وقام المسلمون بعملية ذكية، اذ لاحظوا ان اتجاه الريح كان معهم، فاشعلوا النار في الاعشاب والاشواك التي كانت تكسو هضبة حطين، وفي هشيم الحشائش، فازعجتهم ايما ازعاج، واربكت خيولهم، وكان الغبار الذي تثيره الوف الحوافر يتطاير الى عنان السماء فيحجب الرؤية ويقطع الانفاس.

وكان جيش الافرنج يقاتل ببسالة لا نظير لها، محتملا عطشه، وسهام خصمه، وقد جعل الظمأ افراده في حالة تشابه الجنون، فكانوا يحاولون الوصول الى البحيرة مهما كلف الامر. ولكنها كانت محاولة خائبة.

وجاءت هجمات المسلمين قوية، متتابعة، كثيفة فلم تترك لعدوهم مجالا لالتقاط انفاسه، بل حاصروهم، ودفعوا بهم الى جانب واحد من ساحة القتال.

وهجم ريموند ـ امير طرابلس ـ في حملة اخيرة يائسة نحو الجناح الذي يقوده تقي الدين، فأمر هذا جنوده بفتح ثغرة لهم، فانطلق منها هاربا مع كتيبته الثقيلة والتجأ الى طرابلس. وقد مات فيها بعد اسابيع قلائل كمدا وعارا كما قال البعض.

وازدادت ثقة المسلمين بانفسهم، وكانوا على العكس من الافرنج قد قضوا ليلة مريحة، مرتوين ونشيطين، تجهيزاتهم وافرة، ولا تعوزهم السهام، وقد وقف عندهم سبعون بعيرا محملا بتجهيزات جديدة.

وارتد من تبقى من مقاتلي الافرنج نحو تل حطين، ونقلوا اليه خيمة ملكهم «غي»، وقد بقي معه نحو ١٥٠ فارسا يدافعون عنها.

وكان صلاح الدين يعلم ان هزيمة الصليبيين الكاملة تتم ساعة تدك خيمة ملكهم. فارسل الى تلك الخيمة موجات متتالية من الجند يهاجمونها بلا هوادة.

وكان هو يرقب المعركة على صهوة جواده، والى جانبه ابنه «الملك الافضل» ـ الذي كان في ذلك الوقت في الخامسة عشرة او السادسة عشرة من عمره.

ساعة النصر

وقد روى «الملك الافضل» للمؤرخ ابن الاثير بعد ذلك بسنوات، ذكرياته عن تلك المعركة التي شهدها الى جوار ابيه، فقال:

«كنت الى جانب ابي في ذلك المصاف، وتلك اول مصاف شاهدته. فلما صار ملك الفرنج على التل في تلك الجماعة، حملوا حملة منكرة على من بازائهم من المسلمين، حتى الحقوهم بوالدي، فنظرت اليه وقد علته كآبة، واربد لونه وامسك بلحيته، وتقدم وهو يصيح: كذب الشيطان! فعاد المسلمون على الفرنج فرجعوا وصعدوا الى التل، فلما رأيت الفرنج قد عادوا والمسلمون يتبعونهم، صحت من فرحي: هزمناهم! فعاد الفرنج فحملوا حملة ثانية مثل الاولى، حتى الحقوا المسلمين بوالدي. وفعل مثل ما فعل اولا، وعطف المسلمون عليهم فالحقوهم بالتل. فصحت انا ايضا: هزمناهم! فالتفت والدي الي وقال: «اسكت! ما نهزمهم حتى تسقط تلك الخيمة. فهو يقول لي، واذا الخيمة قد سقطت فنزل السلطان وسجد شكرا لله، وبكى من فرحه».

(ابن الاثير، الكامل في التاريخ، الجزء ١١ ص ٥٣٦)

وصعد جند صلاح الدين الى الخيمة، واسروا من كان فيها، واقتيد الملوك والامراء الى خيمة صلاح الدين، وفي مقدمتهم الملك «غي» والامير رينالد (ارناط) صاحب الكرك، وصاحب جبيل، وهنفري اخو الملك، ورئيس الداوية مع جماعة منهم، واخرى من «الاسبتارية»، وكانوا جميعا في حالة تعيسة، فأحسن صلاح الدين استقبالهم واجلس الملك «غي» الى جانبه وقد اهلكه العطش والتعب، وطلب ماء يشربه فامر له صلاح الدين، فجيء باناء فيه ماء مثلوج، فتناوله صلاح الدين وقدمه له بيده، فشرب منه «غي» حتى ارتوى، واعطى ما تبقى فيه لارناط، فشرب.

وكان من تقاليد العرب ان من يقدم لطارق او اسير طعاما او شرابا سيكون قد منحه الامان. فلما رأى صلاح الدين ملك الفرنج يناول (ارناط) الماء، قال له غاضبا: لم تأخذ في سقيه مني اذنا، فلا يوجب ذلك له مني امانا».

ثم التفت الى (ارناط) وذكره بجرائمه وغدره، وخيانته لكل عهد قطعه، ونقيضه كل اتفاق وقعه، وقال له «كم تحلف وتنكث؟».

فرد (ارناط) ـ على لسان الترجمان: لقد سرت على العادة الجارية.

وكان صلاح الدين ـ كما ذكرنا ـ قد اقسم مرتين ان يقتل (ارناط) بيده، ويستبيح مهجته اذا ظفر به، اولى: حين حاول مهاجمة قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المدينة، واحتلال مكة المكرمة ـ والثانية: حين نكث بعهده، واعتدى على قافلة المسلمين ونهب اموالها وأسر رجالها غدرا.

واستل صلاح الدين سيفه وضرب ارناط ضربة قوية اصابته في كتفه، فسقط على الارض، وهجم عليه الحرس، واجهزوا عليه، ثم سحبوه من قدميه والقوا به خارج الخيمة مقطوع الراس ممزق الاوصال. فلما رأى ذلك الملك «غي» ارتاع وظن ان دوره آت، فهدأ صلاح الدين من روعه، وقال: لم تجر عادة الملوك ان يقتلوا الملوك، اما هذا فقد تجاوز حده.

ثم امر رجاله برعاية امراء الصليبيين واسراهم، واطلق سراح الملك «غي» الذي عاهد ان لا يعود الى محاربة المسلمين (ولكنه سرعان ما نكث بعهده بعد وقت قصير). كما امر بضرب اعناق اسرى «الداوية» و«الاستبارية»، لانهم كانوا اشد فئات الصليبيين عداوة للمسلمين واكثرهم نكاية بهم.

كانت هزيمة الصليبيين في حطين اسوأ بكثير من كل ما مر بهم في تاريخ دولتهم، وكانت نتيجتها المباشرة نكبة كبيرة للغزاة، فقد خسر الصليبيون في هذه المعركة جيشهم بكامله تقريبا، ولم ينج منهم الا عدد ضئيل، وتتراوح تقديرات المصادر التاريخية لعدد الجيش الصليبي بـ ٢٢ الف مقاتل، و٦٠ الف فارس، وقع ثلاثون الفا منهم او نحوها في الاسر، وقتل الاخرون. وقال ابو شامة في كتاب الروضتين: «فمن شاهد القتلى قال ما هناك اسير، ومن عاين الاسرى قال ما هناك قتيل».

تحرير القدس

وبعد حطين اخذ صلاح الدين يزحف بسرعة نحو المدن والقلاع الاخرى، فكانت تتساقط امامه واحدة بعد اخرى. وكانت قلعة طبرية اول من رفع راية الاستسلام، فعامل صلاح الكونتيسة «ايشيفا» وفرسانها بشهامة، وسمح لها بالالتحاق بزوجها «ريمون» الذي هرب الى طرابلس، دون ان يلحقها اذى.

ثم قرر التوجه الى المدن الساحلية الاخرى ليمنع الصليبيين من الاستفادة من قواعدهم البحرية التي تصلهم بأوروبا ويحول دون وصول النجدات اليهم بواسطتها فاستولى على عكا، فالناصرة، وحيفا، وصفورية والطور. ثم سقطت صرفند وصيدا وبيروت وجبيل. ويذكر احد المؤرخين ان اثنتين وخمسين مدينة وقلعة سقطت بيد جند صلاح الدين.

واخيرا توجه الى القدس متوجا انتصاراته بتحريرها، بعد حصار شديد، وكانت قد بقيت في حوزة الصليبيين ٨٨ عاما.

ومن المصادفات التاريخية ان دخوله القدس كان في السابع والعشرين من شهر رجب سنة ٥٨٣هـ وهي ليلة المعراج التي اسرى فيها الله تعالى برسوله من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى.

وخلافا لما قام به الصليبيون حينما دخلوا القدس قبل ٨٨ عاما، عومل السكان بالحسنى، وسمح لمن اراد من الافرنج بمغادرة البلاد مع ممتلكاتهم، ولم يكن هناك اي عنف ولا نهب. وقد استمر جلاء السكان المسيحيين نحو ٤٠ يوما.

مراسلون حربيون ومؤرخون

وكان صلاح الدين في تلك الحقبة يستصحب ثلاثة من صفوة العلماء والمؤرخين، يرافقونه في حله وترحاله، فيستشيرهم في اموره ويدونون اخباره.

اولهم عبد الرحمن البيساني المعروف بـ «القاضي الفاضل»، وهو من ابناء (عسقلان) في فلسطين.

والثاني هو العماد الاصفهاني، الشاعر الاديب.

والثالث هو القاضي بهاء الدين بن شداد.

وكان هؤلاء اشبه بالخبراء والصحفيين الذين يرافقون حكام اليوم في اسفارهم، وينقلون الى العالم تفاصيل زياراتهم ومحادثاتهم، ويسجلون اخبارهم، فتصبح رسائلهم وتقاريرهم مادة للمؤرخين في المستقبل.

وقد خلف لنا هؤلاء الثلاثة مادة غزيرة للتعريف بتلك الفترة واحداثها وبصلاح الدين وشخصيته. ولكن جاء في بعضها شيء من المبالغة في المديح، او لونت كتاباتهم مشاعر الاعجاب الاني، او دوافع المصلحة، فعلينا ان نقارنها بما نقرؤه اليوم من المبالغات في تمجيد الحكام وعبادة الشخصية التي تتسم بها ما يكتبه الكتاب في القرن العشرين، في الشرق والغرب، وعندئذ نجد ان ما كتبه مؤرخو العرب في القرن الحادي عشر كان بالقياس اليها معتدلا جدا في سرد اخبار صلاح الدين.

ويكفي للدلالة على ذلك ان الكتاب الغربيين، وشهادات اعداء صلاح الدين المعاصرين له، والذين جاءوا بعد زمانه، تجمع كلها على الاشادة بنبله وشهامته.

بل ان شخصية صلاح، وشهامته، الهبت خيال الغربيين واثارت اعجابهم حتى اصبحت سيرته اشبه باسطورة.

وقد تحدث عنه شاعر ايطاليا الاكبر «دانتي» في ملحمته الشهيرة (الكوميديا الالهية) ووضعه في مكانة ممتازة بين ابطال التاريخ.

واتخذه الكاتب والشاعر الانكليزي السر والتر سكوت بطلا لروايته الكبرى (الطلسم).

وعلى الرغم من ان اكثر حوادث هذه الرواية هي خيالية، فان فيها ايضا تحليلا دقيقا لشخصية صلاح الدين، وحوارا اجراه على لسانه يتضمن عرضا لكثير من مبادىء الاسلام، والقصة بصورة عامة تعد من روائع الادب الانكليزي.

دروس وعبر

فما هي الدروس والعبر التي تستخلص من معركة حطين؟

لا شك ان الانتصار في حطين، كان من اعظم انتصارات العرب والمسلمين، ومن اروع معارك التاريخ الحاسمة، واكبر كارثة لحقت بقوات الاحتلال منذ حلولها ببلاد الشام.

ولعل ابلغ الدروس التي تستخلص مما دونه الكتاب العرب والغربيون عن معركة حطين، هو ان القوة تكمن في الاتحاد، وبدونه لا يمكن تحقيق اي نصر حقيقي دائم.

وان الايمان بعدالة القضية التي نكافح من اجلها ونحارب، هو الذي يبعث القدرة على القتال، ويحيل الامل الى العمل.

وان التخطيط البعيد المدى، وتنفيذ كل خطوة بوحي العقل المفكر، لا العاطفة الجامحة هو الذي يضمن النجاح.

وقد التزم صلاح الدين بهذه المبادىء الاساسية فحقق انتصاره الرائع، وهو لم يغفل اهمية تفريق العدو ما استطاع الى ذلك سبيلا، والاستفادة من اي انشقاق يدب بين صفوفه.

ومن اهم الدروس التي تستخلص من واقعة حطين ايضا هي اعادتها الى النفوس بعض الامل، وتقدم الدليل على ان احتلال الاراضي لا يقضي على الامم.

وخلال تاريخ فلسطين الذي يعود الى الوف السنين، قامت فيها دولة لليهود قبل ثلاثة آلاف عام. واصبحت هذه الدولة ذريعة لتبرير قيام الكيان الصهيوني في فلسطين بعد ذلك بالوف السنين. ولا يعلم الكثيرون ان هذه الدولة لم تدم سوى ٧٠ عاما تقريبا، زالت بعدها، وعادت فلسطين عربية.

ثم جاءت الحروب الصليبية، واحتل الغزاة الاجانب القدس، فدام ذلك الاحتلال ٨٨ عاما حرره بعدها صلاح الدين.

ثم عاد اليه الصليبيون مرة اخرى، فانقذه الصالح ايوب بعد احتلال دام ٥٧ عاما. وقد وصف المرحوم احمد الشقيري معركة حطين مرة بمعركة «الايام الستة المجيدة»، وفي هذا الوصف تلميح بحرب حزيران سنة ١٩٦٧ التي يحلو للغربيين ان يصفوها بحرب الايام الستة.

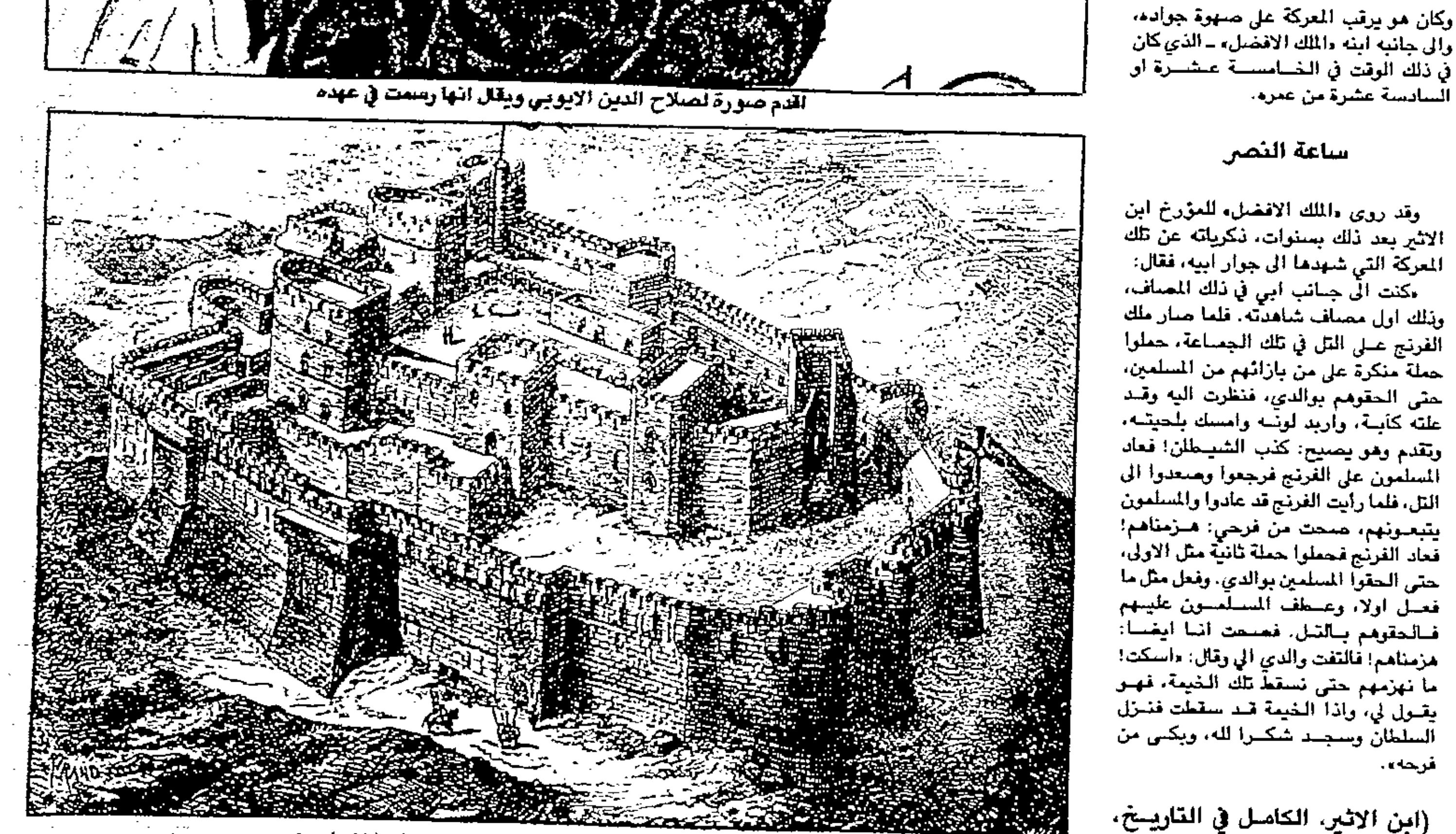
وقد كشف المؤرخون بعد الحروب الصليبية، ان التجار في اوروبا كانوا خلالها يبيعون السلاح والمواد الاخرى للصليبيين والمسلمين في وقت واحد. «ايران غيت» في القرن الحادي عشر، والتاريخ يعيد نفسه كما يقال، وليست هذه الظاهرة الا دليلا على ان حوافز الغرب في دعم العدوان على هذه البقعة الآمنة ليست حديثة، وان المصالح لا المبادىء، هي التي تقرر سياستها وتوجهها، سواء اكان ذلك في القرن الحادي ام في القرن العشرين، وان تجار الحروب متشابهون في كل زمان ومكان.

ولكن اذا كان التاريخ يعيد نفسه حقا، فلماذا لم يتكرر التاريخ في فلسطين؟

ان القاعدة الثابتة في العلوم الاجتماعية ـ شأنها في العلوم الطبيعية ـ هي ان العوامل المتشابهة تؤدي الى نتائج متشابهة. ولذلك فان التاريخ يعيد نفسه احيانا اذا كانت العوامل والمسببات واحدة، وهي لم تكن كذلك في فلسطين، وبالتالي جاءت النتائج مختلفة كل الاختلاف.

ولا بد ان يظهر «صلاح الدين» جديد يوما ما، يكرر ظروف حطين ومهداتها فتتكرر نتائجه، وعندئذ لا بد ان يعيد التاريخ نفسه، فتعود القدس الى اهلها والحقوق الى اصحابها.

اقدم صورة لصلاح الدين الايوبي ويقال انها رسمت في عهده



احدى قلاع الصليبيين في فلسطين التي استولى عليها المسلمون

الشرق الأوسط
جريدة العرب الدولية
تصدر من لندن وتوزع في جميع انحاء العالم

الناشران
هشام علي حافظ
محمد علي حافظ

رئيس التحرير
عثمان العمير

تصدرها مجموعة
الشركة السعودية للابحاث والتسويق الدولية

المدير العام
محمد معروف الشيباني

المدير العام
ياسر كامل الدباغ
للمملكة المتحدة واوروبا

المدير العام
د. طلال خالد حافظ
الولايات المتحدة الامريكية

ASHARQ AL-AWSAT The international daily newspaper of the Arabs H.H. SAUDI RESEARCH & MARKETING (U.K.) LIMITED of 184 High Holborn London WC1V 7AP. Exclusively licensed by the proprietors to produce Asharq al Awsat which is registered as a newspaper. Reproduction in whole or in part without written permission is strictly prohibited
EDITOR-IN-CHIEF
OTHMAN ALOMEIR
MANAGING DIRECTOR
YASSER KAMEL EL-DABBAGH

محادثات جورباتشوف - ميتران والقضايا العربية

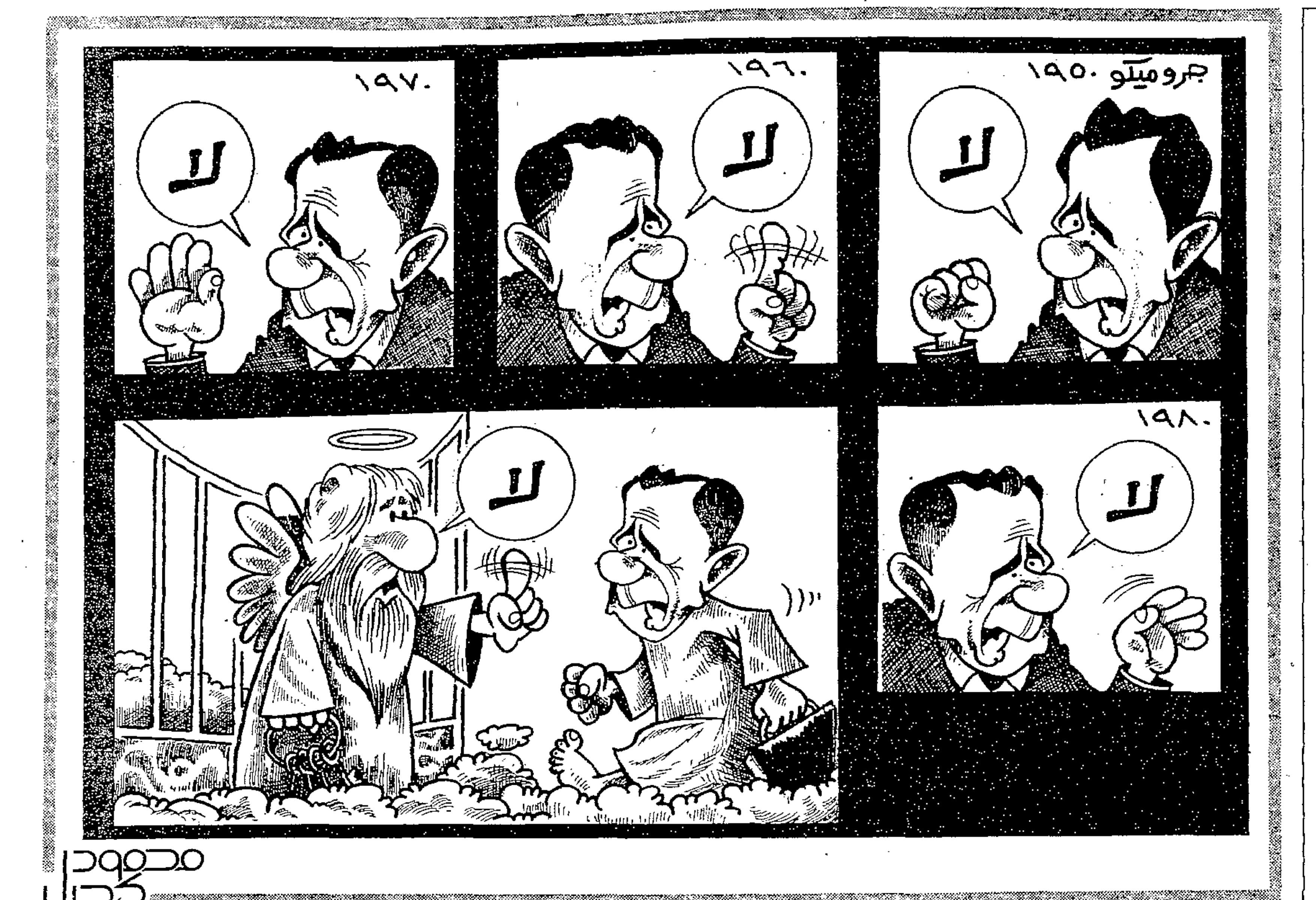
من المقرر ان تشغل ماساة لبنان حيزا مهما في المحادثات التي بدات امس في باريس، بين الرئيسين السوفياتي ميخائيل جورباتشوف، والفرنسي فرانسوا ميتران. والامر المؤكد هو ان خطورة ما وصلت اليه الاوضاع في لبنان هي التي فرضت الموضوع اللبناني على طاولة محادثات رئيسي دولتين من الدول الدائمة العضوية في مجلس الامن، لكل منهما انشغالاته ومشكلاته التي تستحق ان يخصص لها الرئيسان كامل وقت المحادثات بينهما.

ولان بحث الموضوع اللبناني غير ممكن من دون البحث في ازمة الشرق الاوسط ككل، فان المؤتمر الدولي، والسلام في فلسطين، ومستقبل المفاوضات بين العراق وايران، ستتشكل في مجموعها نقاطا جوهرية واساسية في ما سيتطرق اليه البحث بين الرئيسين.

وهنالك من المعطيات ما يجعلنا نعتقد ان محادثات باريس مرشحة لان تجمع الاتحاد السوفياتي وفرنسا حول موقف مشترك من القضايا العربية الساخنة، وخصوصا القضيتين اللبنانية والفلسطينية، وبين ابرز هذه المعطيات ان نقاط الالتقاء بين الاتحاد السوفياتي وفرنسا حول القضيتين اكثر من نقاط الاختلاف، فكلا البلدين يقول بضرورة وضع حد لماساة الحرب في لبنان، وكلاهما يقول بضرورة الحفاظ على وحدة لبنان وسيادته وتمكين مؤسساته الشرعية من استئناف ادوارها. اما فلسطينيا فان كلا البلدين مساند للحقوق الشرعية للشعب العربي الفلسطيني، وكلاهما مؤيد لانعقاد المؤتمر الدولي باعتباره الارضية المؤهلة لوضع صيغة سلام شامل وعادل ودائم، وكلاهما متعاطف مع انتفاضة الضفة الغربية وقطاع غزة ورافض لاساليب القمع التي تمارسها سلطات الاحتلال الاسرائيلي ضد الثائرين من اجل حريتهم وكرامتهم.

ان نقاط الالتقاء هذه كفيلة بان تؤدي الى بلورة موقف سوفياتي -فرنسي مشترك نامل ان يشكل اضافة جديدة الى خطوات الدعم الدولي الذي بدا يتفهم ويساند القضايا العربية، وهو دعم ما كان له ان يرى النور لولا ان العرب انفسهم يتعاملون مع قضاياهم بكثير من النضج والوعي والاصرار على ان الحق منتصر في النهاية.

«الشرق الاوسط»



الرأي في أسبوع
القلق الإسرائيلي من التطورات العالمية والموقف الاوروبي الجديد من قضية فلسطين


بقلم الدكتور أمين الحافظ

قوى الخير التي تتكاثر في هذه الأيام ويشتد ساعدها لمساعدتنا في الوصول بقضايانا إلى الحلول العادلة لاتزال أمامها رحلة شاقة معقدة لكي تصل إلى مرحلة التساوي على الأقل مع قوى الشر المتربصة المتآمرة الفاعلة في كل مكان، والمتنوعة في انتماءاتها بدءاً بالصهيونية العالمية، وانتهاء بالقوى المحلية التي تتمسك بمواقعها ولو أدى ذلك إلى ضياع الحقوق وإلى معاناة الشعوب.

القضية الفلسطينية

ولنبدأ اليوم بالقضية الفلسطينية:

فلقد تم هذا الاسبوع في مدريد اجتياز خطوة مهمة قامت بها أوروبا الغربية، ففي اجتماع المجلس الأوروبي الذي عقد يومي الثلاثاء والأربعاء الماضيين أعربت الدول الاثنتى عشرة لأول مرة مجتمعة بأن منظمة التحرير الفلسطينية يجب أن تصبح عضواً في عملية السلام الخاصة بالشرق الأوسط، معددة إلى جانب ذلك الشروط التي ينبغي أن تتوفر لكي تعتبر اقتراح اسحق شامير باجراء انتخابات في الضفة والقطاع المحتلين ذا صفة ايجابية يمكن أن تساهم في هذه العملية.

وهذه الشروط هي أن تدرج هذه الانتخابات ضمن اطار تسوية سلمية شاملة للنزاع تكون عادلة ودائمة، وأن تشمل جميع الاراضي الفلسطينية المحتلة بما فيها القدس الشرقية، مع ضمانات كافية بأنها ستجرى في جو ملائم من الحرية، وأن لا يستبعد أي حل على أن تجري المفاوضات النهائية على أساس قراري مجلس الامن رقم ٢٤٢ و٣٣٨ القائمين على مبدأ مبادلة الأرض بالسلام.

والتفسير الايجابي الذي أعطاه السيد فرنشيسكو فرنانديز أوردونيز وزير خارجية اسبانيا لهذا الموقف الأوروبي الجديد هو أن منظمة التحرير لم تعد تعتبر من الجانب الأوروبي «مشاركة» في عملية السلام، كما ورد في تصريح القمة الأوروبية في البندقية عام ١٩٨٠، بل أصبحت أوروبا تعتبرها الآن ركناً أساسياً فيها.

وبديهي أن نستقبل نحن العرب هذا التقدم ومعنا كل القوى العالمية المحبة للسلام بالترحيب والغبطة، وأن تأتي ردود الفعل من الجانب الاسرائيلي مفعمة بالسخط والاستنكار، لأن الصهيونية لم تتعود حتى الآن على أصوات قوية تجابهها وهي آتية من الغرب الذي كانت تلين عريكته وتحجب عنه الحقيقة في القضية وتسلبه القدرة على الانتصار للحق.

وأول رد فعل اسرائيلي اتى من رهط المستوطنين للضفة الذين تغلي دماؤهم بالحقد العنصري البهيم، فنظموا ما يسمى «نزهات» جماعية داخل الأراضي المحتلة، ورفعوا الرايات والشعارات معلنين مرة أخرى أن الأرض أرضهم، وهم يتوخون من ذلك استفزاز الأهالي وافهامهم (بهذه الطريقة الساذجة) أن لم يعد للفلسطينيين أمل في الأرض، وأنها ستؤول عاجلا أم آجلا إلى اليهود حسب توراتهم ووفقاً لشهواتهم ومطامعهم، وأنه مهما كانت المواقف الدولية المتمشية ولو جزئيا مع الحق العربي، فانه لن يكون تغيير على الساحة إلا المزيد من التنكر للوجود الفلسطيني، ومن التوسع في انشاء المستوطنات واستقدام المستوطنين، وليضرب العالم رأسه بالحائط، وليشرب من ماء البحر الميت!

أما رد الفعل الرسمي فقد كان الاعراب عن خيبة الأمل، فلقد ابلغت السفارات الاسرائيلية ذلك إلى الحكومات المشتركة في اجتماع مدريد، لاسيما بالنسبة للشروط التي ذكرناها والتي استدلت منها الحكومة الاسرائيلية على أن أوروبا الغربية جادة هذه المرة في التمسك بموقفها الجديد، وأن هذه الشروط ستؤدي حتما إلى كشف نوايا اسحق شامير الحقيقية التي سعى إليها عبر اقتراحه بالانتخابات، وأنه في الحقيقة لا يبغي سوى كسب الوقت والتحايل على العالم بادعاء تقديم مبادرة سلمية، سيطول أمدها، مما يتيح المجال لموجة الاستيطان أن تتفاقم، ومما يهيىء الفرص لفرض أمر واقع جديد على الأرض بافتعال احداث تجعل مقايضة الأرض بالسلام هدفاً غير عملي وغير ممكن من الناحية الواقعية.

رد الفعل الاسرائيلي

ولقد الف مجلس الوزراء الاسرائيلي يوم الأحد الماضي لجنة وزارية خاصة لمتابعة التحركات الأوروبية على ضوء قمة مدريد، على أن تضع هذه اللجنة في رأس اهتماماتها اقناع الإدارة الأميركية بالتدخل لدى حلفاء الولايات المتحدة الأوروبيين لايقاف حملتهم السلمية هذه، وذلك بابتكار منافع كمادة مساومة تتناول الجوانب الاقتصادية والدفاعية والستراتيجية يمكن لواشنطن أن تقدمها لقاء التراخي الأوروبي المطلوب.

ومن المستبعد حتى الآن أن تنجح هذه الخطة، لأن المصالح الأوروبية في الشرق الأوسط هي في ازدهار مضطرد هذه الأيام، ولأن الهاجس الدفاعي قد خبا أواره لدى الدول الغربية منذ حملة المسالمة والمصادقة التي شنها الزعيم السوفياتي غورباتشوف وتبلورت بالقبول الايجابي الشعبي والتفاهم الودي لاسيما خلال زيارته لألمانيا الغربية منذ أسبوعين وفي زيارته الحالية التي يقوم بها لفرنسا.

أما الإدارة الأميركية التي تقوم في الوقت الحاضر أيضاً برقصة الخطوة إلى الأمام ثم الخطوتين إلى الوراء تتبعها خطوتان إلى الأمام فخطوة إلى الوراء، تراها حائرة بين مسايرة الاتجاه العالمي العارم نحو شيء من التقدم العادل لصلحة القضية الفلسطينية، وذلك بالحوار مع شخصيات المنظمة والوعد برفع مستوى المتخاطبين، وبين الرزوح المعروف تحت وطأة النفوذ الصهيوني برفض الموافقة على أي اقتراح ايجابي أو الادانة لأي عدوان اسرائيلي غاشم.

لذلك فان مفاجأتنا كانت سارة عندما سمعنا أول أمس عن تحذير وجهته الحكومة الأميركية لكل من اسرائيل وحكومة جنوب افريقيا حول استمرار هاتين الدولتين العنصريتين في انتاج الأسلحة النووية دون ضابط أو رقيب، ومواصلتهما العمل السري المشترك من أجل تطوير هذه الصناعة وتراكم الأجهزة والقذائف الجاهزة. ولقد فوجئت دوائر في الادارة الأميركية - ولو متأخرة - بأن مبالغ طائلة من الأموال التي تتلقاها اسرائيل من أميركا ترصد لهذه الأغراض التسليحية الذرية، وذلك في جو من الاستخفاف بضرورة اطلاع واشنطن على هذه الأعمال الخفية، ولو اننا واثقون بان افراداً ودوائر معينة في الادارة الأميركية على علم بها، وليست تجربة «إيران غيت» ببعيدة عن ذاكرتنا.

فهل ستنجح اللجنة الوزارية الاسرائيلية الجديدة في اقناع المسؤولين الأميركيين بتحرك نشيط فعال لمواجهة التغيير الأوروبي المتنامي؟ وهل سينصاع هؤلاء لخطة شامير بكسب الوقت والتظاهر بتقديم الحلول، خصوصاً بعد أن اعلنت حكومة الرئيس بوش عدة مرات عن موافقتها على مبدأ اجراء الانتخابات وتأجيل فكرة عقد المؤتمر الدولي؟

من غير المستبعد أن تقع واشنطن في الفخ الذي نصبه يوم الأحد الماضي مجلس الوزراء الاسرائيلي، أو تكتل الليكود على الأقل. فلقد رفض كل من أرييل شارون ودافيد ليفي الاشتراك في اللجنة الوزارية ولذلك لمعارضتهما خطة شامير باجراء الانتخابات، وكأن الحكاية بالفعل جدية، وذلك زعماً منهما بان من شأنها تعريض «أمن اسرائيل للخطر»! وانها ستؤدي حتى في النهاية إلى قيام دولة فلسطينية، فلا تجد الادارة الأميركية مناصاً من تأييد الاتجاه المعتدل في الحكومة الاسرائيلية!!

ولعل من سخرية القدر أن يبدو اسحق شامير «معتدلا» بين جمهرة حكام اسرائيل، وهو الارهابي العنيد الذي اشترك في عملية اغتيال الكونت برنادوت وتعاون مع النازيين في اضطهاد اليهود لكي يتم ترحيلهم إلى فلسطين وتلوثت يداه بالدماء الفلسطينية منذ مذبحة دير ياسين حتى الآن.

لكن شامير مصمم على مواصلة حيلته التي ابتدعها، سواء أكانت المعارضة اليمينية حقيقية أم جزءاً من الخطة السيناريو التي تضم من جملة أهدافها استجلاب التعاون الأميركي، سواء عن اقتناع ساذج أم عن موافقة انصياع وتسليم. وشامير أمام الظروف الدولية المعقدة والمتناقضة لا يجد مناصاً من استمرار عملية «المقامرة» التي بداتها اسرائيل منذ نشوئها.

المقامرات الاسرائيلية

والمقامرة الاسرائيلية أتت على ذات المنوال..

فلقد ربح اليهود القادمون من أوروبا الغربية والشرقية وشمال افريقيا وغيرها من بقاع الأرض «مقامرة» كانوا قد راهنوا عليها بالاعتماد على الاستعمار القديم المتمثل ببريطانيا والاستعمار الجديد الذي يتزعمه الرواد «الكاو بوي» الذين كانوا قد قاموا بمقامرة مماثلة في القارة الأميركية... وقامت دولة اسرائيل.

ثم ربح اليهود «مقامرة» أخرى عندما تصدت لهم الدول العربية لتحول دون اقامة دولتهم، فلم تستطع لأسباب كثيرة ليس أقلها التخلف وفساد الأنظمة، وتتابعت المقامرات الرابحة مع تتابع الحروب مع العرب أو بعضهم.

وفجأة، ذهب السعد وحل النحس!

فاذا بالمقامر الصهيوني يخسر مقامرتين: الأولى كانت فشل خطة تركيع الدول العربية وحملها على أن تنشد السلام بأي ثمن، لأن الحقيقة كانت افلاس تجربة كامب ديفيد، وخروج مصر منها بالحد الأدنى من الاضرار مع عودتها إلى الحضن العربي أو رجوع العرب إلى حضنها.. لا فرق.

والخسارة الثانية كانت فشل محاولة اطفاء شعلة الانتفاضة الفلسطينية وحمل الأهالي على الاستكانة والرضا بالعيش تحت ذل الاحتلال مؤقتاً ريثما يتم ترحيلهم «ونقلهم» إلى الدول العربية المجاورة تمهيداً لاقامة «اسرائيل الكبرى» أو «اسرائيل الوسطى» لأن لا أحد يعلم مدى الطمع الصهيوني الذي وضع نصب عينه الاستيلاء على كل ما يقع بين النيل والفرات، والسيطرة والهيمنة على مصير هذه المنطقة سياسياً واقتصادياً.

رد الفعل الفلسطيني

وكما أن طبيعة المقامر المعروفة عالمياً تحمله على مضاعفة مراهناته كي يعوض الخسارة، فان اللطمة التي تلقتها اسرائيل بخسارتها للمقامرتين الأخيرتين قد حملت شامير على أن يضع على المنضدة كل أوراقه المستترة، بعملية سميت «مبادرة شامير السلمية»!!

وهي تتحدث عن انتخابات، لكنها تتحدث أيضاً عن فترة خمس سنوات انتقالية مخصصة في الظاهر لاتاحة الفرصة للفلسطينيين المقيمين في الضفة والقطاع كي يختاروا صيغة معينة مع تضييق حرية الاختيار بحيث لا يجوز التفكير بالاستقلال والجلاء والدولة، ولكنها في الحقيقة مرسومة من أجل أن يقوم اليهود الموجودون والمنتظر استقدامهم من الاتحاد السوفياتي وغيره باستعمار الضفة والقطاع، وفرض أمر واقع جديد تصبح فكرة الدولة الفلسطينية بعدها ضرباً من الخيال!

هذه هي «المقامرة الكبرى» التي تفكر الصهيونية بها لاقفال القضية الفلسطينية إلى الأبد، ولتثبيت الوجود الاستعماري اليهودي في المنطقة دون أي رجعة، وتكون الاداة للوصول إلى هذه المقاصد الأساسية محاولة احلال ممثلين محليين بدلاء عن منظمة التحرير الفلسطينية، وانشاء حصان طروادة جديد ينهي حقيقة كون المنظمة هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني.

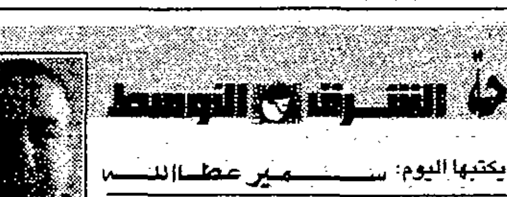
أما «المقامرة الفرعية» الأخرى التي يراهن عليها شامير، فهي أن يوفق في حمل المنتخبين الجدد على التنكر لمنظمة التحرير، حتى ولو تم انتخابهم باسمها أو بسبب قربهم منها.

والحقيقة أن المنتخبين العتيدين هؤلاء سوف يحسون بأن حقيقة انتخابهم ممثلين لشعبهم سوف لن يجعلهم يشعرون بأن صوتهم سوف يكون مسموعاً بقوة في المحافل الدولية بسبب هذه الاستنابة الشرعية الجديدة، وسوف يدركون أن امتيازهم هذا سوف لن تتم المحافظة عليه إلا إذا بقيت مواقفهم منسجمة مع الرأي العام الذي انتخبهم والذي هو في سواده الأعظم متمثل بمنظمة التحرير الفلسطينية.

هذه الفكرة هي التي تحمل كلا من شارون وليفي وغيرهما من غلاة الصهيونية الاسرائيلية على معارضة خطة شامير، لأنهم وإن اتفقوا معه على الهدف الاستعماري المعروف، إلا أنهم لا يريدون الاسترسال معه في هذه المقامرة السلمية التي لا يأمنون جانبها ونتائجها، وهم لايزالون يفضلون النوع الآخر من المقامرات، العزيز على قلب «الرواد» الصهاينة الأول، الا وهو «المقامرة العسكرية»، التي وإن نجحت في معظم الأحيان مع الجيوش العربية، فان حظها بالنجاح مع الانتفاضة الشعبية الفلسطينية لايزال في عالم الغيب إذا لم نقل في عالم عدم الامكان.

هذا ما يجب على قادة أوروبا الغربية أن يفهموه وهم بصدد تقدمهم في مبادرتهم السلمية الايجابية وفي مقاومتهم للضغط الأميركي الذي ننتظر أن تقوم به واشنطن قريباً ولو على مضض، تلبية لرغبات اسرائيل والنفوذ الصهيوني عندها.

فاذا علمنا أن الفترة المقبلة من أعمال الأسرة الأوروبية سوف تكون برئاسة فرنسا، التي نعتبرها أوفر الدول الأوروبية نشاطاً في السعي لحل عادل في منطقة الشرق الأوسط، فان أنظار العرب تتوجه الآن إلى الرئيس فرنسوا ميتران مترقبة ومتتبعة لما سيقوم به من مساع على ضوء ما ذكرنا، تلك المساعي التي ستبدأ ثمراتها تظهر غداً بالذات، أي عقب انتهاء زيارة الزعيم السوفياتي غورباتشوف لكل من باريس وستراسبورغ، وما سيتمخض عنها من نتائج في الجهد الأوروبي السوفياتي، سواء بالنسبة لقضية الشرق الأوسط أو بالنسبة لقضية لبنان التي سنفرد لها مقالة خاصة مرتكزة على هذا اللقاء وما سيكشف من ردود فعل مستقبلية.



استراحة الشرق الأوسط
يكتبها اليوم: سمير عطا الله

رقائق اللغة: سيدة اللغات السامية

ربما كتبت هذا الكلام من قبل، في مكان ما، ذلك ان الصورة واحدة عندي، صورة اللغة العربية التي تسحرني مثل السحرة. واحيانا يخيل إلي انها مثل الحواة: ارانب وعصافير ومناديل وبطة وعصا سوداء ومناديل اخرى... من قبعة واحدة.

كلمة واحدة وتمتلك سيلا من التعابير. سطر وتكتب ملحمة.

إنها لغة المشتقات، لغة يعرب. لغة الجذر والمصدر، سيدة اللغات السامية. وهي بهذا تتميز عن بقية لغات العالم التي تلجأ إلى الزيادات والمزايدات فيما لاتزال في لغتك عند كلمة واحدة.

بل احيانا عند اللاكلام. إنها لغة عبقر: فاللغة الانكليزية او الفرنسية، مثلا، ترد التصريف عادة إلى فعل الكينونة: انا موجود. انا كائن. هم كائنون. هو كائن! فاذا اردت ان تقول بالفرنسية مثلا، الرجل كبير، لا بد من فعل الكينونة اللازم. في العربية صار الفعل ضميرا مستترا في علم المبتدأ والخبر. لا لزوم للشرح.

فعل الكيان لا يوضح إلا في صيغة الماضي او صيغة المستقبل: كان الرجل او سوف يكون كبيرا!

ويقول الشاعر رواد طربيه، استاذ اللغة العربية في كلية العلوم الشرقية في باريس، إن الفرنسيين سموا التصريف عند العرب «حركة»، واعطوا لكل حركة رقما من واحد إلى عشرة: فعل، استفعل، تفعل... الخ. لان اللغة الفرنسية لا تتحمل، مثل العربية، التحريك من دون الابدال، او الحركة، او الانتقال.

الحقيقة انني اتذكر عبقرية اللغة كلما شهدت محاولة لقتلها او لتفريغها. يقتلها الكسالى ويفرغها المفرغون. وهم كثر. وهي من الرحابة والسعة بحيث انها تحملت ما حدث لها في السنوات الاخيرة على ايدي الجهلة وسيئي النية معا. وهناك ايضا الذين يقطعون اللغة إذ يقتطعونها لانفسهم فيجزمون في امرها حيث لا يجوز الجزم ويطلقون احكامهم نهائية في هذه اللغة المليئة بالرقائق والدقائق ويجوز هذا ويجوز ذاك وفي رواية اخرى الله اعلم.

لا. لست مع تحجير اللغة. ولا انا حتى ضد الهجين الطارىء. إذا ما تعرب وصار جزءا مضافا إلى لغة مليئة بالاضافات والاستضافات. فلماذا نرفض اليوم ما قبلناه، بكل بساطة، قبل الف عام. إذ معروف ان كل كلمة انتهت «جان» في العربية هي فارسية الاصل، مثل باذنجان وصولجان. لكن كم هو عدد الكلمات العربية التي ادغمت في الفارسية؟ واللغة الاسبانية لاتزال لغة اسبانية مع ان ١٢ في المئة منها عربي الاصل واللفظ.

يجب ان نحرس اللغة العربية، احيانا من السارقين واحيانا من المفسدين واحيانا ايضا من ادعياء الحماية. لقد اتفق المترجمون قبل فترة مثلا على تعريب المصطلحات البريدية. ويبدو بعض هذه المصطلحات مضحكا. فقد اخذ الجذر الاجنبي والمصدر الاجنبي وعلق له جرس عربي. لماذا؟ لان المترجم وجد انه من الصعب، واحيانا من المستحيل، العثور على كلمة عربية مرادفة او مساوية او ملائمة.

في هذا الحال إما يصار إلى استخدام كلمة مركبة «كالقمر الصناعي» مثلا، او ابتداع كلمة جديدة، او الابقاء على الكلمة الاصلية مثل «كومبيوتر».

وقد ترجمنا «الكومبيوتر» مثلا على انها «الحاسب الآلي». وربما كان صحيحا في بدايات «الكومبيوتر» حين كانت مجرد آلة حاسبة او اكثر بقليل. لكن «الكومبيوتر» اليوم ترسم وتوجه الطائرات وتهبطها آليا وتستخدم كلعبة للاطفال وتفصل في شؤون الدواء والعلاج وتشخص اعطال السيارات وتحجز تذاكر في المسارح وتعطيك المعلومات من مكتبة الكونغرس وتصف الاحرف وتطبع الصحف وتتلقى اصوات المطربين!

إذا، ليست هي بحاسب آلي. ولا هي «اورديناتور» كما سماها الفرنسيون. إنها «كومبيوتر» اي اسم علم لآلة تقوم بكل هذه الاعمال اطلق عليها اهلها الاولون، مخترعوها، هذا الاسم، تماما كما اخترعنا «الاسطرلاب» منذ مئات السنين وسميناه هكذا وسماه الآخرون هكذا ايضا. وكذلك علم الجبر. وكذلك مخترعات العرب في الملاحة، حين جاؤوا للمرة الاولى من الصحراء وإذا بهم يقهرون اهالي المتوسط بل ويقهرون البحارة الفايكنغ القادمين من خلف بحر الشمال.

وقد يقول معترض: ومإذا عن «العقل الالكتروني»؟ اليست هي الترجمة المثلى؟

... وإلى اللقاء.

تمنيات للسودان بعد ثالث الانقلابات
لا انزلاق للعنف ولا تكميم للأفواه

بقلم بكر عويضة

كتب، وسيكتب الكثير في تحليل ما حدث في السودان فجر يوم الجمعة الماضي (٣٠/٦/١٩٨٩). ولست ادعي خبرة في الشأن السوداني كي ادلي بدلوي تحليلا وتنقيبا في باطن مساحة من تاريخ السودان تمتد من ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٨ (انقلاب الفريق ابراهيم عبود) الى ٣٠ حزيران (يونيو) ١٩٨٩ (انقلاب العميد - الفريق عمر البشير). واحد وثلاثون عاما بين الانقلابين وقعت خلالها ثورتان شعبيتان وانقلاب.

الثورة الشعبية الاولى (٢١/١٠/١٩٦٤) انهت حكم الفريق عبود. والثورة الشعبية الثانية (٦/٤/١٩٨٥) انهت حكم المشير نميري بعد ١٦ عاما بدات في ٢٥ ايار (مايو) ١٩٦٩. وقبل تسلم الصادق المهدي رئاسة الحكومة، ادار البلاد خلال الفترة الانتقالية مجلس عسكري برئاسة المشير عبد الرحمن سوار الذهب، الرجل الطيب الذي له من اسمه اكثر من نصيب، والذي اوفى بعهد والتزم بوعد، وما اندر من يوفون بالعهد والوعد في زماننا هذا.

تلك تواريخ احداث معروفة ومزروعة في ذاكرة من عنده بعض الالمام بما يجري في وطنه العربي الكبير، اما تحليلها والتنقيب في خلفياتها فذلك متروك لأهل السودان، لكتابه ومثقفيه وسياسييه، وهم كثر، ولئن جار الزمان على السودان وعانى ضائقة اقتصادية في السنوات العشر الأخيرة، فانه ما عانى يوما ضائقة في عقول تفكر وتبدع، بل ان اهلنا في السودان يتعاطون السياسة قراءة وتفكيرا وتحليلا ونشاطا مثلما يتنفسون الهواء. كذلك ان تحليل ما يحدث في السودان يسهم فيه الى جانب اهله، كتاب عرب اعطوا من وقتهم الكثير وهم يتابعون كل صغيرة وكبيرة في الشأن السوداني، وهؤلاء اهل خبرة ودراية تجيزان لهم ان يحللوا، ويشرحوا، ويتوقعوا. اما من عنده الالمام فله ان يقرأ ويتابع... ويتمنى!

ومما قرأنا في غير صحيفة عربية واجنبية، فان الظروف التي «هيأت المناخ» لانقلاب يوم الجمعة الماضي كثيرة، ومنها: فساد سياسي، خراب اقتصادي، صراع حزبي، تنافس عشائري، وسباق نفوذ بين بيوتات سياسية، حرب في الجنوب تستنزف الجيش بشرا وامكانات، فوضى في الداخل وعزلة في الخارج. صورة ملخصها ان الخراب ينعق في كل شبر من الارض السودانية، من جوبا في الجنوب، الى عطبرة في الشمال، ومن القضارف شرقا الى النهود غربا!

حسن، اذا كان هذا هو الحال فلا بد اذن من انقلاب. ولا بد من خضة تعيد الامور الى نصابها الصحيح، ومن يقرأ اسطر البيان الأول لانقلاب يوم الجمعة الماضي يلحظ بوضوح ان هنالك وعدا من قادة الانقلاب في هذا الاتجاه: «فقد تحركت قواتكم المسلحة اليوم لانقاذ بلادنا العزيزة من ايدي الخونة والمفسدين والفاشلين، لا طمعا في مكاسب السلطة، بل تلبية لنداء الواجب الوطني الكبير، لايقاف التدهور المدمر، ولصون الوحدة الوطنية من الفتنة السياسية، ولتأمين الوطن من انهيار كيانه، وتمزق ارضه، ومن اجل إبعاد المواطنين من الخوف والتشرد والجوع والشقاء والمرض».

هذا كلام مطمئن، وإن كانت لغة الخطاب السياسي فيه غريبة بعض الشيء عما عهدناه في السودانيين من تسامح وتسام عن «تخوين» بعضهم البعض. ونقول انه كلام مطمئن لأن المرء يستطيع ان يضع من خلاله الاصبع على اكثر من تعهد يلزم قادة الانقلاب، والتعهد الاكثر اهمية هنا هو: «لا طمعا في مكاسب السلطة».

كثيرة هي الانقلابات العسكرية التي حدثت في دول العالم الثالث، وليس عند العرب وحدهم، وأطلقت هذا الشعار، ثم ما ان تمكن الانقلابيون من مقاليد الامور، حتى اصبح الحفاظ على السلطة همهم الاول والاساسي، ودونه امكن التضحية بأية وعود سابقة، وتبرير اية تصرفات، او اجراءات، او ممارسات لاحقة.

والسودان نفسه امضى ثلثي سنوات الاستقلال حتى الآن، اي بين يناير ١٩٥٦ ويونيو ١٩٨٩، تحت حكمين جاءا من خلال انقلابين (٦ سنوات حكم عبود و١٦ سنة حكم نميري) كانت الظروف التي «هيأت المناخ» لكل منهما لا تختلف كثيرا عن الظروف التي «هيأت المناخ» لانقلاب يوم الجمعة الماضي، فهل يكون الفريق عمر حسن احمد البشير ورفاقه مختلفين ويثبتون فعلا انهم عند وعدهم بأنهم لم يتركوا الثكنات الى مقر الرئاسة والحكم طمعا في مكاسب السلطة؟

قياسا على «تفاءلوا بالخير تجدوه» من حقهم علينا ان نتفاءل، والا نتسرع في مقارنتهم بغيرهم، وأن نعطيهم فرصتهم في إثبات حسن نياتهم. في المقابل فان من حقنا عليهم ان يتفهموا المخاوف من تكرار تجربة تكميم الافواه وقمع حرية الرأي، وتكريس سلطة لا تقوم على ارادة شعبية، وفي هذا السياق نورد بعض التمنيات:

- الا يحدث انزلاق الى تصفية الحسابات بالعنف، سواء من منطلق الثأر، او من منطلق تغييب الخصوم الذين يخشى من نشاطهم السياسي.

- الا يتحول السودان الى حكم الاتجاه الواحد، وإعلام الرأي الواحد، والا يكون مصير كل من خالف او اعترض السجن او الموت.

- الا يعني حظر الاحزاب حرمان انصارها او المؤيدين لها من ان يكونوا مواطنين سودانيين لهم حقوقهم السياسية الكاملة التي يكفلها لهم حق المواطنة ذاته.

- الا تكون معالجة الهم الاقتصادي على حساب رهن الارادة السودانية لأية جهة اجنبية، فبلد فقير مستقل الارادة، خير الف مرة من بلد تقوم راحته الاقتصادية على معونات ترهقه شروطها وتكبل ارادته، ومواطن يملأ نصف معدته ويستطيع ان يقول رأيه وهو آمن، خير من مواطن متخم ولا يجرؤ على ابداء رأيه.

- الا يسمح الفريق البشير ورفاقه لمجموعات التطبيل والتزمير ان تحيط بهم، بل وتحاصرهم لدرجة يحجزون معها عن رؤية، او سماع، ما لا تريد لهم تلك المجموعات ان يروه او يسمعوه. ان هذه المجموعات بلاء اذا ضرب اصاب وتمكن وفرض نفسه.

تلك تمنيات نابعة من محبة للسودان، ومن خوف عليه، الخوف من ان يغرق في لعبة انتقام اذا بدأت لا يعرف احد كيف، وعلى اي وجه تنتهي!

الشرق الأوسط تفتح ملفات العقّاد وميخائيل نعيمة وطه حسين ٤

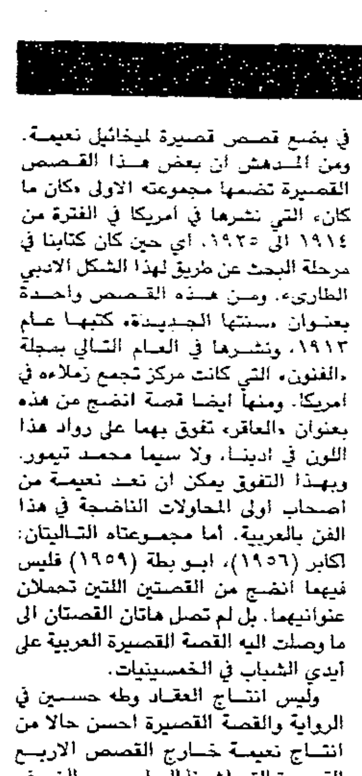
في ذكرى مرور ١٠٠ عام على مولد الفرسان الثلاثة

يواصل الدكتور علي شلش في هذه الحلقة فتح ملفات الفرسان الثلاثة العقاد ونعيمة وطه حسين. فيتناول كتابات الثلاثة سواء في القصة او الرواية او الشعر ثم السيرة. ومع انهم لم يخلفوا وراءهم نظرية متكاملة في الادب او النقد، فقد خلفوا الكثير من الملاحظات والتأملات الذكية التي تقوم في اساسها على خبرتهم الشخصية في الابداع شعرا ونثرا. كما اتفق الثلاثة على ان الادب صوت العاطفة والشعور والنقد مرآة هذا الصوت وصداه. وعدوا الأدب غاية في نفسه وليس غاية نفعية مثل المناداة بالعدل والحرية. وبذا طرحوا على عصرهم الكثير من الاسئلة التي مازلنا نختصم حولها حتى اليوم.

ثم يتطرق الدكتور شلش الى كتابات ميخائيل نعيمة والعقاد وطه حسين في القصة القصيرة والرواية والمسرحية. فيرى ان ميخائيل نعيمة كتب بعض القصص القصيرة الجيدة بينما لم ينجح العقاد وطه حسين في الرواية والقصة القصيرة. وكان نعيمة في قصصه يمزج الواقع بالخيال بل ويتجاوز الواقع ذاته احيانا، بينما جعل طه حسين رواياته تبدأ من ارض الواقع وتلح على مساوئه وعوراته، كالظلم والقهر والفقر.

ويتناول الباحث في دراسته هذه النساء في حياة الثلاثة. طه حسين الذي احب وتزوج واستقر، بينما ظل الآخران، العقاد ونعيمة، اعزبين واثرا الحياة بدون شريكة، فمن هن هؤلاء النسوة اللواتي دخلن حياة الفرسان الثلاثة، وما هي قصص حبهن؟







مي زيادة، احبها العقاد كما احبها كثيرون من طرف واحد. وقد سماها في رواية «سارة» باسم «هند»

لم يعرف العقاد في حياته سوى امرأتين وكلتاهما كانتا شاميتين مهاجرتين.

دراسة بقلم الدكتور علي شلش

في كتابه «رواية قمبيز في الميزان» نقد العقاد شوقي في مسرحيته الشعرية التي حملت اسم قمبيز. ومع ان نقده خلال هذه المرة من التجريح الذي ظهر في «الديوان» فلم يخل من الجهل بالمسرح والتأليف المسرحي. ولكن كتابه «شعراء مصر وبيئاتهم»، الذي نقد فيه مدرسة الشعر التقليدي في القرن الماضي، تضمن معلومات مهمة وملاحظات ذكية عن هؤلاء الشعراء الذين لم يلقوا الاهتمام الواجب من النقاد والدارسين من قبل، غير ان هذين الكتابين جاءا بعد كتاب آخر اهم، ظهر عام ١٩٣١، وهو «ابن الرومي: حياته من شعره» الذي عده العقاد نفسه من اهم اعماله وأجدرها بالبقاء. وهذا صحيح، بالرغم من مغالاته في استخلاص شخصية ابن الرومي وسيرته من شعره. ولكن هذه كانت عادة العقاد في كثير من بحوثه ومقالاته، بمعنى انه يفترض مفتاحا معينا للشخصية مثلا فيجهد نفسه وطاقته في البحث عن براهين تثبت افتراضه، او تطوف بذهنه فكرة يستحسنها فيحاول ـ بشتى الطرق ـ ان يجد لها سندا من التاريخ او الواقع. ومع ذلك فالكتاب نفسه ـ بغض النظر عن التعسف في احكامه ـ فيه تحليل جيد لعصر ابن الرومي وشعره. ويبدو انه الفه تحديا لطه حسين في محاولات ربط الشاعر بعصره كما فعل مع المعري. فمع ان العقاد انتقع كثيرا بالدراسات النفسية في هذا المجال، فقد برع ايضا في تحليل البيئة والعصر اللذين عاش فيهما ابن الرومي. ولكن الكتاب في النهاية اقرب الى السيرة الادبية منه الى الدراسة النقدية.

ذكاء الملاحظة والتأمل

ومع ان العقاد وصاحبيه لم يخلفوا وراءهم نظرية متكاملة في الادب او النقد، فقد خلفوا الكثير من الملاحظات والتأملات الذكية التي تقوم في اساسها على خبرتهم الشخصية في الابداع شعرا ونثرا. واتفقوا على ان الادب صوت العاطفة والشعور، والنقد مرآة هذا الصوت ودليله وصداه. ودعوا الى صدق التعبير وجماله وحريته، وعدوا الادب غاية في ذاته، قبل ان تكون له اي غاية نفعية مثل المناداة بالعدل والحرية التي شدد عليها طه حسين ونعيمة بوجه خاص، واتجهوا وجهة انسانية في قياسهم النهائي للادب ونقده. وحول هذه القضايا طرحوا على عصرهم العديد من الاسئلة التي لازلنا نختصم حولها حتى اليوم. ولكنهم لم يختصموا حول ضرورة التراث بالنسبة للاديب، ولا اهمية الاخذ عن الغير بالنسبة للادب.

غير انهم لم يكتفوا بالشعر والمقال والنقد. فقد ولدوا في عصر استعارة الاشكال والاجناس الادبية من اوروبا. ولم يكن من الغريب ان يجربوا مواهبهم في هذه الاشكال والاجناس. ومع ان نعيمة جرب حظه في كتابه المسرحية، وخلف مسرحيتين طويلتين وبضع مسرحيات قصيرة، فلم يشاركه العقاد وطه حسين في هذه التجربة غير الناجحة في الحقيقة التي تذكرنا بمسرحيات توفيق الحكيم المكتوبة للقراءة لا للتمثيل. وقد تفلسف نعيمة كثيرا في مسرحيتيه (الآباء والبنون، ايوب) برغم فارق الخمسين عاما الذي يفصل بينهما (١٩١٦، ١٩٦٧، على التوالي)، ولكنه لم ينجح في خلق شخصيات انسانية متدفقة الحركة والتعبير، بالرغم من التعديلات التي اجراها على اولاهما في طبعتها الثانية عام ١٩٥٣.

وقد انفرد نعيمة بين صاحبيه ايضا بعدد كبير من الرسائل الشخصية او الاخوانية، احتل مجلدا بأكمله وجزءا من مجلد آخر، ومعظمها رسائل الى اصدقائه، ومعارفه من الأدباء، وقرائه. ولكنها لا تكشف عن شيء جديد خارج كتاباته الاخرى، وان كانت تفسر بعض جوانب ادبه، او آرائه في الأدب والحياة.

من اطرف هذه الرسائل واحدة الى الشاعر الراحل يوسف الخال تعليقا على ديوانه «البئر المهجورة» عام ١٩٥٨ وقد استهلها بقوله: «ما كنت اريد لك ـ وانت الشاعر ـ ان تستهل مجموعتك الشعرية الجديدة، «البئر المهجورة»، بمثل هذه الضراعة لشاعر آخر يدعى عزرا باوند» ثم طالبه بألا يستهين بنفسه او يتضرع الى مزيف، وألا يصيبه الغرور هو ورفاقه في تحرير مجلة «شعر». واضاف: «انما الازياء البيانية ظلال لا تستقر على حال. والمستقر هو الانسان، وحاجته الى التعبير عن كيانه... والعجب في ان يغتر اي جيل بأزيائه البيانية فيحسب ان في مستطاعه فرضها على الاجيال الآتية ـ والى الابد» واخيرا نصح الخال بقوله: «وامر آخر اعيذكم منه: هذا الولع الجارف بالتحليل والتعليل والدعاية وقتل الوقت في المماحكات النظرية حول الشعر». ولكن نعيمة نسي ان هذا بعض ما فعله جيله هو نفسه في شبابه، وانه عدة كل جيل.

كما انفرد نعيمة بين صاحبيه بعدد كبير آخر من الحكم والامثال، ضم اكثرها كتابه «كرم على درب» الذي ظهر عام ١٩٤٦، وقدمه بقوله: «كرمي على درب. فيه العنب وفيه الحصرم. فلا تلمني يا عابر السبيل ان انت اكلت منه فضرست» وهذا تقديم صادق صحيح، لأن كرمه فيه العنب وفيه الحصرم ايضا. واذا كان هذا النوع من الكتابة يحتاج الى التأمل والتفلسف والشاعرية فكلها صفات لم يحرم منها صاحبه. وقد ضم الكتاب نحو ٤٧١ حكمة ومثلا تذكرني بديوان صغير للشاعر الهندي طاغور كتبه في بعض ساعات يأسه عام ١٩١٦، بعنوان «الطيور الشوارد». ولكن نعيمة زاد على طاغور قربه الشديد من المعاني الانجيلية والفلسفية.

ومن الحصرم في هذا الكتاب قوله: من مشى وظهره الى الشمس مشى مقودا بظله، او: ينتهي العلم حيث يبتدىء الجهل، او: عزة النفس في اهمالها. ولعل الحصرمية هنا واضحة في خفة المعنى وتقليده لمعان قيلت من قبل عند غيره. ولكن من العنب في الكتاب قوله: ما اضيق فكري مادام لا يتسع لكل فكر، او كم من كتاب افصح ما فيه بياضه، او: من قال انه يعطي ولا يأخذ فقد اخذ فوق ما يستحق، او: واخجلي من نشال يمد يده الى جيبي فيخرجها فارغة. او: عجبت لمن يغسل وجهه مرات في النهار ولا يغسل قلبه ولو مرة في السنة، او: من احسن حكم نفسه هان عليه حكم اي حاكم.

وحتى لا نظلم العقاد وطه حسين في هذا المجال فلا بد من الاشارة الى انهما لم يكفا ايضا عن بث امثال هذه الحكم والشذرات في شعرهما ونثرهما على السواء، ولكنهما لم يهتما بجمعها على هذا النحو، فضلا عن ان الحكمة والامثال تقليد عربي قديم كثير الظهور في الشعر. بل ان طه حسين سبق نعيمة بعام واحد الى شيء اهم من هذا، حين اخرج عام ١٩٤٥ كتابه «جنة الشوك» الذي قدم فيه تجربة فريدة في كتابة ما يسميه الاوروبيون باسم «ابيجرام» Epigram، وهو شكل ادبي مارسه الرومان، ودخل اللغات المتفرعة عن اللاتينية. وهو يكتب شعرا في العادة، ولكن يكتب احيانا بالنثر، ويتصف بالقصر والتركيز الشديد والنهاية التهكمية الساخرة مع شيء من الفكاهة. ولا يقابله في العربية نوع محدد من الكتابة، ولكن احاديث الشيخ لتلميذه الفتى تقترب منه نثرا لا شعرا، ان لم تكن تؤكد ميلاده في ادبنا الحديث على يد طه حسين.

قصص ينقصها النضج

غير ان الثلاثة اشتركوا في كتابة فنون القصة، طويلة وقصيرة، وكذلك في كتابة السير عامة وذاتية.

وكان نعيمة اسبقهم الى القصة القصيرة والرواية، ومن اغزرهم ايضا في هذا المجال. فقد خلف اربعة كتب ذات شكل روائي، وثلاث مجموعات من القصص القصيرة، في حين كتب العقاد رواية واحدة وبضع قصص قصيرة، وكتب طه حسين ست روايات ومجموعة من القصص، فضلا عن رواية ناقصة لم يتمها. وبذلك يكون طه حسين اغزر الثلاثة انتاجا للرواية والقصة. ولكن السبق وحده، والغزارة وحدها، لا يصلحان مقياسا للجودة، لأن الجودة مشروطة بشروط اخرى، اهمها ـ كما نعرف ـ النضج الفني وقيمة الرؤية الفنية.

لقد تحقق الشرط الاخير الى حد ما. فانتاج الثلاثة في الرواية والقصة القصيرة يحمل رؤية انسانية لا بأس بها. ولكن البأس بالنضج الفني، الذي لم يتحقق الا في بضع قصص قصيرة لميخائيل نعيمة. ومن المدهش ان بعض هذا القصص القصيرة تضمها مجموعته الاولى «كان ما كان» التي نشرها في أمريكا في الفترة من ١٩١٤ الى ١٩٢٥، اي حين كان كتابنا في مرحلة البحث عن طريق لهذا الشكل الادبي الطارىء. ومن هذه القصص واحدة بعنوان «سنتها الجديدة» كتبها عام ١٩١٣، ونشرها في العام التالي بمجلة «الفنون» التي كانت مركز تجمع زملاءه في امريكا. ومنها ايضا قصة انضج من هذه بعنوان «العاقر» تفوق بهما على رواد هذا اللون في ادبنا، ولا سيما محمد تيمور. وبهذا التفوق يمكن ان تعد نعيمة من اصحاب اولى المحاولات الناضجة في هذا الفن بالعربية. اما مجموعتاه التاليتان: اكابر (١٩٥٦)، ابو بطة (١٩٥٩) فليس فيهما انضج من القصتين اللتين تحملان عنوانيهما. بل لم تصل هاتان القصتان الى ما وصلت اليه القصة القصيرة العربية على ايدي الشباب في الخمسينيات.

وليس انتاج العقاد وطه حسين في الرواية والقصة القصيرة احسن حالا من انتاج نعيمة خارج القصص الاربع القصيرة التي اشرنا اليها. ويرجع الضعف الاساسي في هذا الانتاج كله الى عدم النضج في التقنية الروائية والقصصية ورسم الشخصيات، بالاضافة الى تعمد الكتاب الثلاثة تحميل قصصهم ورواياتهم ما لا تحتمل من تقرير، وخطابية، ورمزية، وتدخل مباشر للكاتب في السياق القصصي، على نحو ما فعل طه حسين. وليس في هذا الانتاج ايضا ما ينم عن الموهبة القصصية الكبيرة بمقدار ما فيه من اسلوب متين ولغة رصينة، فضلا عن ان انتاج الجيل التالي لهؤلاء الرواد الثلاثة تجاوز انتاجهم من الناحية الفنية، ولاسيما توفيق يوسف عواد في لبنان، ويحيى حقي ونجيب محفوظ في مصر. بل ان بعض ابناء جيلهم نفسه تفوقوا عليهم من هذه الناحية، ولاسيما محمد حسين هيكل.

ومن الواضح ان الثلاثة لم يعطوا هذا الفن الطارىء علينا حقه من العناية والجهد ايضا، بالرغم من تعدد محاولاتهم فيه. ولعل ابلغ تعبير عن هذا الاستخفاف هو ما صرح به طه حسين في اكثر من قصة ـ داخل السياق القصصي ذاته ـ من انه لا يقيم اعتبارا لقواعد الفن ولا لوصايا النقاد فمثلا نجده يقول في لوحة «صالح» من مجموعة «المعذبون في الارض» ما نصه: «ولكن لا احاول ان اضع القصة فأخضعها لما ينبغي ان تخضع له القصة من اصول الفن كما رسمها كبار النقاد.. لو كنت اضع قصة لما التزمت اخضاعها لهذه الاصول، لأني لا اومن بها، ولا اذعن لها، ولا اعترف بأن للنقاد مهما يكونوا ان يرسموا لي القواعد والقوانين مهما تكن». وكانت نتيجة ذلك انه كتب لوحات قصصية لا قصصا قصيرة بالمعنى المفهوم. كما عبر العقاد عن ذلك الاستخفاف بالقصة والرواية في كتابه «في بيتي» عام ١٩٤٥. فقال ان خمسين صفحة من القصة لا تعطيك المحصول الذي يعطيك اياه بيت من الشعر!

لعل من المناسب ان نتوقف قليلا عند اهم ما كتبه الفرسان الثلاثة في القصة القصيرة والرواية والمسرحية على التوالي.

ولنبدأ بميخائيل نعيمة الذي بدأ هو نفسه هذا الاهتمام قبل صاحبيه. لقد كتب ٢٨ قصة قصيرة ضمتها مجموعاته الثلاث، فضلا عن قصة اخرى بعنوان «مهرجان الموت» نشرها بمجلة «الفنون» في امريكا عام ١٩١٦. وهي قصة غير ناضجة فنيا، تتحدث عن المجاعة التي اصابت سورية زمن الحرب العالمية الأولى، ونضال الشباب في سبيل استقلال البلاد عن الدولة العثمانية. اما القصص الثماني والثلاثون فقد درسها الدكتور شفيع السيد دراسة جيدة في كتابه الجامع عن نعيمة. ولكنه لم يجد فيها سوى ثماني قصص تتمتع بمستوى فني ناضج على حد تعبيره: اربع في مجموعة «كان ما كان»، وثلاث في مجموعة «اكابر» وواحدة فقط في مجموعة «ابو بطة»، وعلل الباحث ذلك بأن نعيمة كتب مجموعته الاولى في فورة شبابه وحماسته في المهجر، وكتب مجموعتيه الأخيرتين بعد عودته الى لبنان وطغيان الاتجاه الفكري والروحي على كتاباته، مما ابرز التفاوت في المستوى الفني لقصصه، والحكم صحيح، وتعليله صحيح ايضا، ولكننا نضيف اليه ذلك الاستخفاف بالقصة الذي اشرنا اليه عند طه حسين والعقاد. فلم يكن نعيمة ايضا يخلو من هذا الاستخفاف بالرغم من مداومته على كتابة القصص والروايات من وقت لآخر، فضلا عن ان القصة بفنونها المختلفة ـ والمسرحية ايضا عند نعيمة ـ كانت عند الثلاثة مجتمعين مجرد منبر او بوق لاشياء اخرى يرونها اكثر جدية، تماما مثلما كانت القصة والمسرحية عند كاتب مثل سارتر بوقا لافكاره وفلسفته الوجودية.



٥٠ صفحة من القصة لا تساوي بيتا من الشعر!

كان ما كان

ولم يكن نعيمة في شبابه قد التحت عليه بعد تلك النزعة التأملية والفلسفية. ولذلك سلمت قصصه الاولى من التجريد والتقرير، وتدفق دم الحياة في شرايينها.

تدور قصص «كان ما كان» في معظمها حول هزيمة البشر في القرى اللبنانية امام الفقر وفساد الحكم قبل الحرب الأولى، اي في فترة الضخ البشري الى الخارج ـ اذا صح التعبير ـ التي نشرت السوريين (الشاميين عموما) في المهاجر والمنافي. بل ان القصة الوحيدة (شورتي) التي نجت من هذه الهزيمة الشامية تدور ايضا حول هزيمة اخرى لحقت بجندي اوروبي في معارك الحرب الاولى فأسلمته الى الموت عبثا. فقد خرج ذات ليلة من المستشفى الذي يعالج فيه من جراحه، وراح يضرب في الليل غير مبال بتحذير الحارس حتى سدد اليه الاخير رصاصة اردته قتيلا. وهي قصة عبثية قبل ان تظهر فلسفة العبث في اوروبا، ولكن نعيمة لم يوفق في صوغها مثلما وفق في قصة «سنتها الجديدة» التي صور فيها مشكلة الفقر ووأد البنات عند القرويين اللبنانيين في ذلك الوقت.

وتدور هذه القصة ليلة رأس السنة في قرية صغيرة خيم على دورها الظلام، خلا دار واحدة. وفي احدى غرف الدار جلس ابو ناصيف يترقب انباء زوجته التي تستعد للوضع في غرفة مجاورة. وراح ابو ناصيف يستعرض حاله وهمومه وبناته السبع، ويتمنى ان يكون القادم ذكرا. ولكن الكاتب لا يدعه ينعم بهذا الاستعراض، وانما يحيل الجو من حوله الى ريح عاصفة وثلج منهمر كأنما ليزيد من همومه او ليوحي بعكس ما يتمناه بل يجعله يستغرق في صورة على الجدار. ولكن سرعان ما يتبدد الحلم، ويستيقظ ابو ناصيف ليدخل في حلم يقظة آخر ينقلب فيه المولود الذكر الى انثى، فيرغي ويزبد، وهو يضرع بالدعاء ويعد بالنذور حتى جاءه النبأ اليقين بعكس ما يتمنى. وعندئذ خطف الطفلة من يدي القابلة، وهرع الى الخارج فوأدها، وعاد ليرشو القابلة حتى تنشر في القرية نبأ مولود ذكر مات عند مولده!

هذه احدى قصص الهزائم الست في المجموعة. ولكن ما يوجه الانتباه فيها هو تدفق السرد، والبناء بالصورة الموحية، واللمحة الذكية والحوار السلس، والمناجاة المعبرة.

خذ مثلا هذه الفقرة التي صور بها شخصية والد ابي ناصيف:

«ابو ناصيف كاتب قارىء. والمرحوم لم يكن يعرف من حرفة القلم سوى غمس خنصره في المحبرة ليمسح وجه خاتمه بالحبر، ثم ليلحس الورقة بلسانه، وينفخ على الخاتم ويلصقه الى الورقة بدقة وتأن، فتظهر هذه الكلمات بخط فارسي جميل: الياس بطرس الناقوس شيخ قرية بربوب».

هذه الصورة عوض عن ان يقول باختصار: «كان المرحوم اميا» ومثلها في القصة وزميلاتها كثير.

وخذ مثلا آخر من قصة «سعادة البيك» يقول في تصوير صاحب البكوية الموهومة:

«اذا بالباب ينفتح، ويدخل منه رجل طويل القامة منتصبها، ضيق الكتفين، مندلق الكرش، طويل اليدين والاصابع. في يده اليمنى عصا كذنب الكلب، وفي اليسرى جريدة عربية. وعليه بذلة نصفها الاسفل رمادي ونصفها الاعلى بني، وكلها قد نهش الاستعمال اطرافها فتدلت خيطانها بين طويل وقصير. اما وجهه فلم ار منه لأول وهلة سوى شاربيه الكثيفين الملاصقين لطرفي اذنيه، وانفه المنتفخ كالكوز، وبشرته الحادة السمرة. ومن اغرب ما وجه نظري فيه شكل رأسه الذي يشبه رأس الصنوبر، وحجم اذنيه المسطحتين اللاصقتين بجمجمته كقطعتين من العجين، وشعره القصير الذي يبدأ فوق حاجبيه بقيراطين».

وهو في قصصه هذه حريص على ابراز الزمان، والمكان، وتقديم الشخصيات بأسمائها الكاملة على نحو ما يفعل الكتاب الروس. ولكن حرصه لم يشمل علاج ما تسرب الى القصص من حشو واستطراد وصور محفوظة، ولا شمل علاج ضعف معظم قصص المجموعتين الأخريين. بل انه اخضع هذه القصص الاخيرة ـ مثلما اخضع رواياته الاربع ـ لأفكاره الملحة بعد عودته من الهجرة.

اقدم هذه الروايات الاربع من حيث الكتابة «مذكرات الارقش» التي شرع فيها عام ١٩١٧، ثم توقف عن اكمالها حتى عام ١٩٤٧، اي قبل ظهورها بعامين. ولكنها ليست رواية بالمعنى الذي طوره الجيل اللاحق، بالرغم من دورانها حول شخصية مغرية، غريبة الاطوار، سماها «الارقش»، وجعلها بوقا لسخريته المرة من بعض شخصيات العصر التي فصلها قبل ذلك في كتابه «الاوثان» عام ١٩٤٦. وبسبب هذه المنبرية تحولت الرواية الى نص ممل لا روح فيه، مثلما حدث في رواياته الثلاث الاخرى: لقاء (١٩٤٦)، كتاب مرداد (١٩٤٧)، اليوم الاخير (١٩٦٣).

لقاء

واذا كانت «لقاء» نجت الى حد ما من المنبرية المملة فلم تسلم من طغيان الافكار على الاحداث، وغرابة الحركة على المواقف، مع انها تحمل استعدادا لرواية جيدة. ولكن نعيمة افسد هذا الاستعداد ـ كما سترى بعد قليل ـ بالاغراق في الخيال، والبعد عن المنطق الروائي. ومن الصعب ـ في النهاية ـ ان ندرج هذه الاعمال الاربعة تحت فئة الرواية، بالرغم مما فيها من سرد واحداث وشخصيات.

ماذا تروي «لقاء» هذه؟

انها تبدأ بداية مشوقة، نستشعر معها اننا مقبلون على عمل روائي غير عادي، وان كان راويه من النوع التقليدي العليم. فالواقعة التي تبدأ بها الرواية غامضة كأنها بداية رواية بوليسية: في الهزيع الثالث من الليل يطرق باب الراوي شاب يعرفه، يدعى «ليوناردو»، ويعمل عند صديق له يدعى «سليم الكرام» ولكنه يهوى الموسيقى ويبرع في العزف على الكمان، وها هو جاء مع كمانه في تلك الساعة المتأخرة، فيسأله الراوي عن خبره فلا يتكلم، ثم يسأله عن مخدومه صاحب الفندق الذي يعمل به عازفا للموسيقى فلا يجيب. بل لا يلبث ان ينهض، ويستودعه كمانه، ويطلب منه الا يروي لأحد خبر مجيئه، وان يحرق الكمان ويدفن رماده في مكان معين إذا لم يعد خلال عامين.

ومرت ثلاثة ايام والراوي مشغول بهذا السر الغامض حتى زاره صديقه سليم الكرام، فيكشف له ما خفي من امر ليوناردو وكمانه الساحر. ففي الليلة التي جاء فيها ليوناردو الى صاحبه كان قد هرب من حفل خطوبة «بهاء» ابنة الكرام بعد ان عزف على كمانه. وغيب الفتاة عن وعيها، وتركها في أسوأ حال. وحاول الراوي ان يرد التهمة عن ليوناردو، ولكنه تأكد من الواقعة بعد ان صحبه سليم الى داره ورأى الفتاة وقد حار الاطباء في تشخيص مرضها، حتى افتى مشعوذ بأنها مسحورة. ولما طلب من المشعوذ ان يقدم اوصاف الساحر تبين ان هذه الاوصاف تنطبق على ليوناردو دون سواه. كما تبين ان الساحر حدد للأسرة مكان الكمان، وقدم لها اوصافا لا تنطبق الا على الراوي، ووصف علاجها بأن يحرق الكمان او وتر منه، ثم تبخر الفتاة برماده.

لم يتأثر الراوي بهذا الكشف، ولم ينف ادعاء المشعوذ. بل انشغل بالحديث مع عمة الفتاة حول ليوناردو. ثم مضت الحال على هذا النحو من الغموض، وخرج الراوي ذات يوم الى وادي العذارى، وهو واد جبلي نزل به بحثا عن حل لذلك السر، وفيه يعلم ـ ونعلم معه ـ بوقوع حادث مشابه، بطله راعي غنم، سحر بنات حاكم المنطقة في قديم الزمان، ثم اختفى، ودفنت العذارى الثلاث في مغارة بالوادي. وتتبع الراوي الاسطورة فزار المغارة المذكورة، ووجد تعليقا عن الوعي على بابها وثانيا على احد الارائك بها.

وبعد ايام ماتت ام بهاء حزنا عليها وهبط الراوي الى الوادي مرة اخرى و

نساء في حياتهم

طه حسين والعقاد لم يحبا مصرية ونعيمة لم يحب لبنانية

طه حسين

في شعره الباكر بعض اشارات الى «عهود للهوى منذ سنين» على حد تعبيره ولكنه لا يكشف عن هذه العهود التي رافقت صباه، وانما يكشف عن ذلك الحب العميق الذي بدأ في فرنسا، وانتهى بالزواج والعشرة الطويلة. وقد صور هذا الحب في كتابه «الايام» مرحلة بعد مرحلة. ففي باريس احاطت به الوحدة والوحشة مرة اخرى، ولم يخرجه منهما سوى ذلك «الصوت العذب الرقيق» الذي تعاقد معه ليقرأ له اعمال الادب الفرنسي واللغة الفرنسية ونصوص الدراسة. ومع الوقت شعر بانه يحب ذلك الصوت، ولكن سرعان ما حكمت عليه الجامعة المصرية بالرجوع، فصدم مرة اخرى، واقام بمصر ثلاثة اشهر على العذاب والامل في لقاء جديد.

ولما عاد الى باريس واصل الصوت حضوره امامه، فزاد حبه له حتى جاء يوم كاشف به صاحبة الصوت، فكان جوابها انها لا تحبه «قال: واي بأس بذلك، انه لا يريد لحبه صدى ولا جوابا، وانما يحبها وحسب». ولكن الصراع بدأ في نفسه بين الاستمرار واليأس، وانتهى الى شحوب الوجه واعتلال البدن. وهنا اشفقت عليه صاحبة الصوت، فاعطته مهلة للتفكير فيما كاشفها به، وطلبت منه الصبر حتى تتهيأ للجواب بعد العطلة الصيفية، التي ستقضيها مع اهلها في الريف. وقالت له: «اذا قرأت في بعض رسائلي اني ادعوك ان تقضي معنا بقية الصيف فاعلم اني قد اجبتك الى ما تريد. وان لم تقرأ هذه الدعوة حتى ينقضي الصيف فاعلم انها الصداقة بيني وبينك ليس غير».

يا له من موقف صعب وانتظار رهيب!

ولكن المحب لا يفقد الامل. فاذا بالرسالة تأتيه، واذا بالدعوة تصله، فاتصل الحب، وانتصر على عقبات الاهل والبيئة، واثمر الزواج، وعاش الحبيبان «في التبات والنبات» كما تقول حكاياتنا الشعبية. ثم جاء الزوجان الى مصر عام ١٩١٩. وبعد ثلاثة اعوام رجعت سوزان الى فرنسا مع بنتهما «امينة» الطفلة، لتقضي الصيف، وبقي طه وحيدا. ولكنه ـ كما ذكرت في كتابها «معك» ـ لم ينقطع عن الكتابة لها كل يوم. فكان يصلها منه كل يوم رسالة، حتى تجمعت عندها ٩٠ رسالة في الاشهر الثلاثة. تفيض كلها حبا وحنينا. وليتها تفرج عنها لتنقل الى العربية. فاقتباساتها في كتابها توحي بأنها غير عادية.

ميخائيل نعيمة

اذا كان طه حسين احب في غربته فهكذا وقع نعيمة في الغرام في غربته ايضا عندما ذهب الى روسيا عام ١٩٠٦ لاكمال دراسته. ولكن وقوعه كان من طرف واحد. واذا كانت سوزان الفرنسية عطفت على طه حسين فقد كانت فاريا الروسية في حاجة الى عطف نعيمة مع انه كان اصغر منها سنا. ولانها كانت زوجة بائسة لزوج غير مكتمل الرجولة والعقل فقد وجدت في نعيمة منقذا ومخلصا. وراحت تهاجمه بالحب، دون كلل، او ملل، حتى رق لها، وضعف امام غزواتها. ثم بدأ يحاسب نفسه حسابا عسيرا. وقاده الحساب العسير وبلاهة الزوج الى التفكير في الزواج منها، مع انه لا يحبها. ولم يخلصه من ورطته الا القدر، حين انتهت دراسته وعاد الى بيروت. ولما لحق باخويه المهاجرين الى امريكا فوجىء في مهجره ذات يوم برسالة من فاريا بعثت بها من بيروت الى عنوانه في بسكنتا. ومن هناك بعث اليه اهله برسالتها. وكانت قد جاءت الى لبنان خصيصا لتراه، والتحقت باحد الاديرة هناك، ولكنه كان قد نفض يده منها، فلم يرد على رسالتها. وشغلته الغربة الجديدة عن التفكير فيها.

ويبدو ان حظه مع هذه المرأة كان عثرا. فقد تكررت التجربة مرة اخرى، ولكن على بعد الاف الاميال. ففي امريكا عرف ـ بعد سنوات ـ امرأة اخرى قريبة في ظروفها من فاريا، وكأنه تخصص في ذلك النوع من النساء المأزومات الباحثات عن رجل يلطف كدمات الحياة. وكانت «بيللا» الامريكية زوجة بائسة لزوج غريب الاطوار، عربيد، فظ الطباع. وكان نعيمة مستأجرا لغرفة صغيرة في بيت الزوجين مما اتاح لحكاية الغرام ان تنمو. ولكن نموها لم يثمر سوى بعض قصائد ديوانه «همس الجفون» وبعدها عرف بعض الفتيات العابرات، حتى التقى ذات يوم بامرأة بولندية الاصل تدعى «نيونيا» اغارت عليه بحبها، وذكرته بفاريا الروسية. ثم عرف فتاة اخرى تدعى «هيلدا». ولكنه انزل الستار على مسرحيات حبه حين طلق الحياة في امريكا، وعاد الى لبنان عام ١٩٣٢ حيث اعلن ان الزواج مقبرة الحب!

من الغريب والطريف معا ان هؤلاء العديدات اللواتي دخلن حياة نعيمة، وصورهن في سيرته الذاتية، كن البادئات بالحب، وان دوره كان اما الاستجابة لملاحقاتهن، او رفضهن والتزويغ منهن، وان نهاية حكايات غرامه كانت واحدة تقريبا: الرجوع الى وحدته وعلته الموحش. فهل كان ذلك حظا او قدرا مرتبا كما قال؟ مازال الامر في حاجة الى بحث على اي حال.

العقاد

لم تتعدد النساء في حياة العقاد كما تعددن في حياة نعيمة، ولكن نهايتهن كانت واحدة: بقي العقاد مثل نعيمة وحيدا اعزب مع انه لم يعرف سوى امرأتين ولم يحب العقاد امرأة مصرية في شبابه.

اما المرأة الاولى فهي التي سماها «سارة» في روايته الوحيدة. وكانت شامية مهاجرة، تدعى ـ في الحياة ـ «اليس» وقد صورها في روايته «فتاة لعوبا جميلة جمالا لا يحتفظ بغيره في ملامح النساء»، ولكنها صدمته في حبه لها، حين تشكك في سلوكها. وخرج من هذه القصة الفاشلة بروايته المذكورة، وبضع قصائد.

واما المرأة الاخرى فهي «مي زيادة» التي سماها في رواية «سارة» باسم «هند». وكانت مي شامية مهاجرة ايضا، ادركتها حرفة الادب، فانشأت في دارها صالونا للأدباء والأعلام كان ينعقد يوم الثلاثاء من كل اسبوع، ويتردد عليه عدد كبير من صفوة رجال الفكر والادب والسياسة في العشرينيات والثلاثينيات. وكان العقاد من رواد هذا الصالون. وقد صور شخصية مي في روايته، وقارن بينها وبين سارة فقال: «اذا كانت سارة خلقت وثنية في ساحة الطبيعة فهذه (هند) خلقت راهبة في دير من غير حاجة الى الدير. تلك مشغولة بأن تحطم من القيود اكثر ما استطاعت، وهذه مشغولة بأن تصوغ حولها اكثر ما استطاعت من قيود».

بالرغم من هذه القيود احبها العقاد كما احبها كثيرون، حتى من كان منهم بعيدا مثل جبران. ولكن حبهم كان من طرف واحد، لأنها كانت في عالم آخر. فكل ما قدمته لهم كان الكلمة الطيبة والالهام المبدع. ومن تأثيرها كتب العقاد بعض شعره، ومنه هذه الابيات الصادقة في تصويرها:

كاد يمضي العام يا حلو التثني ... او تولى
ما اقتربنا منك إلا بالتمني ... ليس إلا
مذ عرفناك عرفنا كل حسن ... وعذاب
لهب في القلب فردوس لعيني ... في اقتراب

وفي قصيدة اخرى اطول قال العقاد عن يوم الثلاثاء، يوم صالونها:

يا يوم موعدها البعيد الا ترى ... شوقي اليك وما اشوق لمغنم
شوقي اليك يكاد يجذب لي غدا ... من وكره ويكاد يطفر من دمي
اسرع بأجنحة السماء ... ان لم يطعك جناح هذي الانجم

من غرائب المصادفات ان النساء اللواتي دخلن حياة الفرسان الثلاثة كن جميعا من غير جنسياتهم. فلا طه حسين احب مصرية، ولا نعيمة احب لبنانية، ولا العقاد احب مصرية ايضا. ومع ذلك خرج الثلاثة من تجاربهم في الحب بكثير من الشعر والنثر، والخبرة بالنصف الآخر ايضا.

كتبوا السيرة من كل نوع ولم يكتب أحد عن سيرتهم نعيمة أفضلهم في القصة وطه حسين أبرعهم في الرواية

المغارة فلم يجد الثعلبين، ولكنه وجد الناي والى جواره وجد رجلا يغط في نومه، فاذا هو ليوناردو الذي يصرح للراوي بعد يقظته انه كان راعي غنم قبل ذلك بأجيال، ثم اعترف له بأنه بطل اسطورة العذارى الثلاث، ولكنه حذره من البوح لأحد بما سمع. ولكن الشرطة كانت اسرع من البوح، فقبضت على ليوناردو، وسجنته. وحاول الراوي - مع عمة الفتاة - انقاذه، ثم استأذنا حراسه ان يدعوه يذهب معهما الى انقاذ ضحيته فأذنوا وجاء الراوي بالكمان. وفي غرفة بهاء عزف ليوناردو لحن «لقاء» وعند ذاك عادت الفتاة الى وعيها، وهتفت باسم ليوناردو، وهتف هو باسمها، ثم فارقا الحياة لتوهما. وهنا تقدم ابوها فوضع يدها في يد ليوناردو وقال كلمة النهاية «تلاقيا»!

هل تلاقى المحبان حقا؟

هكذا يريدنا نعيمة ان نعرف. وهكذا انتهت روايته «لقاء». ولكن الذي لا ينتهي هو التساؤل:

كيف لم يحضر الراوي خطوبة الفتاة وهو وثيق الصلة بأسرتها؟ لماذا لم ينفعل بما واجهه به الخطيب حين تعرف عليه من أوصاف المشعوذ له؟ لماذا اختار المشعوذ اصلا وهو ينكر على المشعوذين التوصل الى الحقيقة؟ كيف نصدق تطورات الأحداث وحكاية وادي العذارى والراوي لا يهيىء قارئه لأي موقف؟ هل اراد ان يصل الى مغزى الرواية بأي ثمن؟ هل الموسيقى وحدها تطهر الانسان الى هذا الحد؟ هل يجب ان يتم اللقاء الحقيقي بين المحبين بعد وأد حاجات الجسد؟ هل الموت وحده هو سبيل اللقاء؟

تعيدنا هذه الاسئلة وغيرها الى فلسفة نعيمة، وهي فلسفة تتلخص - مؤقتا حتى نشرحها فيما بعد - في الايمان بوحدة الوجود، ورفض مادية الحياة بجميع أشكالها. ولأن هذه الفلسفة ملحة على عقله ووجدانه، فهو لا يكل ولا يمل من تكرارها في جميع أعماله - منذ عودته الى وطنه - بغير استثناء. ولكن المشكلة تكمن في عجزه الواضح عن الوفاء بشروط التعبير الفني، وسيطرته على شخصيات القصص ومواقفها سيطرة عقلية مستبدة كما حدث هنا في هذه الرواية، وكما حدث أيضا في المسرحيات التي كتبها.

وفي هذه المسرحيات الطويلة (اثنتان) والقصيرة (ثلاث) ربما كان نعيمة أحسن حالا، لأنه اقترب فيها من الواقع وهمومه المعاشية. وأولها وأطولها وأجودها مسرحية «الآباء والبنون» التي نشرها في امريكا عام ١٩١٦، ثم اعاد نشرها عام ١٩٥٣ عام ١٩٥٣ مع بعض التعديل والتنقيح. وفيها يعالج - كما يوحي عنوانها - مشكلة الصراع الأبدي بين الآباء والبنين، او بين القديم والجديد، أو التزمت والتفتح، في الحياة والثقافة. ومع ان موضوعها هو زواج الأبناء على غير رغبتهم، وعدم انصياعهم للآباء، فان نهايتها مثل نهاية افلام هوليوود القديمة، اي تلك النهاية السعيدة ولو كره الكارهون. ومع أن التعديل الذي أجراه عليها شكلي محض فقد اضفى على النص الأصلي تنسيقا وناظما لم يكونا فيه. ولكنها - في النهاية - افتقرت الى تعدد الأبعاد الواجب في الشخصية المسرحية، وخلطت بين الفصحى والعامية في الحوار فصار المتعلم فصيحا وغير المتعلم عاميا في لغته. كما أرهق المؤلف بناءها الدرامي الضعيف بالثرثرة أحيانا والافتعال أحيانا أخرى. وكل هذه العيوب لم تنج منها مسرحياته الأخرى على اي حال.

دعاء الكروان

واذا كان نعيمة في هذه القصص والروايات والمسرحيات يمزج الواقع بالخيال الى درجة عنيفة أحيانا، كما في رواية «مذكرات الأرقش»، فلم يكن طه حسين يميل الى هذا أو ذاك في قصصه ورواياته، وانما جعلها جميعا تبدأ من أرض الواقع، وتلح على مساوئه وعوراته، كالظلم والقهر والفقر، حتى في اشدها امتزاجا بالخيال، مثل رواية «القصر المسحور» التي الفها بالمشاركة مع توفيق الحكيم، ورواية «احلام شهر زاد» التي استقل بها. وهذا ما يظهر بجلاء في انضج رواياته وأهمها «دعاء الكروان» و«شجرة البؤس». ومع ذلك تساوى طه حسين مع نعيمة في ايجاد المواقف المفتعلة، وضعف رسم الشخصية الانسانية بأبعادها الطبيعية المتعددة وطغيان الكاتب او الراوي على حركات الأحداث والشخصيات في «دعاء الكروان» التي كتبها عام ١٩٣٤، اي قبل ظهورها في كتاب بسبعة اعوام. استخدم طه حسين ضمير المتكلم في روايتها على لسان بطلتها «آمنة» تلك البدوية القروية التي غيرت اسمها الى «سعاد». ثم تتبع حكايتها مع اختها «هنادي» وامها «زهرة» حين جئن الى المدينة العاصمة بعد وفاة الأب في احدى نزواته الجسدية، وعملن في خدمة البيوت، ولكن آمنة كانت أسعد حظا حين رافقت «خديجة» بنت المأمور، فتعلمت منها الكثير، في حين عملت شقيقتها الكبرى «هنادي» عند مهندس أعزب اعتدى عليها. وبعد عام ونصف العام في المدينة عدن الى القرية، ولكن خال الشقيقتين ثار على العائدات، وقتل «هنادي» ببساطة وقسوة متناهيتين لا علم بما جرى لها في المدينة. وفي تلك الأثناء عاود الكروان الظهور لآمنة، وعاودت هي سماع شدوه عند الفجر، والتسرية عن نفسها باسترجاع صوته.

ولكنها سرعان ما تضيق بحياة القرية فتفر من الدار، وتهيم على وجهها. وعندئذ تنتقل رواية القصة الى الراوي، ثم تعود اليها بعد بضع صفحات.

وبعودة «آمنة» الى رواية حكايتها نشعر بأن ثمة قدرا محتوما لا يرحم يهيمن على الأحداث. فقبل ان تقتل «هنادي» تنبأت لها قارئة البخت بأنها واقعة بين رجلين: أحدهما يحبها وسيؤذيها، والآخر يؤذيها وسيحبها. وها هي النبوءة قد صحت بطرفيها وتحققت بشطريها: أحبها خالها ثم قتلها، واعتدى عليها المهندس ثم أحبها. بل ان «آمنة» تجد نفسها مدفوعة دفعا الى الثأر من المهندس. وهنا يختفي الكروان في النصف الأخير من الرواية، وكأن آمنة نسيته او نسيه المؤلف!

عادت «آمنة» الى المدينة، والتحقت بدار المأمور، حتى أوقع القدر غريمها بين يديها حين جاء يطلب يد مخدومتها «خديجة»، وعند ذاك نبهت اهل العروس على جرمه فرفضوه. ثم هربت من خدمتهم الى القرية مرة اخرى، حيث قررت أن تنتقم لأختها. وراحت تتوسل بكل الحيل للوصول الى المهندس حتى اتاها بغير حيلة حين طلب من امرأة تعرفها في القرية فتاة لخدمته. وكانت هي الفتاة المطلوبة. ولأنه لا يعرف صلتها بضحيته سهلت عليها مهمتها. ولكنه وقع في غرامها حين فاتحها في الزواج ذات يوم. وفوجئت بعرضه ففاتحته هي الأخرى بسرها، فاذا به يزداد تمسكا بها. وتنتهي الرواية بقوله لها: «ان العبء لأثقل من ان تحمليه وحدك، وان العبء لأثقل من ان احمله وحدي، فلنحتمل شقاءنا معا حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا». وكأن المرأة ترجع عن الانتقام اذا احبت!

والقدر الصارم هنا أقرب الى ما نجده في التراجيديا الاغريقية التي كان طه حسين قد ترجم منها الكثير منذ عام ١٩٢٠. بل ان نبوءة قارئة البخت اشبه بنبوءة العراف في مسرحية «اوديب». والكروان الذي ظهر واختفى بغير مبرر اشبه بالطير في الأساطير الاغريقية مع فارق الدلالة. ولكن رسم شخصية آمنة غير منسجم مع شخصيتها كخادمة، فهي تقرأ الفرنسية وألف ليلة وليلة، وتقول «ليت شعري»، فضلا عن البعد الواحد الذي ظهرت به. بل انها واعية بفكرة كيد النساء العظيم. فهي تقول: «يا لقوة النساء! لقد آمنت منذ ذلك الوقت بأنها لا حد لها. يا لمكر النساء! لقد آمنت منذ ذلك الوقت بأنه لا آخر له ولا قرار. يا لقدرة النساء على الكيد، وبراعتهن في التلوين، ونهوضهن بأثقل الاعباء، وثباتهن لأفدح الخطوب». وذلك هو المعنى الاضافي، ان لم يكن الأساسي، الذي تطرحه الرواية، ففكرة الثأر والانتقام في حد ذاتها فكرة ضعيفة، لأن المهندس لم يقتل «هنادي» كما تصورت «آمنة»، انما قتلها الفقر والجمود وضيق الأفق. فخالها نفسه الذي قتلها لم يتورع عن طردها وشقيقتها وامها من القرية عقب افتضاح امر الأب. وهو نفسه أيضا الذي لم يتحرك بعد ذلك حين هربت من القرية مرة أخرى.

لقد ذكر طه حسين في اهدائها:

«الى صديقي الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد. أنت قدمت للكروان ديوانا فخما في الشعر العربي الحديث، فهل تأذن لي في أن اتخذ له عشا متواضعا في النثر العربي الحديث، وان اهدي اليك هذه القصة تحية خالصة من صديق مخلص».

ولكن لماذا طار الكروان فجأة، واختفى من الرواية، بعد ان شغل «آمنة» وشغلنا؟

كان تكرار رمزه بلا أي معنى. وكان من السهل جدا حذفه من الرواية كغيره من التفصيلات المرهقة للسياق والمسئمة للقراءة، مما يجعلنا نشعر بأن الرواية كلها لم توجه تحية لديوان «هدية الكروان» الذي نشره العقاد عام ١٩٣٣، اي قبل عام من كتابتها، أو نحو ذلك. ومع أن طه حسين حرص على اثبات تاريخ الكتابة (سبتمبر ١٩٣٤) فنحن نشعر شعورا قويا بأنه اعاد النظر في الرواية قبل طبعها عام ١٩٤١، لا على ضوء ديوان العقاد، وانما على ضوء روايته الوحيدة «سارة» التي ظهرت عام ١٩٣٨. وكأنه يرد بها على «سارة» التي تناولت موضوع عاطفة المرأة وتقلبها وكيدها.

ومع ان العقاد بدأ الرواية من منتصف الحدث الأساسي فيها، وهو الجفوة بين همام وسارة، فقد جعل الشك مبتداها ومنتهاها. فهمام هذا المثقف الذي احب سارة وأحبته يشعر فجأة بأن محبوبته تخونه، دون ان يقدم لنا مبررا قويا لشعوره ذاك. ثم يتمادى في شكه حتى يوقع الجفوة بينهما، ويعمر رأسه بالأوهام حتى يسلط عليها رقيبا من اصدقائه فيعود اليه الرقيب الصديق ذات يوم بوقود جديد للشك، وهو انه رأى سارة تستقل عربة مع رجل آخر. وعندئذ يعذب همام نفسه بذلك السؤال العطيلي - نسبة الى عطيل شكسبير: هل تمت الخيانة قبل الجفوة أم بعدها؟ ثم ينهي عذابه بسؤالين آخرين هاملتيين هذه المرة: «أليس من الجائز انها وفت لك في ايام عشرتها واستحقت وفاءك لها وصيانتك اياها وغيرتك عليها؟ أليس من الجائز انها يئست منك فزلت بعد الفراق؟». وبهذا تنتهي الرواية. وما هي برواية في الحقيقة. فالخيوط التي نسجها منها لا تصلح لأكثر من قماش قصة قصيرة، بما تهيأ لها من الشخصيات المحدودة (همام وسارة وأمين الرقيب) والحالة النفسية (الشك) المحدودة أيضا.

ثمة طرافة شكلية في بنية «سارة» من الناحية الفنية، ولكن العقاد يبدو متعسفا في معالجتها، مثلما فعل مع السير والتراجم. فقد جمد حركة الحدث الأساسي، وجعل للشخصيات بعدا واحدا، وعزلها عن الواقع، وصاغ الفصول - كما يصوغ مقالاته - بعقلانية بارزة ومنطق صارم.

ولعلنا نتبين من المقارنة بين قصص الثلاثة ورواياتهم ومسرحياتهم ان نعيمة افضلهم في القصة القصيرة، وطه حسين ابرعهم في الرواية. ولكن الفضل والبراعة يجب ان يوضعا في سياق عصرهم، وان ينظر اليهما من منظور الكتابات المحيطة بهم. وهنا ينفرد نعيمة بين الثلاثة بأنه قدم محاولات ناضجة ورائدة في القصة القصيرة، وفي المسرحية ايضا الى حد ما، في حين لم ينجح الآخران في الرواية او القصة القصيرة.

ومع ذلك ساهم الثلاثة بهذه المحاولات في تعميق صلتنا بالأشكال والاجناس الأدبية المستعارة في مجال القصة والمسرحية. وكان لثقلهم الأدبي والجماهيري دور في استقرار هذه الأشكال والأجناس، وجدية تناولها والنظر اليها.

لو كان ميخائيل نعيمة اعتنى قليلا بالقصة القصيرة، واستمر في كتابتها دون انقطاع بعد بدايته الناضجة لأحدث قفزة مبكرة في هذا الفن الناشيء عندنا زمن الحرب العالمية الأولى. ولكن «لو» حرف امتناع كما يقول اهل اللغة!

غير ان القصة والرواية لم تكونا آخر ما اشترك في الاهتمام به، والانتاج فيه، فرساننا الثلاثة. فقد اهتموا ايضا بذلك الفن العربي العريق الذي اهملناه اليوم، فن السيرة. ولم يكن اهتمامهم به مقصورا على السيرة العامة التي تروي حياة احدى الشخصيات، وانما شمل ايضا السيرة الذاتية التي يروي فيها كاتبها حياته.

كانت السير العامة - قديما - جزءا من التاريخ، وفنا من فنونه. ثم انفصلت عنه في العصر الحديث، وصارت فنا قائما بذاته، دون ان تفقد صلتها به كلية. بل هي لا تستطيع ان تفقد هذه الصلة لأنها عمودها الفقري. فكاتب السيرة لا بد ان يستعين بتاريخ الشخصية التي يصور حياتها، وان يرتب هذا التاريخ ترتيبا زمنيا متسلسلا، وان يتتبع حياة الشخصية في كل مرحلة من مراحل تاريخها. واذا كان هذا التاريخ خاصا، فلا غنى له ايضا عن التاريخ العام غير الشخصي من حيث صلته بتاريخ المكان الذي نشأت فيه الشخصية وتاريخ الفترة التي عاشتها. وبعد ان يوفر هذه المادة التاريخية اللازمة يبدأ في صياغة السيرة على نحو قصصي مشوق.

وبهذا المقياس الحديث نجد ان طه حسين كان مهيأ منذ بداياته لكتابة السير والتراجم. فقد تربى في طفولته - كما ذكر في «الأيام» - على «قصص الغزوات والفتوح واخبار عنترة والظاهر بيبرس واخبار الانبياء والنساك والصالحين». وتعلق في يفاعته بالتاريخ.

بهذا المقياس ايضا يمكن ان نعد رسالته عن المعري سيرة الى حد ما، لأنه تتبع فيها صورة العصر، اي ربط التاريخ العام بالتاريخ الخاص أو الشخصي، ثم ربط هذا كله بأدب المعري وكتاباته، واخيرا درس فلسفته وفكره. واذا قرأنا هذا الكتاب اليوم (ذكرى ابي العلاء) على هذا الأساس لشعرنا بعد الفراغ من قراءته انه قريب الى السيرة بمعناها المتداول اليوم، او شعرنا - على الاقل - بأن مؤلفه بارع في سرد التاريخ وربط حلقاته، وعاشق لجوهره من حيث هو

ميخائيل نعيمة مع حفيده من اخيه: اهو تعويض عن حرمانه من مشاعر الأبوة؟

٥٨٧٣ مقالة كتبها العقاد، ١٤٨١ مقالة كتبها طه حسين

واقعة تروى. ومع ذلك سبقه العقاد الى كتابة السيرة الأدبية حين اخرج كتابه عن ابن الرومي عام ١٩٣١، وكتابه عن سعد زغلول عام ١٩٣٦، ثم شرع في سلسلة العبقريات عام ١٩٤٢.

كما سبقه نعيمة حين اخرج كتابه عن جبران خليل جبران عام ١٩٣٤. واذا كانت سيرة جبران هي الوحيدة التي الفها نعيمة، فقد تفوق عليه العقاد وطه حسين بذلك العدد الكبير من السير العامة الذي خلفاه.

ولكن الكم وحده لا يعول عليه في الأدب. ودليل ذلك ان نعيمة تفوق على صاحبيه بتلك السيرة الوحيدة التي خلفها. فقد اتيح له بحكم صداقته لجبران ان يجمع عنه مادة غزيرة، وان يستكمل هذه المادة من اصدقائه الآخرين. ثم وضع هذا كله في قالب قصصي، مشوق الى حد ما، ولكنه متصل بموضوعه، برغم بعض الثغرات، مثل اهماله نشاط جبران السياسي في امريكا وعلاقته بمي زيادة. ومع انه هوجم كثيرا على تصويره جبران في أحط سجاياه، فقد كان هذا نفسه من عوامل نجاحه، لأن الانسان ليس سجايا جميلة وحسب، ولكل انسان قوته وضعفه ايضا. وما فعله نعيمة هو انه رسم صورة صديقه في قوته وضعفه على السواء، فجاءت الصورة طبيعية بغير رتوش او تجميل، او هكذا رآه. وقد اعترف في سيرته الذاتية، بعد ذلك بأنه لم يتمكن من جمع مادة كافية عن الفترة من ميلاد جبران عام ١٨٨٣ الى لقائهما في امريكا عام ١٩١٦، فاضطر الى الاستعانة بخياله في تصويرها. ومن حقه هذا على اي حال، ولكن ما ليس من حقه هو شطط خياله احيانا كما حدث حين صور حلم ماري هاسكل صديقة جبران الامريكية، وافتعل حدوث الاتصال الروحي بين الاثنين عند مولد الصديقة كمقدمة لاتصالهما المادي بعد ٢٢ عاما. ولكن هكذا كان مزاج نعيمة رومانتيكيا مسرفا في الخيال احيانا!

اما السير التي كتبها العقاد، وهي كثيرة بالفعل، فهي اقرب الى الدراسات عن حياة الشخصيات التي دارت حولها، وافكارها واعمالها، ان لم تكن سيرا ضعيفة. وسر ضعفها - اذا عددناها من السير - ان معظمها لا يستند الى مادة غزيرة عن حياة ابطالها، ولا يصور هذه الحياة في نموها الطبيعي الموضوعي وسط الاصدقاء والاعداء. ولذلك نجد من الظلم ان نقيسها بمقياس السير في معناها الحديث، ومن العدل ان نضعها في اطارها الصحيح كدراسات عن الشخصيات التي تناولتها. وقد كان من الصعب - على سبيل المثال - ان يتيح شعر ابن الرومي من التفصيلات والدقائق الكافية عن حياته، او ان يستخدمه الدارس كوثيقة لهذه الحياة. بل ان سعد زغلول الذي عرفه العقاد عن قرب، ورافقه سنوات من حياته ونضاله، لم يظهر في كتابه عنه كشخص طبيعي، له نموه الدرامي في الحياة، وله مظاهر القوة والضعف، والاصدقاء والاعداء، والصعود والهبوط. ومع ذلك ففي هذه الدراسات عن الشخصية الانسانية قدم العقاد الوانا من التفسيرات الذكية والتحليلات الصائبة، مثلما وقع في الوان اخرى من التعسف في الحكم والتمحل في التبرير، كما في كتابه «معاوية بن ابي سفيان في الميزان» على سبيل المثال. فقد عد معاوية رجلا قديرا، ولكن حجم الشواهد والروايات التي جاء بها لم يسعفه في اثبات قدرة الرجل او اقناع القارىء بها.

ومن المدهش ان العقاد ألف في هذا النوع من دراسات الشخصية ٣٣ كتابا، ظهرت في الفترة من ١٩٣١ الى ١٩٦٢، أي بواقع كتاب لكل سنة تقريبا، وان تكرر ظهور ثلاثة منها في العام الواحد. فكيف اذن وفق بين هذه الدراسات وكتبه الاخرى التي ظهرت في الفترة ذاتها وعددها ٤٥ كتابا؟

هذا هو السؤال كما يقول هاملت!

واذا القينا نظرة سريعة على الشخصيات التي تناولها العقاد لأدهشنا ايضا تنوعها وتباينها. فما الذي جمع بين الانبياء والصحابة والفلاسفة؟ وما الذي وفق بين ابن الرومي وهتلر وبرنارد شو وغاندي ومحمد عبده؟ وما الذي وحد بين عمر بن ابي ربيعة وفرنسيس بيكون والكواكبي وصن يات سن؟ ليس الزمان ولا المكان ولا الاهتمام، وانما غرام العقاد بالاعلام هو الذي جمع بين هؤلاء الثلاثة والثلاثين، وكان من الممكن ان يجمع ايضا بينهم وبين جمال الدين الافغاني وغيره ممن شغلوه ولم يسعفه الزمن لتأليف الكتب عنهم.

ما سر غرام العقاد بالشخصيات، ومعرفتها، وتحليلها؟

هل هو حبه لقراءة تراجم العظماء؟ هل هو ميله الى التميز والتفرد؟ هل هو احساس بالندية؟

ان الجواب يحتاج الى دراسة مستقلة على أي حال.

السيرة الذاتية

وأما ما كتبه طه حسين في هذا المجال فقليل جدا بالقياس الى ما كتبه العقاد. وينطبق عليه - باستثناء كتاب واحد - ما ذكرناه عن صاحبه. فما كتبه عن المتنبي، وحافظ وشوقي، والخليفتين الراشدين عثمان وعلي، وبني علي، والمعري، ليس سوى دراسات تاريخية وأدبية، لا سير ولا تراجم. ولكن كتابه «أديب» الذي يدرجه الدارسون ضمن رواياته، هو الأحق بأن يكون سيرة. وهو سيرة - الى حد كبير - لصديق قديم من اصدقائه، كان زميلا له بالجامعة المصرية القديمة، ثم زميلا له في بعثته الى فرنسا. ومع انه لم يصرح باسمه في سياق السيرة، فقد صرح به فيما بعد، فاذا به جلال شعيب الذي بعثته الجامعة لدراسة التاريخ، فاضطر الى طلاق زوجته حتى يتم قبوله، ولكنه خاب في دراسته بفرنسا، وآل امره الى احدى المصحات العقلية.

غير ان طه حسين كان له فضل آخر في الوجه الآخر للسير، وهو السيرة الذاتية. فقد قدم في «الأيام» بأجزائها الثلاثة اول سيرة ذاتية حقيقية ناضجة في الأدب العربي الحديث، بعد المحاولة الفجة التي قدمها احمد فارس الشدياق في كتابه «الساق على الساق» المنشور في باريس. وفي «الأيام» هذه صور طه حسين حياته - منذ طفولته الباكرة - تصويرا ينضح بالصدق والحساسية والجمال، ولاسيما في جزئها الأول الذي تفوق على الجزءين الآخرين. وفيها أيضا صور صراعه مع عاهته، واستجاباته الجريئة لتحديات الزمن والتخلف، فضلا عن صداقاته واساتذته وزوجته وتدرجه على طريق الأدب والحياة الفكرية والسياسية.

وسوف يظل الجزء الأول منها - بصفة خاصة - مأثرة طه حسين الأدبية في مجال الابداع، ان لم تكن من اهم مآثر الأدب العربي في هذا القرن.

وربما كان نجاح «الأيام» سببا مباشرا في اهتمام ابناء جيل طه حسين بالسيرة الذاتية. فقد تلاها عدد من السير الذاتية لأحمد أمين وسلامة موسى وميخائيل نعيمة. وجاءت سيرة نعيمة «سبعون» في ثلاثة اجزاء ايضا. ومع انه ذكر في مقدمتها انها ليست سجلا دقيقا لحياته بمقدار ما تشبه الخريطة الدالة على الجبل لا على تفاصيله، فقد ضمنها الكثير مما وعته ذاكرته عن حياته الطويلة. ومع انه توقف فيها عند سن السبعين كما يشير عنوانها فقد ضمنها ايضا كل ما توافر لديه من معلومات عن كتبه السابقة. وقد ساعده على كتابتها - كما قال - انه اعتاد تدوين مذكراته في روسيا وامريكا ثم لبنان. ومن هذه المذكرات، ومن الرسائل الشخصية التي يحتفظ بها كتب السيرة، وصور ازمته الروحية العنيفة مع الكنيسة الارثوذكسية، فضلا عن علاقاته الغرامية والمواقف الصعبة في حياته. ومع ان القارىء يشعر فيها بصدق كاتبها الا انها باردة احيانا، ومملة احيانا اخرى، ربما لأنها كتبت بعد السبعين. ولكنها في النهاية افضل اعماله وأكملها وأبقاها.

كان العقاد الوحيد الذي خالف هذا التقليد بين كبار ابناء جيله. ومع ذلك كتب على مدار السنين عددا كبيرا من المقالات عن حياته، فضلا عن كتاب صغير بعنوان «في بيتي». وفي اعقاب وفاته عام ١٩٦٤ جمع طاهر الطناحي معظم هذه المقالات، واضاف اليها بعضا من الكتاب الصغير، ثم نشرها في كتابين تحت عنوان: أنا، حياة قلم، على التوالي. وفي هذين الكتابين المهمين في دراسة العقاد القى هو نفسه الكثير من الأضواء على حياته، وفكره، وعاداته، واساتذته، واخلاقه. ولم يخل حديثه وذكرياته من نبرة الصدق ولا من بساطة الرواية، ولاسيما في ما يتعلق بالظروف الصعبة التي واجهها، مثل الجوع والبطالة والسجن.

ومع هذا كله تستحق حياة كل منهم سيرة خاصة. فهل من مغامر؟

عندما أحب العقاد ممثلة سينمائية

كان للعقاد بضع حكايات غرام صغيرة على هامش غرامه بمي زيادة، واليس او سارة. وتأتي على راس هذه الحكايات حكايته مع ممثلة سينمائية مشهورة لازالت على قيد الحياة.

وقد عرف العقاد هذه الممثلة في اوائل الاربعينيات، وكانت وقتها فتاة فقيرة تتطلع إلى الشهرة وأضواء السينما. جاءته وهو كاتب مشهور فوق الخمسين باحثة عن نصيحة ومساهمة في توصيلها إلى المجد!

ولكن الرجل المشهور الذي تخطى الخمسين ضعف امام الوجه الخمري، ووجد نفسه يستجيب إلى نداء الحب شيئا فشيئا. وهو ينصح الفتاة بالبعد عن السينما والتمثيل. ومع انه كان معتدلا في حبه، على عكس ما كان عليه مع مي وإليس، فقد صور الكثير من أحداث هذه الحكاية وانفعالاته معها في ديوانه «بعد الأعاصير».

قال في إحدى قصائده يلخص غزوة الحب الجديدة:

في توبة الخمسين يشغله ... وجه ويملأ صدره رغبا

وكان يناديها في شعره او يشير إليها بكلمة «بنية»، ولكنه لم يستجب لها إلا بعد ان باذنته بالحب:

لـو لسان قالـه لي ... لم اصدق ما يقول
غير ان الشوق في خد ... يك يسري ويجول

وفي عام ١٩٤٢ اضطر إلى قطع هذه العلاقة عندما سافر إلى السودان خوفا على نفسه من زحف النازية على مصر. فلما عاد في العام التالي استانف ما انقطع، ولكنه مال إلى اسباغ الصداقة على حبه بعد أن تكشف له الشك في الممثلة عن محنة يوشك ان يقع فيها. ومع أن الصداقة جرت معها العداوة أحيانا فقد انتهت القصة نهاية سليمة بانسحابه دون جروح خطيرة. ثم راح يفلسف القصة كلها ويراها كنوع من العقاب، او الجزاء، نزل عليه بسبب ظلمه لحبيبة قديمة:

حبك لا نعمة اراها ... فيه ولكنه جزاءه
من في الصبا جرت في هواها ... من تلك مقبولة الدعاء؟
انت عقابي فهل كفاها ... برح شقائي او الاكتفاء
متى متى ينطوي الكتاب؟ ... متى فراق بلا لقاء؟

تم الفراق على اي حال. ومضت الحبيبة في صعود سلم المجد، حتى صارت النجمة السينمائية السمراء!







قراءة في موضوع «ندوة عن حدود الحرية في التعبير الأدبي»

«الغموض» هو الذي يجعل الأدب منضبطاً بنفسه!

نشرت جريدة «الشرق الاوسط» في ١٩٨٩/٦/٩ مقالا تحت عنوان «ندوة عن حدود الحرية في التعبير الادبي». وسوف ابدا بالادلاء برايي في المشكلة ثم اورد تعليقاتي على المقال. ولقد تحريت الايجاز الشديد، وحذفت كثيرا من الشروح والامثلة والتعليقات، وابقيت المهم والضروري. ورغم ذلك فقد زاد المقال عن الحجم المطلوب. فارجو الا يسبب ذلك مشقة سواء لهيئة التحرير او للقراء.

وبداية لا بد لنا من ان نعترف بان الانسان المبدع الحق (سواء في الأدب او الفن) هو كائن مختلف تماما عن الرجل العادي وان اختلافه هذا يرجع الى ان له رؤية خاصة للواقع مختلفة تماما عن رؤية الرجل العادي. وحيث ان القيم الاجتماعية والسياسية والاخلاقية هي التي تشكل الواقع، فان هذا الانسان المبدع يجد نفسه دائما في حالة ثورة وصراع مع هذه القيم طلبا لقيم افضل.

وهنا تقوم دائما في وجه المبدع عقبة كداء هي. كيف يهاجم قيما تؤمن بها وتجمع عليها عامة الناس؟ وهي مشكلة لم تواجه المبدع المعاصر فحسب وانما واجهت ايضا كل المبدعين منذ اقدم العصور. وقد حسموا هذه المشكلة منذ القدم باستخدام اللامباشرة والرمزية والكلام الذي يفهم على اوجه عدة، فيفهمه المتلقي العادي على الوجه الذي يرضيه، ويفهمه المتلقي المتحرر على الوجه الذي يرضيه ايضا، والذي يرشده الى حدود هذا التحرر، تلك الحدود التي لا ينبغي عليه ان يتعداها. وفي كلمة واحدة: لقد حسموها باستخدام الغموض.

ولقد تسلل الغموض الى عالم الادب لكي يقدم خدمات ثلاث:

اولا: لكي يحمي الجمهور من الراي غير المعتاد والخارق للمألوف.

ثانيا) لكي يقدمه - في الوقت نفسه - للقلة التي تحتاجه وتستمتع به.

ثالثا: وفي الوقت نفسه، لكي يحمي الأديب من غضبة الجمهور.

الأدب اذن هو نشاط انساني منضبط بنفسه. والغموض هو وسيلته الى تحقيق هذا الانضباط. وتبعا لذلك فهو لا يحتاج الى ضوابط خارجية.

والأديب هو اولا واخيرا كائن اجتماعي. والانسان الاجتماعي العادي لا يهاجم الناس هجوما سافرا فمن باب اولى الاديب. الانسان الاجتماعي لا يقول للأعور: انت اعور. ولا يقول للاعمي) انت اعمى. فمثل هذا العمل يخلو من التهذيب والتأدب اللذين ينبغي ان يتصف بهما الانسان الاجتماعي، فضلا عن كونه عملا يدخل تحت طائلة القانون، ولكنه عندما يغلف هجومه بورقة السلوفان، كأن يستخدم الاستعارة او الكناية او التشبيه او المدح الذي يتضمن القدح او حتى النكتة الذكية، فان هجومه يصبح مقبولا ومغفورا. الأعور لا يستثار عندما نقول له: انت ترى الأمور من وجهة نظر واحدة. والأعمى لا يستثار عندما نقول له: انت لا ترى الحقيقة. واذكر في هذا المقام ان عباس محمود العقاد هاجم النحاس باشا رئيس الحكومة حينذاك قائلا له: انت كالساعة المتضبطة، لا تقدم ولا تؤخر.

هذه هي الضوابط التي ينبغي ان يلتزم بها الانسان الاجتماعي عندما يكتب مقالا صحفيا مثلا، اما الاديب المبدع فيلزم نفسه بضوابط اكبر باستخدامه لمختلف انواع الغموض.

وابدأ تعليقاتي على المقال بثلاثة اعتراضات في الشكل:

١ - وردت في عنوان المقال عبارة: «الادب كائن حي لا يقبل الحد او التحديد». واعلق عليه بملاحظات اربع:

الملاحظة الاولى: العمل الادبي الواحد (لا الادب كله) هو الذي يشبه في تركيبه الداخلي الكائن الحي تماما، في وحدته وبنائه وتطوره ونضجه، الأمر الذي لا يتوفر للعمل الفلسفي مثلا. والأدب باعتباره متعدد الوحدات قد يشبه الكائنات الحية جميعا، ولكنه لا يشبه اطلاقا الكائن الحي الواحد.





ندوة عن «حدود الحرية في التعبير الأدبي»

الأدب كائن حي لايقبل الحد أو التحديد

صورة عن المقالة السابقة

الملاحظة الثانية: الحد والتحديد هما تكرار لا يجوز بعامة، وفي العنوان بخاصة. وهو تكرار لا مدعاة له ولا يضيف جديدا. واذا اردنا تكرارا يضيف جديدا يؤكد المعنى يمكننا استبدال كلمة «الحد» بكلمة «التنظيم».

الملاحظة الثالثة: الفعل «يقبل» يلزم تحديد فاعله بحيث يكون «الأدب» لا «الكائن الحي» الذي هو هنا الفاعل الأقرب والمباشر للفعل. فنحن نحدد الادب لا الكائن الحي. ويمكننا ضبط العبارة باضافة «او» قبل الفعل المنفي.

الملاحظة الرابعة: مقولة «الأدب لا يقبل التحديد» لا يمكن قبولها بهذا الإطلاق، لأن الأدب يقبل التحديد في ظرف لا يقبله في ظرف آخر.

وتبعا لهذه الاعتبارات الاربعة فان افضل صياغة للعبارة هي: «العمل الادبي كالكائن الحي، ولا يقبل التنظيم او التحديد من خارجه». وهي بهذا التحدي تعني ايضا انه يقبله من داخله.

٢ - وردت بمقدمة المقال عبارة: «الفنان اكثر الناس حساسية لتناقضات الواقع والعين النافذة التي تلمح جوهر «الواقع». كلمة «العين» هنا لا يجوز ان تكون معطوفة على كلمة «الواقع» لأنها صفة لموصوف بعيد هو «الفنان» ولذلك فالعبارة لا تصح الا باضافة كلمة «هو» قبل «العين» مباشرة.

٣ - وردت ايضا بمقدمة المقال عبارة: «الفنان يختلف مع واقعه منطلقا من حريته في التعبير عن هذا المجتمع الذي يعده ضميره الناقد». والفنان لا يعد المجتمع ضميره الناقد، وانما الصحيح (وهو نفسه الذي يريده الكاتب) ان المجتمع هو الذي يعد الفنان ضميره الناقد. والعبارة لا تصح الا باستبدال كلمة «يعده» بكلمة «يعد الفنان».

اما تعليقاتي على مادة الحوار فقد اخترت أهمها وأوجزتها فيما يلي:

د. عبد المنعم تليمه، يرفض ويهاجم شعارات «الفن للفن» و«الفن للحياة» و«الفن والعصر» و«الفن في المجتمع». والشعارات الاربعة لا تزال حتى اليوم غامضة تماما، ولكننا لو فهمناها على وجهها الصحيح لكملت بعضها، ولتم اللقاء الكامل بينها، ولانقذنا الادباء والفنانين والنقاد من التيه الفكري الذي يعيشون فيه اليوم. ففي مصر منذ عدد من العقود تزعم رشاد رشدي مدرسة «الفن للفن» وتزعم محمد مندور مدرسة «الفن للحياة»، وقامت مساجلات طريفة بينهما لم تخل من اتهامات، وقضايا دونما ادنى اتفاق. وشعارا «الفن والعصر» و«الفن في المجتمع» اللذان ابتكرهما سيادته يضمهما كليهما شعار واحد مشهور هو «المعاصرة» او الحداثة، ويقابله دائما شعار «الاصالة» او الارتباط بالتراث. والشعاران لا يزالان غامضين. والتناقض المزعوم بينهما هو تناقض سطحي وظاهري، فهما مطلوبان دائما للعمل الفني الواحد الذي لن يكون رفيع المستوى الا اذا كان «اصيلا» وفي نفس الوقت «معاصرا».

د. محمد عناني يسأل نفسه سؤالا مهما هو: «هل يستطيع الفنان ان يكون حرا؟ والى اي حد يصل تحرره او تحلله؟» ثم يجيب عليه هكذا: «الفنان ليس حرا بصورة مطلقة. فالحرية المطلقة مثل اعلى ننشده ولا نصل اليه».

وهي اجابة لا تقدم اجابة للسؤال. لا تقدم سوى تعريفات عامة لكل من الفنان والحرية. وهي تعريفات غامضة وتجرنا الى متاهة المثل الاعلى والقيم المطلقة. تلك المتاهة التي يصعب على كل من الاديب والناقد اختراقها، لأنها مبحث فلسفي لا ادبي. الحرية المطلقة لا تفهم على حقيقتها الا عندما نضعها مرة في داخل الانسان واخرى في خارجه. الحرية المطلقة - باعتبارها قيمة داخلية - هي غذاء للروح. تلك الروح التي قد تصل اليه وقد لا تصل. اما الحرية المطلقة - باعتبارها قيمة خارجية (وهي التي يقصدها الكاتب) فلا تعني سوى الفوضى. ولا يمكن ان تكون تلك الحرية المطلقة مثلا اعلى الا لدى الفوضويين الذين لم يصيروا كذلك الا نتيجة لايمانهم الأعمى بها. ان القول بأن تلك الحرية المطلقة هي مثل اعلى ينبغي علينا ان ننشده هو نوع من الافساد والتضليل. ثم كيف ننشد ما لا نصل اليه؟ ولماذا لا ننشد الممكن لا المستحيل؟ المثل الاعلى الذي ينبغي علينا ان ننشده في خارجنا، والذي مكننا الوصول اليه هو «الحرية المحدودة بأقل قدر من الحدود» لا الحرية المطلقة.

اما حمدي سرور فيقول: «الفن كالنهر المتدفق. اذا لم تكن هناك ضوابط تحده فقد يغرق الأرض ويسير بلا هدى، فلا نستفيد من خيراته». والضوابط التي يقصدها هنا هي الضوابط الخارجية. فهو - بصفته مديرا للرقابة - لا يعرف ضوابط سواها. ما اسهل الحديث عن فوائد الضوابط ولكن ما اصعب الحديث عن اضرارها.

ولا يفوتني ان اذكر هنا ان لا رقابة في مصر على الكلمة المقروءة، وتبدأ الرقابة عندما تتحول الى كلمة مسموعة او مرئية. وهو منهج ينحو نحو الحرية. والحرية المحدودة بحدود قليلة هي المطلوبة وهي المنشودة. لهذا فكلما قلت الضوابط الخارجية كلما كان ذلك افضل.

امين محمود العقاد
الزقازيق - جمهورية مصر العربية

اصدقاء الشرق الاوسط

لفت نظر

اود ان الفت نظركم الى الموضوع الذي نشر على صدر صفحة «الدين والتراث» في جريدتكم الغراء العدد ٣٨٥٤ الصادر يوم السبت ١٩٨٩/٦/١٧ وتحت عنوان مناظرة «الشرق الاوسط» الرابعة - كوبلاند يكشف لنا بعض حقيقة الفعل الغربية ومع ذلك فمصلحتنا في الحوار، للكاتب محمود محمد الناكوع.

وبعد قراءتنا للموضوع لم نجد ما يربط بين الموضوع وعنوانه سوى ذكر اسم كوبلاند مرة واحدة وبشكل سريع وباهت مع ان الكاتب اجتهد في محاولة ربط تطور العلاقة بين الغرب والعالم الاسلامي على فكرة «المصلحة» بالذات، فلماذا لم يكرس العنوان (وهو مفتاح المقالة) الى هذه الفكرة وتعميقها؟

حاكم عبد الله نوري
روما - ايطاليا

نجيب المانع

المهدي المنجرة

مشاركات

تابعت باهتمام كبير وقلق المناظرة الرابعة لصفحة الدين والتراث حول علاقة العالم الاسلامي بالغرب في القرن الواحد والعشرين. وقد لفت انتباهي امران اود تسجيلهما:

الأمل هو اشراك «الشرق الاوسط» لكتاب من مختلف المشارب الايديولوجية في الحوار. وسرني بالخصوص مشاركة اسماء مثل نجيب المانع الذي دافع عن الغرب دون تحفظ ومهدي المنجرة الذي نقل الى قرائه هموم المستقبل والمستقبليات. ان مشاركة كتاب غير معروفين بتخصصهم في الشؤون الاسلامية تضفي نكهة خاصة للحوار وجدية مميزة للمناظرة.

في نفس السياق، سررت بنشركم جزءا من راي المفكر المسيحي الدكتور قسطنطين زريق، لأن المعنى الأول لهذه المشاركة ان مستقبل الامة والحضارة الاسلاميتين مثلما كان الأمر منذ قرون عديدة. وقسطنطين زريق بالذات رجل عاقل ومفكر رصين.

واتمنى لكل المناظرات ان تتواصل وتتقدم في هذا الدرب.

امل سعدان - جدة

تعقيب على تعقيب حول الغناء والطرب

هذا ما قالته الائمة حول تحليله وتحريمه

لقد اطلعت على ما كتبه القارىء عصام بشير العوف من جدة ورده على القارىء صبري احمد الصبري المنشور بجريدة «الشرق الأوسط» العدد (٣٨٤٣) الصادر في تاريخ ١٤٠٩/١١/٣هـ وادعاء العوف بأن الغناء حلال واستناده في ذلك على ما صدر من الشيخ محمد الغزالي وادعائه بأن الغناء والطرب ليس حراما بإجماع المذاهب.

فاقول ان هذا افتراء على الائمة رحمهم الله فلم يثبت عن واحد منهم ان احل الغناء وهذا القول ليس له اساس من الصحة ولم يرد لأي منهم قول او راي في اباحة الغناء. فليقرأ معي ما قاله كل واحد من الائمة في الغناء.

فالامام مالك نهى عن الغناء وعن استماعه وقال: اذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ان يردها بالعيب ويقول عن الغناء انما يفعله عندنا الفساق.

والامام ابو حنيفة فانه يكره الغناء ويجعله من الذنوب وقال: استماع الاغاني فسق والتلذذ به كفر والامام الشافعي قال في كتاب ادب القضاء: ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل والمحال، ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته.

واما الامام احمد فقد سأله ابنه عبد الله عن الغناء فقال: الغناء ينبت النفاق في القلب لا يعجبني وقد نص على كسر آلات اللهو. وغيرهم من العلماء.

وقال الامام القرطبي: الغناء ممنوع بالكتاب والسنة. وقال القاسم بن محمد ابي بكر: الغناء باطل والباطل في النار. فكيف يجترىء عصام في تعقيبه ويقول الغناء والطرب ليس حراما باجماع المذاهب، وقال عصام من ضمن تعقيبه ان الشيخ محمد الغزالي قرأ وتبين له ان الغناء ليس حراما فأقول: ان كلام الشيخ لا يحتج به بل انه حجة عليه فكل يؤخذ من قوله ويرد الا رسول الله صلى الله عليه وسلم. فالامام احمد وسليمان التميمي يقولان «لو اخذت برخصة كل عالم او زلة كل عالم اجتمع فيك الشر كله». الم يقرأ عصام قول الله عز وجل «ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين». وقد فسر الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لهو الحديث بأنه الغناء وقد اقسم على ذلك ثلاثا.

واما الاحاديث الواردة في تحريم الغناء فمنها قول الرسول صلى الله عليه وسلم «ليكونن من أمتي اقوام يستحلون الحرير والخمر والمعازف» وحديث يرويه ابو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يمسخ قوم من هذه الامة في اخر الزمان قردة وخنازير قالوا يا رسول الله اليسوا يشهدون ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله قال: بلى ويصومون ويتصدقون ويحجون قالوا فما بالهم قال: اتخذوا المعازف والدفوف والقينات فباتوا على شربهم ولهوهم فأصبحوا قد مسخوا قردة وخنازير» وقال صلى الله عليه وسلم «من استمع الى قينة صب في اذنيه الآنك يوم القيامة» والآنك الرصاص المذاب.

فاستماع الغناء حرام عند ائمة المذاهب وغيرهم من علماء المسلمين ولم يثبت عن واحد ممن يعتد بقوله في الاجماع والاختلاف انه اباح الغناء. وقد حرم الله عز وجل الغناء كما جاء في سياق الآية وتفسير الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لمعنى اللهو، وحرمه الرسول صلى الله عليه وسلم كما تبين ذلك من الاحاديث الواردة اعلاه. وقد الف العلماء المتقدمون منهم والمتأخرون كتبا كثيرة في تحريم الغناء منها على سبيل المثال.

كتاب حكم الاسلام في الغناء لابن قيم الجوزية وكتاب الاعلام بأن الغناء والعزف حرام للشيخ ابو بكر الجزائري، وتوجيهات الى اصحاب الفيديو والتسجيلات للشيخ عبد الله الجار الله فكيف يسوغ لعصام ان يقول ان الغناء والموسيقى والطرب والفنون سمة من سمات هذا العصر لا يمكن للمسلم ان يكون بمعزل عنها.

هل نخالف أمر الله وامر رسوله ونأخذ بما قاله القارىء العوف كيف يتجرأ ان يقول بغير علم ما قال العلامة ابن القيم رحمه الله في كتاب اعلام الموقعين «وقد حرم الله القول عليه بغير علم في الغيب والقضاء وجعله من أعظم المحرمات بل جعله في المرتبة العليا منها». فرتب المحرمات اربع مراتب وبدأ بأسهلها وهي الفواحش وثنى بما هو اشد تحريما منها وهو الاثم والظلم، ثم ثلث بما هو اعظم تحريما منها وهو الشرك به سبحانه، ثم ربع بما هو اعظم تحريما من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم. قال تعالى: «قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون».

علي بن بلال الدرعان
الجوف - سكاكا

قائمة بأسماء الفائزين

مسابقة كلفيناتور/يورك



الفائزون بجوائز مسابقة كلفيناتور - يورك

٢ ـ سعد فهد العتيبي — الوسطى — مطبخ كامل كالفيناتور
٣ ـ عبدرب الرسول علي آل عبيد — الشرقية — خمسة مكيفات يورك
٤ ـ محمد عسيمر مفلح الحربي — الغربية — ثلاجة فودراما/بابين
٥ ـ الدكتور حامد هرساني — الغربية — غسالة ونشافة
٦ ـ محمد جاسم احمد العتيبي — الشرقية — مكيف يورك ميني سبليت
٧ ـ رامون رايس — الغربية — ثلاجة كالفيناتور ٢٠ قدم
٨ ـ محمد اللحيدان — الوسطى — طباخ هارموني
٩ ـ مبارك ابراهيم العميري — الشرقية — فريزر ١٨ قدم
١٠ ـ نوره عبدالله السعيد — الوسطى — غسالة صحون
١١ ـ تيسير عبدالوهاب الرطروط — الشرقية — فريزر قائم
١٢ ـ حسام سيد عطية — الوسطى — مكيف كالفيناتور
١٣ ـ ابراهيم بادموس — الغربية — مطبخ كالفيناتور ايطالي

٥٠ جائزة كل منها عبارة عن مكنسة كهربائية فاز بها كل من :

احمد ابكر مساوي/الغربية ـ محمد هليل قرمان الحربي / الوسطى ـ عبدالحميد الشطيري / الغربية ـ ابراهيم محمد المحميد / الوسطى ـ علي عبدالله شويهين / الشرقية ـ محسن عبدالحميد عقاد / الوسطى ـ فهد محمد العمودي / الغربية ـ رولا عبدالرحمن عبدالعزيز الرباح / الوسطى ـ احمد محمد باموسى / الغربية ـ ممدوح احمد فلمبان / الشرقية ـ مصطفى صفوامار / الغربية ـ محمد حمود علي / الوسطى ـ عبدالرحمن صالح عقيل / الغربية ـ صالح عبدالرحمن البلاع / الوسطى ـ عيسى محمد عبدالله آل رضوان / الشرقية ـ محمد علي سعيد حمزة الورد / الغربية ـ محمد العامر / الوسطى ـ عبدالله نافع الاحمدي / الغربية ـ مسفر العجمي / الوسطى ـ احمد مسفر الغامدي ـ الشرقية ـ عبدالرؤف عبدالرزاق بخاري / الغربية ـ زين عبدالرحمن المخضب / الوسطى ـ محمد عبدالله المحيا / الوسطى ـ عزيز محمد احمد زعروري / الغربية ـ سعدي محمود جراح / الشرقية ـ ناصر الشريف / الغربية ـ محمد عبدالمحسن التويجري / الوسطى ـ محمد حسين الحديني / الغربية ـ سعيد محمد القحطاني / الوسطى ـ معيض حسن جواح / الشرقية ـ ضيف الله عوض الحزيدي / الغربية ـ عبداللهمحمد احمد عسيري/ الوسطى ـ خالد على الانيسي/الغربية ـ ابراهيم عبدالله المشحن/الوسطى ـ رجب خضر سعيد الزهراني / الشرقية ـ علي شوعي محمد / الغربية ـ صالح خالد المطيري / الوسطى ـ احمد بو عطية احمد شلبي / الغربية ـ مازن محفوظ قاضي / الوسطى ـ خالد الهثلان / الشرقية ـ سعيد بداح القحطاني / الوسطى ـ كامل عثمان الدالاتي / الغربية ـ عبدالعزيز على الجربوع / الوسطى ـ احمد بن عبدالله احمد كيم / الغربية ـ علي احمد الغلوي / الشرقية ـ محمد العلي / الوسطى ـ عبدالغني عبدالرحيم الحازمي / الغربية ـ زياد حماد / الوسطى ـ احمد فيض الله اوزر / الشرقية ـ حسين الخطيب / الغربية .

٥٠ جائزة كل منها عبارة عن حنفية الكترونية فاز بها كل من :

ايهاب عبدالله الحميد / الغربية ـ دريهم محمد الدريهم / الوسطى ـ عبدالله احمد باوهاب / الغربية ـ حمدان يوسف الشهري / الوسطى ـ صالح ابراهيم الراضي / الشرقية ـ ابراهيم بخيت خفران الزهراني / الوسطى ـ صالح محمد السلمي / الغربية ـ سليمان اليحيى / الوسطى ـ محمد سليمان مهلبي / الغربية ـ رجعان عصيمي الرويلي / الشرقية ـ علي عبود با خلقي / الغربية ـ عصام احمد ابو الفتوح الغنيمي / الوسطى ـ سعيد جازع الدوسري / الغربية ـ صالح محمد القتام / الوسطى ـ عبدالله حسين باريد / الشرقية ـ محمد ابراهيم الجريفاني / الغربية ـ حسن منسى حسن يوسف / الوسطى ـ محمد بركات الشمراني / الغربية ـ عبدالعليم محمد احمد / الوسطى ـ محمد مرسي / الشرقية ـ زهدي محمد سليمان ماضي / الوسطى ـ نور عبدالقادر باعشن / الغربية ـ عبدالله الحارثي / الغربية ـ محمد عبدالله العدواني / الوسطى ـ علي عباس عجاج / الشرقية ـ محمد عبدالله الازدري / الغربية ـ عادل عمر عيد / الوسطى ـ عصام البدري / الشرقية ـ مدحت محمد علي / الوسطى ـ محمد عائض الجعيد / الغربية ـ احمد مصطفى / الوسطى ـ سعيد حمد الصالحي / الغربية ـ علي ابراهيم منحش / الوسطى ـ عبداللطيف احمد عبدالرحمن المصطفى / الشرقية ـ عياد خلف خشمان الشمري / الوسطى ـ محمد حمزة حلواني / الغربية ـ بدر عبدالرحمن العبدالعالي / الوسطى ـ علي سعيد محمد الزهراني / الغربية ـ ابراهيم علي / الوسطى ـ علي ابراهيم سعد العجيل / الشرقية ـ خيري عبدالرحيم يوسف / الغربية ـ حمد احمد عثمان / الوسطى ـ ضاوي داخل العصيمي / الغربية ـ عطية علي الغامدي / الوسطى ـ معتوق عبدالله عبيد / الشرقية ـ عمادالدين حسن شهقاوي / الغربية ـ حبيب موسوي / الوسطى ـ ميمونة حسين موسى / الغربية ـ نوري السيد محمد هاشم / الشرقية ـ محمد يوسف ابراهيم / الغربية .



على الفائزين مراجعة اقسام المعدّات المنزلية بفروع شركة إبراهيم الجفالي وإخوانه لاستلام جوائزهم

حصيلة ربع قرن من الحماية الفرنسية بالمغرب: التحق بالمدرسة ١,٨ بالمائة ممن كانوا في سن التمدرس، ولم يتجاوز عدد حاملي البكالوريا ؟؟

اضطر الجنرال نوجيس الى تغليف سياسته العدوانية بقناع اصلاحات في عدة مجالات اقتصادية واجتماعية قال عنها انها الوجه المشرق لسياسته. واستبعد منها جميع الخيارات السياسية التي قدر ان ابناء المغرب لا حاجة لهم بها، مطبقا بذلك سياسة رعاية ابوية كان الجنرال ليوطي يفخر قبله بتطبيقها حيال المغرب والمغاربة. وكان الجنرال نوجيس يعتبر نفسه مريدا روحيا للجنرال ليوطي وتلميذ مدرسته.

وقد اعطى الجنرال نوجيس الاسبقية في اصلاحاته لميادين التعليم والادارة والشؤون الاقتصادية.



الحاج محمد المقري والجنرال نوجيس

لم يجب الجنرال على هذا السؤال في التقرير الذي وجهه لحكومته في موضوع الاصلاحات التي خطط لها، لكننا نفهم ان يلتفت بالخصوص الى قطاع التعليم الذي كانت حصيلة عمل الحماية فيه هزيلة ومزرية، بل يمكن القول ان التعليم في المغرب سجل في الفترة المتحدث عنها فراغا مشينا يدين بالفشل سياسة الحماية في هذا الميدان.

فماذا اعد المقيم العام من اصلاح لتلافي هذا الوضع المزري؟ هذا سؤال اجاب عنه عندما قال في تصريح له عن سياسة اصلاح التعليم انه قرر ان يرفع عدد حجرات الدراسة في المدارس والمعاهد لتستوعب السنة الدراسية الجديدة الفا وخمسمائة تلميذ مغربي جديد. فيا للكرم الحاتمي اذا علمنا ان تعداد سكان المغرب سجل سنة ١٩٣٧ ثمانية ملايين نسمة، الشيء الذي اثار خجل نقابة المعلمين الفرنسيين العاملين بالمغرب. فاصدرت بيانا ردا على المقيم العام تقول فيه: «ان المجهود المخصص لفائدة الاغلبية المسلمة في مجال التعليم هزيل وسخيف، وهو يعكس سياسة رجعية تبعث على الخجل ولا تشرف سمعة فرنسا». ومع ذلك جرؤ الجنرال على التصريح بقوله: «ان نتائج سياستي تبعث على الارتياح والتفاؤل في المستقبل».

وهل كان من المعقول ان ينطق الجنرال نوجيس بكلمتي الارتياح والتفاؤل التي تعبر الاحصائيات الرسمية التالية الصادرة عن مكتبه عما يناقضها وهو ما يبعث على السخط والتشاؤم: ففي سنتي ١٩٣٨ و١٩٣٩ لم يتجاوز عدد التلاميذ المغاربة المسلمين الموجودين بالمدارس الابتدائية ٢٣٢٩٢ اي بنسبة ١,٨٪ من مجموع الاطفال الذين كانوا في سن الالتحاق بالمدرسة (او التمدرس)، كما تقول الاحصائيات الفرنسية الرسمية نفسها وتضيف ان نسبة الملتحقين بالمدارس الابتدائية من بين اليهود بلغت ٥٠٪ ممن كانوا منهم آنذاك في سن التمدرس، وانها بلغت مائة بالمائة بالنسبة لابناء الجالية الاجنبية «المحظوظة»، سواء منهم الفرنسيون او غيرهم.

اما في التعليم الثانوي فلم يكن عدد التلاميذ المغاربة المسلمين يتجاوز في السنتين المتحدث عنهما ٥٨٦ تلميذا كانوا يتوزعون بين فاس والرباط، حيث تقول الاحصائيات الرسمية ان المدرستين الثانويتين المؤسستين بهما (مدرسة مولاي ادريس بفاس، ومدرسة مولاي يوسف بالرباط) كانتا تضمان ٤٤٩ تلميذا، وان ١٣٧ تلميذا الباقين كانوا موزعين على بقية المدارس الثانوية الموجودة في سائر جهات المغرب فما اهزلها من حصيلة!

والمجال الاداري

كانت حصيلة عمل الحماية الفرنسية في مجال اصلاح الادارة المغربية وتطويرها هزيلة ايضا بحكم ان نتائج التعليم كانت هزيلة، وبحكم سياسة الميز العنصري التي كانت تحول دون دخول المغاربة للوظيفة العمومية بالادارات والمرافق الحكومية.

فقد اقامت الحماية الفرنسية لاعوانها الفرنسيين والاجانب اجهزة تعمل على شاكلة الادارة العاملة في فرنسا، تتميز بمرافق عصرية، وتهيمن على جميع نشاطات الدولة. واحتفظت للمخزن (الحكومة المغربية) ببنائقه داخل ساحة القصر الملكي بالرباط. والبنيقة في الاصطلاح الاداري المغربي العتيق تعني مكتبا يقوم في حجرة ضيقة مفروشة بزربية (بساط) يجلس الموظف على مستوى ارضها، وامامه مكتبة مستطيلة الشكل لا تتجاوز ٦٠ سنتمترا، عليها يكتب الموظف، وفيها يودع اقلامه ومحبرته ودفاتره وملفاته ووثائقه، ويقفلها بالمفتاح عند مغادرته البنيقة. وكانت البنيقة احيانا تضم في اغلب الاحوال الوزير ومساعديه معا، او تفرد للوزير بنيقة خاصة به. وكان المغرب قد توارث هذه البنائق عن عهوده التاريخية الزاهرة، (وكانت في تلك العهود افضل انماط التجهيزات المكتبية) واحتفظ بها دون تجديد او اصلاح وظلت تعمل بطرق بدائية ضاعفت فقدان فاعليتها.

كان المغرب يبدو بهذين النوعين من الادارة مغربين: مغرب القرون الخالية، ومغرب العصر الحديث. وقد زاد في تباعد الهوة بينهما اقتطاع الحماية الفرنسية حيا كاملا في الرباط بنت عليه اداراتها في شكل عمارات سامقة اقامتها على هضبة مطلة على العاصمة، مما اصبح معه الموظفون المتمتعون بحظوة العمل في هذه الادارات من فرنسيين واجانب مشرفين مراقبين على العاصمة من اعلى، بجميع ما يقتضيه المعنيان المادي والمعنوي. وقد دخل في اصطلاح الادارة الفرنسية تعبير «الهضبة العليا» للاشارة الى هذه الادارات المتميزة بهيمنة مكتبيتها المعززة لحكمها المطلق.

وكانت الاقامة العامة الفرنسية تبرر حرمان المغاربة من العمل في اداراتها بنقصان كفاءاتهم وعدم تأهلهم لممارسة الوظائف التي كانت تعهد بها للفرنسيين والاجانب الذين ترشحهم كفاءتهم وحدها - كما كانت تقول - للاضطلاع بمسؤولياتهم.

وفي عهد الجنرال نوجيس كانت ادارته تدعم هذا التبرير بارقام مخجلة، ذاكرة ان المغاربة الذين حصلوا على شهادة القسم الاول من البكالوريا (شهادة نهاية الطور الثاني من التعليم الثانوي) لم يتجاوزوا ثلاثين، وان من اجتازوا القسم الثاني من البكالوريا كانوا اثنين وعشرين فقط. وهذه شهادة صريحة بافلاس نظام الحماية الذي يعترف بهذه الحصيلة الهزيلة في ميدان التعليم وتكوين الاطر بالرغم من انه كان مر على دخول الحماية للمغرب (سنة ١٩١٢) ربع قرن في سنة ١٩٣٧ التي اعطيت فيها هذه الارقام.

وكانت الحماية الفرنسية قد خططت منذ وصولها للمغرب لتلقين المغاربة تعليما فرنسيا محدود المدى يقف على عتبة التعليم العالي ولا يتجاوزها، ويتوج بشهادة ثانوية مغربية لا تعادل البكالوريا الفرنسية، حتى تسد على المتخرجين منه منافذ الالتحاق بالجامعات الفرنسية والاوروبية. ولم يحدث بالمغرب نظام البكالوريا الا في اواسط الثلاثينات مما ترتبت عليه النتيجة الهزيلة سالفة الذكر.

وتتضاعف صدمة هذه المهزلة اذا علمنا ان مجموع الموظفين (فرنسيين واجانب) الذين كانوا يعملون بهذا النوع من الادارة بلغ سنة ١٩٣٧ حوالي تسعة الاف موظف، وانهم لم يكونوا جميعا حاصلين على شهادة البكالوريا التي اعتبرتها الاقامة العامة شرط وجوب لولوج المغاربة ابواب الادارة، مما يعني تطبيق الحماية الفرنسية سياسة الكيل بميزانين.

في ميدان القضاء

ولم تشمل اصلاحات المقيم العام ميدان القضاء الذي ظل تحت سلطة اعوان الحماية حتى فيما كان يسمى بالقضاء الاهلي (Justice Indigene) (باستثناء القاضي الشرعي)، حيث كان دور موظف القضاء المغربي يقتصر على النطق بالاحكام التي كان يسطرها له المراقب المدني او العسكري الفرنسي الذي كان يجلس بجانبه لا كخبير او مستشار، ولكن كان يتدخل في مداولات القاضي والمتقاضين، ويحمل في يده سجلات القوانين التي لم تكن معربة، اي في غير متناول القاضي المغربي، ويشير الى المادة التي ينبغي على هذا الاخير تطبيقها على النازلة. ويمضي هكذا من مثل امام هذا «القضاء» (الذي لا يعدل ولا يلطف) الى المصير الذي اراده له الحاكم الفرنسي.

وكانت الادارة السياسية الفرنسية - وهي ارهب جهاز في الاقامة العامة بالرباط - تمانع في ادخال اي تغيير على تشكيل واجراءات هذا النوع من «المحاكم» بدعوى ان المغاربة لم يرقوا بعد الى مستوى الانفراد بتسيير القضاء. وباسم وحدة السلطة (الفرنسية) داخل هذه المحاكم كانت تعارض ان يقتصر دور الحاكم الفرنسي على استشارته لاعطاء خبرته.

ويضاف الى هذا الوضع المزري ان هذه المحاكم الاهلية كان يتصدر فيها للقضاء قواد وباشوات وخلفاء (نواب) مغاربة اميون، وفي احسن الظروف اطر انصاف متعلمة لا علم لها بالقانون الذي يراد منها تطبيقه ولا بالمسطرة والاجراءات العدلية المطبقة، وان الذين كانوا يبتلون بمحنتها هم المغاربة وحدهم، فقد كان للفرنسيين والاجانب من مختلف الجنسيات وللاشخاص المعنوية من شركات وجمعيات ومؤسسات اجتماعية واقتصادية محاكمها الخاصة التي كانت تحمل اسم المحاكم العصرية التي كانت تحت سلطة جهاز فرنسي محض.

وقد كان من مسؤولياتي الخطرة في عهد الاستقلال ان ملك المغرب الحسن الثاني عينني وزير العدل سنة ١٩٦٥ بعد ان صوت البرلمان المغربي على قانون يقضي بتوحيد المحاكم ومغربتها وتعريبها ويضرب لوزير العدل أجل ١٨ شهرا ليحقق هذا الانجاز العظيم. وكانت المهمة صعبة اذ كانت تتطلب ايجاد الاطر المغربية واعدادها، وتعريب القوانين، وتوحيد المحاكم، مع الحرص في كل ذلك على توفير قضاء مغربي من مستوى جيد. واحمد الله على ان وفقني فانجزت هذه المهمة الوطنية الخطرة في الاجل المضروب لي، مطهرا المغرب - تحت توجيهات جلالة الملك - من راسبة كبرى من رواسب الاستعمار، ومسهما بهذه اللبنة ذات الحجم الكبير في ارساء قواعد الاستقلال الشامل لبلادي. (سأعود الى تفاصيل هذا الموضوع في ابانه).

«خدعة الاصلاحات»

وفي كل مجال كان يقتضي الاصلاح لا نجد ان المقيم العام قد جرؤ على اقتحامه بروح المصلح الواعي صادق النية، بل ان الذين حللوا حتى من الفرنسيين محتوى ما سماه المقيم العام اصلاحات افضى بهم التحليل الى استنتاج حقيقة فظيعة، هي ان المقيم العام لم يكن مصلحا وانما كان رافضا للاصلاح.

ان «اصلاحات» الجنرال نوجيس كانت اذن اعجز ما تكون عن معالجة وضع التردي الذي انحدرت اليه البلاد حتى لو توفرت نية الاصلاح عند صاحبها، فكيف وقد كانت الاصلاحات مجرد واجهة خادعة لذر الرماد في العيون، وايهام الرأي العام الفرنسي والرأي العام الخارجي ان الحماية الفرنسية جادة في الاضطلاع بمسؤولية الاصلاح التي بررت بها فرنسا هيمنتها على المغرب.

الترويج للاصلاحات

بالرغم من ذلك كله وقف الجنرال نوجيس يوم ثاني يوليو (تموز) ١٩٣٨ امام «البرلمان» الذي صنعته الاقامة العامة ودعته مجلس شورى الحكومة ليقدم بصفاقة نادرة حصيلة اصلاحاته لمدة ستة اشهر.

ولقد بلغ به استبلاد سامعيه الى حد القول: «ان الحماية تفتح باب الوظائف في وجوه المغاربة، وما عليهم الا ان يلجوا الابواب بطريق المباريات او الامتحانات وبنفس الشروط التي تؤهل الفرنسيين للعمل بهاء، واضاف: «وطبيعي أن مراكز المراقبة مقصورة على غير المغاربة، لانها تمس مهمة فرنسا في المغرب التي لا يمكن ان يقوم بها الا ابناؤها. وانه لمنطق غريب ادعاء تسوية المغاربة والاجانب في فرص التوظيف بالمغرب ولكن على نفس الشروط التي لم يكن يتوفر عليها بالفعل الا الفرنسيون والاجانب:

القاه في اليم مكتوفا وقال له
اياك اياك ان تبتل بالماء

وفي فاتح يناير سنة ١٩٣٨ اي بعد مرور شهرين على تشريد رجال الحركة الوطنية واتت المقيم العام فرصة استقبال كبار الاعيان بالمغرب الذين جاءوا لتهنئته بميلاد السنة الجديدة. فأخرجت الاقامة العامة تمثيلية لعب الصدر الاعظم المغربي دورها الرئيسي، اذ ابى الا ان يهنئ المقيم العام على سياسة قمع الوطنيين وعلى اصلاحاته المتوالية لخير المغرب وابنائه، وان يتهم الوطنيين ويحاكمهم وهم في سجونهم ومنافيهم غائبون، وان يقول باللفظ الواحد:

«ولم تزل الاصلاحات يتلو بعضها بعضا حتى قام بعض افراد من الشباب يعارضون انظمة المخزن الشريف ومشروعات الحكومة الحامية وقدموا مطالب لا شأن لهم في التداخل فيها، اذ المخزن الشريف اعرف باحوال الناس، وهو الكفيل بما فيه منفعة الرعية. وما قصدهم بذلك الا تشويش الافكار وايقاد نيران الفتنة وهدم كيان الامن (...) ومازال المخزن يعاملهم بالرفق واللين حتى نالوا مؤقتا حرية الصحافة. وبدلا من ان يصرفوا همتهم في الارشاد بنزاهة ووقار لخدمة الصالح العام اتخذوها آلة للهدم، فأوقف (المخزن) [اي بعد حوادث مكناس والخميسات الخ...] بعض الجرائد المهيجة، ثم انزل العقوبة الصارمة على رؤوس الفتنة ومؤازريهم كل بما يستحقه (...) وبفضل هذا الموقف الحاسم استتب الامن في نصابه وعادت المياه لمجاريها».

هكذا تكلم الحاج محمد المقري كما لو كان رئيس حكومة ذات نفوذ حقيقي، وكما لو كان المخزن الذي كان ينطق باسمه هو صاحب مبادرة قمع الوطنيين. وكان المقري يعرف مبلغ نفوذه لكن كان كالهر يحكي انتفاخا صورة الاسد. وكل ذلك ليغطي على المقيم العام ويبرئه من إثم الخطيئة التي ارتكبها ضد طائفة من المغاربة ولو بوضع مسؤوليتها على عاتق حكومة المخزن في تودد رخيص للمقيم العام.

لكن سخرية القدر شاءت له ان يكون رد المقيم عليه غير متناغم مع اطروحته، فقد قال المقيم العام: «اننا عندما اقدمنا على سلوك خطتنا في قمع الشباب الذين اشرتم اليهم لم نقم الا بواجبنا في السهر على احترام الدين الاسلامي ونفوذ السلطان».

وهكذا برأ المقيم العام بدوره السلطان وحكومته من وزر القمع الذي اراد الصدر الاعظم ان يرمي به على نفسه وعلى الحكومة التي يترأسها، وحول هذا التناقض في موقفي الجانبين حوارهما الى حوار الصم، مما اضفى على التمثيلية الملعوبة في ذلك الحفل صورة المهزلة.

ومع ان هذه الفقرة من خطاب المقيم العام كانت واضحة في الدلالة على انفراده بمسؤولية خطته. فقد ابى الا ان يضيف تفاصيل الاسباب التي كانت وراء سياسة القمع قائلا:

«واريد ان اذكر هنا وبمنتهى الصراحة الاسباب الاساسية التي حملتنا على قمع تلك الحركة التي كانت تخلق اضطرابات في المغرب، فما وقفنا منها موقفنا ذاك الا لان تلك الحركة كانت ترمي الى عدم نفوذ المخزن الشريف والى المس بسلطة ممثليه في المغرب، ولانها حاولت استغلال المساجد والقيام باعمال الفتنة انطلاقا منها، وهذا مخالف كل المخالفة للمبدأ السامي الذي اسست له، ولانها مست كل المساس بنفوذ جلالة السلطان وحرمته الشريفة».

ان الجنرال نوجيس لا يطرح بهذا التصريح مسؤولية سياسته الا على نفسه ويتذرع لتبريرها بما القاه عقد الحماية على فرنسا (التي يمثلها في المغرب) من مسؤولية حماية نفوذ السلطان والمحافظة على الدين الاسلامي.

وكان الاستعمار قد ادخل في قاموس لغته الجديدة عبارات حماية امن المستعمرات وصيانة وحدتها، وحفظ دينها. اليس ان موسوليني الفاشي لقب نفسه حامي الاسلام؟

لغة مهذبة

وبعد مضي شهر ونصف على تبادل الخطب في مناسبة العام الجديد بين المقيم العام والصدر الاعظم سنحت فرصة اخرى للمسؤولين عن الحماية ليعطوا للرأي العام صورة عن نواياهم نحو المغرب بعد قيامهم بما سموه تصفية الوطنيين، ولكن بلغة مهذبة عندما زار الوزير الفرنسي (كاتب الدولة) فرنسوا دوطيسان المغرب فتوجه الى قدماء المحاربين الجمهوريين بهذه الكلمات التي تصور نظرة الحكومة الفرنسية الى الوضع في المغرب خلال سنة ١٩٣٨ التي نتحدث عن ذكرياتها:

«اننا نفهم شدة رغبة المغاربة في الاستفادة من كل ما يشرف شخصياتهم ومن كل ما يزيد في مميزاتهم الاصلية الخاصة، ونفهم حماس شبيبة تتمسك بمبادئنا التحريرية لانارة مستقبلها، ونحن بعيدون كل البعد عن فكرة عتاب اي كان على ما فيه من روح الوطنية التي هي في المغرب كما في سواه من العوامل الموقظة للشرف البشري مادامت لم تتطور الى مبادئ هدامة». وزاد الوزير الفرنسي يقول:

«ولقد تجلت في فرنسا مظاهر العطف بين الاوساط الديمقراطية على ما يسمونه بالوطنية المغربية مادامت محصورة في دائرة المؤسسات القانونية، ومادامت لم تتجاهل ما عليها من واجب الطاعة لجلالة السلطان ومخزنه، ومادامت لم تتناول ما يمس بوجود الحماية نفسها. فاذا كنا تساهلنا مع الذين اضلتهم دعاية ثالبة، والذين عادوا الى رشدهم ووقفوا مع الحقائق بعدما اغلطتهم نظريات كاذبة، فاننا عازمون على ان نقابل بصرامة لا تتزعزع كل محاولة يقوم بها متعصبون تؤدي بالبلاد الى الاضطرابات وتطمع في ان تزيح القاعدة التي بفضلها تمكن المغرب من الانتعاش بصورة ملفتة للانظار».

وقد اغتنم الوزير الفرنسي المناسبة للحديث عن الاصلاحات الفرنسية التي ختم بها خطابه بهذه العبارات: «ان بلادي عازمة على ادخال اصلاحات بعد استشارة المغاربة المتنورين من رجال المخزن. ومن بينهم وفي مقدمتهم دولة الصدر الاعظم السيد الحاج محمد المقري صديقنا المخلص لنا منذ عهد قديم».

في الاربعاء المقبل:
«اعلام معتدل او متجون»

اتحاد الكرة المصري يقبل استقالة لجنة الحكام

القاهرة ـ مكتب «الشرق الأوسط»:

يعقد مجلس ادارة اتحاد كرة القدم المصري اجتماعا طارئا صباح اليوم برئاسة اللواء فاروق ابو العز لبحث الاستقالة المقدمة من اللواء علي قنديل رئيس لجنة الحكام العليا ومعه بقية اعضاء اللجنة وتتجه النية داخل المجلس لقبول الاستقالة على الفور وتعيين لجنة حكام جديدة واقوى المرشحين لرئاسة اللجنة الجديدة المستشار عوض السعدي او صبحي نصير وستضم في عضويتها نهاد محرم واحمد بدوي وزكريا سالم ومحمود عثمان وعبد الرؤوف المرشدي.

وصرح علي قنديل لـ «الشرق الأوسط» ان اتحاد الكرة حاول بوضوح فرض سيطرته على اللجنة قبل بدء عملها خوفا من الشائعات التي انطلقت لتؤكد ان اللجنة اصبحت «مركز قوى» داخل الاتحاد. ولو فكر اعضاء اتحاد الكرة قليلا في انجازات اللجنة في العام الماضي لما حاولوا التدخل مطلقا في عملها لاننا قدمنا لمصر جيلا جديدا من الحكام الاكفاء ولم نلتفت مطلقا لأي مصلحة خاصة، والحقيقة الضائعة في هذا الموضوع ان انتخابات مجلس ادارة الاتحاد الاخيرة تركت اثارا لدى بعض اعضاء الاتحاد يدينون بالفضل لعدد من «الحكام الذين ساعدوهم في الانتخابات» بالاضافة للدور الواضح الذي يلعبه اللواء محمد خليل الديب مدير الاتحاد لابعاد لجنة الحكام. وهكذا يسدل الستار على انجح لجنة حكام تولت مسؤولياتها في السنوات العشر الاخيرة.

● بصعوبة حقق منتخب مصر لكرة السلة فوزه الثاني على فريق جامعة بريد جيبورت الأمريكية في لقائهما الودي الذي اقيم مساء اول من امس في القاهرة ٩٩/١١٣ بعدما كان قد فاز بكل سهولة في المباراة الاولى بالاسكندرية ٨٤/١١١.

الفريق الامريكي ظهر اول من امس ندا قويا لمنتخب مصر لا سيما في الشوط الاول الذي انتهى لصالح مصر بفارق نقطة واحدة ٤٧/٤٨.

ولكن اخذ على الفريقين الضعف الشديد دفاعيا فسهلت مهمة كل اللاعبين في التسجيل. وقد برز منتخب مصر الناشيء الصاعد احمد ابو الفتوح (١٩ سنة) بمتابعته الممتازة تحت السلة وسجل نقطتين بمتابعة اذهلت الجميع فصفق له منافسوه واكد انه خامة ممتازة للفريق المصري.

كما اجاد الآن عطا الله بارتفاع نسبته في رميات القفز البعيدة والمتوسطة ولكن كان واضحا ان المنتخب المصري الذي يستعد للبطولة العربية يفتقر تماما للياقة البدنية وبدا بطيئا في كل الالعاب الفردية والجماعية.

● في طريقها الى دارمشتات في المانيا الغربية تغادر القاهرة غدا بعثة منتخب القاهرة للسباحة للاشتراك في بطولة المانيا السنوية التي ستقام في تلك المدينة. تضم البعثة اللواء خلف الله امام رئيسا وصلاح بشير اداريا ومحمد مرجان مدربا و ١٥ لاعبا هم خالد جاد كريم عادل ورانيا علوي ولبني حمودة (من الاهلي) ومحمد بهاء السيد وتامر عصام الدين ومحمد فاروق وهشام نبيل ولبيب وجيه (من هليوليدو) ومحمد توفيق (من المعادي) ومحمد مبارك ووائل صلاح وراندا عبد الوهاب (من هليوبوليس) وتامر ابو السعود وريهام هاني (من الجزيرة).

● في سابقة جديدة من نوعها تقدم اشرف حلمي لاعب نادي الزمالك ومنتخب مصر لكرة الطاولة بشكوى الى مجلس ادارة اتحاد اللعبة يتهم فيها صلاح خير الدين عضو مجلس ادارة الاتحاد ورئيس بعثة المنتخب المصري في بطولة صدام حسين الاخيرة بالعراق

التي شارك فيها اشرف بانه ظلمه في تشكيل المنتخب وظلمه ايضا في قرعة مباريات الفردي لما وضعه كالرقم ٣ في المنتخب بدلا من وضعه الطبيعي كالرقم واحد. بالاضافة الى معاملته بصورة غير طيبة وهو الامر الذي ادى الى تشاجرهما.

● غادر القاهرة ظهر امس في طريقه الى عمان المنتخب المصري لالعاب القوى للاشتراك في ماراثون مجلس التعاون العربي الاول الذي ينظمه الاردن يوم الجمعة المقبل لمسافة ٢١ كيلومترا «نصف ماراثون» وتضم بعثة مصر وفاء حافظ رئيسا والمتسابقين محسن الصياد (من غزل المحلة) وكامل طه (من الاسماعيلية) واحمد الليثي (من سموحة).

عدنان جمجوم رئيساً لنادي الاتحاد والانتخابات أسفرت عن خروج الرحيمي

جدة ـ مكتب «الشرق الاوسط» ـ من عبد اللطيف ابو علامة:

أخيراً، وبعد مداولات واخذ وعطاء استمرت قرابة الشهرين، اختار الاتحادي في الجمعية العمومية غير العادية للنادي مساء امس رسميا الدكتور عدنان محمد رشيد جمجوم رئيسا لنادي الاتحاد للفترة المقبلة بعد فوزه بالرئاسة بالتزكية كونه المرشح الوحيد، وباجماع اعضاء الجمعية العمومية أصحاب بطاقات العضوية الذين سيحق لهم التصويت. كما تم التصويت للأعضاء الستة لمجلس الأدارة وهم: المهندس حسن جمجوم نائب الرئيس، وعضوية كل من عبد البديع لاري، فؤاد أكبر، خالد مرزوقي، فهد الشيباني، وأحمد نصيف.

وكانت الجمعية العمومية للنادي قد بدأت أعمالها في الساعة ٨,٤٠ بكلمة للدكتور عبد الفتاح ناظر الرئيس السابق لنادي الاتحاد وعضو الاتحاد السعودي لكرة القدم، وبحضور سعيد الغامدي مدير المكتب الرئيسي لرعاية الشباب في المنطقة الغربية.

وأعضاء مجلس الشرف في النادي وأعضاء مجلس الادارة الجديد يتقدمهم الرئيس الدكتور عدنان جمجوم.

كما حضر الجلسة الأعضاء الذين يلحق لهم التصويت ويحملون بطاقات عضوية النادي المسجلة رسمياً في رعاية الشباب.

وجاء جدول الأعمال على النحو التالي:

١ـ تقرير مجلس الادارة عن أعمال النادي.
٢ـ تقرير مراقب الحسابات.
٣ـ التصديق على الحساب الختامي.
٤ـ التصديق على مشروع السنة المالية المقبلة.
٥ـ اختيار ثلاثة أعضاء للمساعدة في عملية الانتخاب.
٦ـ انتخاب رئيس مجلس الإدارة.
٧ـ انتخاب اعضاء مجلس الادارة.

وبعد أن قرأ الدكتور ناظر تقرير المراقب للحسابات وتم التصديق على الحساب الختامي ومشروع السنة المالية المقبلة، تم اختيار ثلاثة اعضاء للمساعدة في عملية الانتخاب للرئيس ولأعضاء مجلس الادارة الستة بالاضافة إلى الدكتور مؤمن رحيمي (عضو مجلس الادارة السابق) الذي رفض تقديم استقالته ورشح نفسه من خارج الادارة الجديدة، ثم تمت عملية التصويت السري على أعضاء مجلس الادارة، أعلن بعده سعيد الغامدي نتيجة التصويت التي جاءت كالتالي:

عبد البديع لاري ٤٠ صوتاً.
حسن جمجوم ٣٩ صوتاً.
خالد مرزوق ٣٩ صوتاً.
فؤاد اكبر ٣٩ صوتاً.
محمد الشيباني ٣٤ صوتاً.
احمد نصيف ٣٢ صوتاً.
مدني رحيمي ١٦ صوتاً.

وقد تم استبعاد عدد ٤ اصوات لامتناع اثنين منهما على التصويت وعدم قانونية الآخرين.

البطولة البريطانية لكرة المضرب ـ ويمبلدون ٨٩:

جراف ونافراتيلوفا في نصف النهائي

لندن ـ «الشرق الاوسط»:

تقدمت البطلة الالمانية الغربية ـ لاعبة العالم الاولى ـ شتيفي جراف ومتحديتها الرئيسية البطلة الامريكية مارتينا نافراتيلوفا بثقة الى الدور نصف النهائي لفردي السيدات في البطولة البريطانية الدولية المفتوحة لكرة المضرب في ويمبلدون.

فقد تغلبت جراف على منافستها الفتية الاسبانية آرنتشاسانشيز ٥/٧ و٦/١ مع العلم انه سبق لسانشيز أن هزمت جراف في نهائي البطولة الفرنسية «رولان جاروس» في باريس اخيرا.

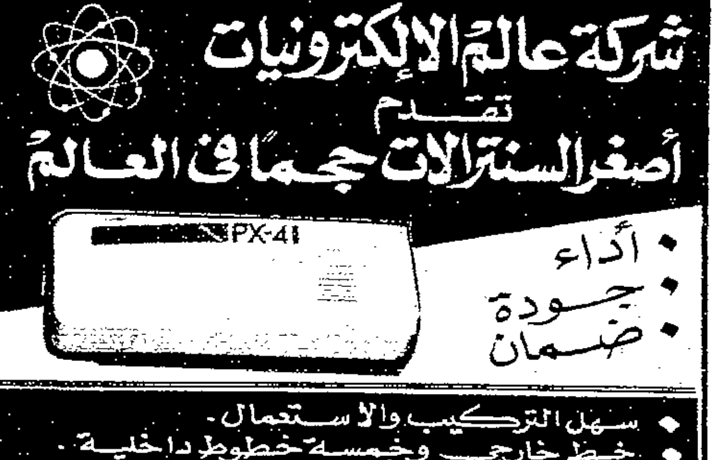
وتغلبت نافراتيلوفا دون ادنى صعوبة على مواطنتها جريتش ميجرز ٦/١ و٦/٢.

من جهة اخرى اصبحت السويدية كاتارينا ليندلفيست (غير مصنفة) اول لاعبة سويدية تبلغ نصف نهائي فردي السيدات في ويمبدون بفوزها على الجنوب افريقية روزالين فيربانك ٧/٥ و٧/٥.

اما البطلة الامريكية العالمية كريس ايفرت فقد هزمت الايطالية لاورا جولارسا بعد معركة طويلة ٦/٣ و٢/٦ و٧/٥.



مارتينا نافراتيلوفا



عبد الله الشويخ فنان بالفطرة ولوحاته الزيتية معلم من معالم تطوان

ظل يرسم في دكانه حتى انفض عنه الزبائن

الدار البيضاء ـ «الشرق الاوسط» من المفضل الخضري:
يلاحظ الزوار لمدينة تطوان انتشار عدد كبير من اللوحات الفنية الزيتية الجميلة في مختلف الاماكن العامة والتجارية وحتى الخاصة في المدينة التي تميزها صبغة واحدة وهي تصوير الواقع والطبيعة المغربية في هذه المنطقة.
وتزداد الدهشة عندما يعلم المرء ان هذه الكمية الكبيرة من الرسوم هي من ريشة فنان واحد ابن هذه البيئة.

ففي وطننا العربي الكبير رجال يبدعون، وفنانون كبار يساهمون في اثراء التراث العربي خاصة والانساني عامة، وهم بذلك يقدمون الدليل القوي على ان العربي انسان خلاق مبدع يساهم بدوره في بناء صرح الحضارة الانسانية المعاصرة في شتى مجالات الفكر والثقافة والفن وهم فقط بحاجة الى اكتشافهم وتشجيعهم حتى تستفيد الامة العربية من اعمالهم حاضرا ومستقبلا.

عبد الله الشويخ، يعرفه الناس في مدينة تطوان شمال المغرب، محترفا لفن الرسم الذي يعيش منه. اعتادوا على رؤيته امام لوحاته، يعرضها على الرصيف منذ ثلاثين سنة، في هدوء وبساطة وصمت وحده بعيدا عن اضواء الصالونات وبريق الدعاية وبلاغة الالفاظ. لا يعرف غير الرسم تاركا الكلام لمن يحسنه، لانه يحسن فقط كيف يرسم لوحة تناسقت فيها الالوان وتعمقت فيها الظلال.

أحس الشويخ بميل شديد الى فن الرسم منذ طفولته وهو لازال في قريته حوزتطوان عندما فتح عينيه عام ١٩٣٨ على طبيعة القرية الجميلة المشرفة على البحر المتوسط، حيث تعانق زرقة البحر خضرة الوديان. هذه المشاهد اليومية شكلت له المدرسة الاولى في الفن، فتعرف على الالوان الحقيقية في الطبيعة، فعمق ذلك احساسه بالجمال الطبيعي والحياة من حوله.

يتذكر الشويخ انه كان في قريته يمارس لعبة الرسم بوسائل بسيطة كالتخطيط على الجدران ونقش اشكال ورسومات لبعض الحيوانات الاليفة، واحيانا كان يرسم على الورق العادي وقد يكون ورق السكر او غيره.

كان يشعر كما يقول بميل شديد نحو الرسم والالوان. فعندما دخل لاول وهلة الى المدينة انبهر بالاحياء القديمة وما فيها من حركة الناس وانماط عيشهم. كما اعجب كثيرا بدروبها الضيقة وظلالها ورطوبتها ورائحتها العتيقة وحجارتها المتآكلة وابوابها واقواسها التاريخية القديمة. كان ذلك اكتشافا جديدا في حياته ولازال مستمرا الى اليوم متجليا في اعماله المتعددة التي لا تتوقف.

حاول في بداية الامر ان يعمل في التجارة، وكان يحلم ان يقيم في المدينة القديمة، فاكترى دكانا لبيع المواد الغذائية، في درب شعبي يعرف حركة دائبة وتكثر فيه المطاعم الشعبية التي يرتادها بسطاء الناس والبدو.

غير ان ميله الى الرسم شغله عن التجارة وصار يقضي يومه في رسم الاشياء المعروضة بدكانه كالقناني وعلب السكر والشاي واشياء اخرى، فانشغل عن الزبائن بالرسم، واصيبت تجارته بالكساد، فأغلق الدكان وانزوى للرسم مستمتعا بمزج الالوان، واجدا في ذلك سعادته ونشوته.

انه يبيع الآن ما يرسمه ليعيش ويعيل اطفاله التسعة. اولائك الذين يتحلقون حوله خلال عمله، فلا يتضايق من حركتهم وضجيجهم في حجرة صغيرة يستغلها للرسم والجلوس والاكل. انه سعيد بعمله الى حدود العشق، ويمارسه بصبر وصمت في حي شعبي على هامش المدينة. لا تراه الا وهو يحمل لوحاته متنقلا من شارع الى آخر حيث تكثر حركة المرور. فترى الناس متحلقين حول اعماله، منبهرين بدقة تصويره وبريق الوانه واصالة موهبته.

لقد رسم في مسيرته الفنية اكثر من (٢٠٠٠ لوحة) موزعة على جميع انحاء العالم، فلوحاته كما يقول توجد في كل من ايطاليا وفرنسا واسبانيا والمانيا وهولندا، وغيرها من البلدان.

اما في مدينة تطوان فقلما تجد مقهى او مطعما او ناديا او مجزرة او محلبة ليس بها عمل من اعماله حيث تضفي عليها مسحة من الجمال والبهجة بالوان يمكن مقارنتها بالوان هنري روسو الرسام الفطري الفرنسي. غير انه يفضل اعماله عن المدينة

ـ عبد الله الشويخ يعرض احدى لوحاته.

ويبدع فيها ابداعا، فعندما تتحدث اليه يكتفي بالابتسام، فهو قليل الكلام، غير انك يمكن ان تجد في عينيه لغة خاصة هي اقرب الى لغة الالوان في لوحاته المليئة بالعمق، والظلال، والبريق.

لوحاته يقتنيها الناس على اختلاف مستوياتهم، ويعشقها الجميع ابتداء من المواطن العادي حتى كبار الفنانين. لا يعرف المدارس الفنية ولا تاريخ الفن ويجهل اسماء الفنانين، يذكر فقط: بيكاسو، وغويا. كما سمع عن اللوحة التي بيعت بثمن فاحش ولا يعرف صاحبها. يعجبه فقط الرسم الواقعي.

يبقى عبد الله الشويخ فنانا يرسم المدينة القديمة يشده اليها حنين قوي يتجلى في اعماله المتكررة وهو ينقل الى لوحاته تلك الدروب العتيقة حيث تقام الاسواق الشعبية التي يؤمها الفلاحون في زيهم الجبلي الجميل يعرضون انتاجهم القليل من جرار اللبن وثوم وبصل وورود وفاكهة.

تلك هي موضوعاته. يضيف اليها تلك الدروب المنزوية الصامتة التي تفضي الى ازقة مسدودة او ممرات ضيقة. كل ذلك يتم بمهارة ونكران للذات وصمت هو اشبه بصمت الخجولين من الناس.

بلا حدود

عمانيات (٣)

من مجموعة قرى ساحلية للصيادين الفقراء لا يميزها سوى قلعة بناها الاستعمار البرتغالي. ظهرت مجموعة المدن التي تشكل ما يسمى الآن بالعاصمة العمانية ـ اي مسقط.

وكما اشرت في مقال سابق فان مسقط تمتد من مطار السيب الدولي ولاكثر من خمسة وثلاثين كيلومترا يمينا وشمالا وشرقا وغربا. ولا ابالغ وقد رأيتها تتمدد كبطل رواية رحلات جلفر ـ بدون القيود التي كبلته ـ ان العاصمة شيدت من عدم بشيك على بياض.

لكن حديثي اليوم لا يختص بالعاصمة فقد اشرت اليها بسرعة من قبل بل ان ظاهرة عودة الشعب العماني الذي تشرد لعدة عقود في اراضي الناس الى بلاده بعد تولي السلطان قابوس الحكم رسميا في عام ١٩٧٢ عند وفاة والده سعيد بن تيمور في لندن. كان قابوس في الثانية والثلاثين آنذاك يقيم في صلالة بولاية ظفار المتاخمة لليمن الجنوبية والتي اثارت القلق في عمان بعد عام ١٩٦٧ بتأييدها ومساندتها وتمويلها لما كانت تسمى حركة تحرير عمان والخليج العربي. وهي احداث تاريخية عربية من العبث تجاهلها.

عاد قابوس الى القرية النائمة مسقط التي افتقرت الى كافة مقومات اي عاصمة في العالم انذاك بما فيها كيجالي عاصمة رواندا او اولان باتور عاصمة منجوليا.

فأعلن الغاء كل القيود التي كانت مفروضة على الشعب العماني وكانت بعضها في غاية الظلم والاسفاف منها مثلا وجوب حملهم فوانيس اذا ما تجولوا في الليل وإلا تعرضوا لاطلاق نار العسس. ومنها انه لا حق لهم في قيادة سيارات الا نوع لاندروفر البريطاني على شرط ان تكون مستعملة. ومنها عدم بناء بيوت تزيد عن دورين وطبعا حظر انواع من التجارة والانشطة الانسانية الاخرى بالاضافة الى انعدام التعليم والخدمات الصحية والطرقات والترفيه.

وكانت النتيجة البديهية لاوضاع لم تشهد مثلها شعوب القرون المظلمة في اوروبا ان كل عماني قادر على الهرب ترك بلاده واهله وراح يجوب الارض باحثا عن الرزق في بلاد الناس مضطرا غالبا الى قبول ادنى المعاشات او الوظائف ليضمن لقمة شريفة ويبعث بجزء من معاشه الى اهله.

اعلن قابوس، وهو خريج معهد ساندهرست للعلوم العسكرية الشهير خارج لندن وطالب علوم سياسية ـ حكم محلي ـ بعد قضاء عدة سنوات في بريطانيا، الغاء كل القيود واعادة بناء عمان. وبفضل من الله ولتكدس الاموال التي لم تنفق من قبل وتركت بعضها طعاما للفئران في الخزائن، وضع قابوس خطة بناء محكمة تشعر الزائر وكأنها اخذت بعين الاعتبار موقعا لكل حجرة في العاصمة.

ولكنه وقبل واهم من ذلك كله اطلق دعوة صريحة ومخلصة الى كل عماني في الخارج بالعودة الى وطنه بدون قيد او شرط واحتلال المركز الذي يناسبه ويستطيع من خلاله ان يقدم اجمل ما لديه.

وعادوا بالآلاف مع مواهبهم وخبراتهم واموالهم من زنجبار بافريقيا الى جوادر بباكستان ومن الكويت الى السعودية وبريطانيا. وبدأت تجربة مثيرة في البناء من العدم بأقل كمية من الزعيق لأن قابوس لا يتكلم الا قليلا ولا يتباهى الا نادرا عندما يتحدث بنعمة ربه وكانت حقا نعمة كبرى.

فاروق لقمان

رسم خريطة لمناطق الجذب السياحي في مصر

القاهرة ـ مكتب «الشرق الاوسط»:
انتهت المجالس القومية المتخصصة، من وضع حصر شامل للثروة السياحية والاثرية في مصر تضمن تحديدا للمعالم الحضارية والثقافية في المحافظات كنواة لعمل خريطة سياحية. تكون بمثابة اطار للمشروعات لخلق مناطق الجذب السياحي.

ودعا تقرير المجالس القومية المتخصصة الى الاسراع باجراء الحفائر في الاماكن التي اصبحت هدفا للصوص الآثار قبل غيرها من المناطق الاثرية الاخرى، واقامة متحف مفتوح في المنيا.

واوصى التقرير بضرورة العمل على انشاء متحف اقليمي بكل محافظة يضم اهم آثارها ونماذج مطابقة لأهم الاكتشافات الحديثة، والاهتمام بانشاء وتشجيع عرض المشغولات اليدوية

هذا اليوم في التاريخ

٥ تموز (يوليو)

جمال الحسيني

في مثل هذا اليوم قبل سبع سنوات، اي في ٥ تموز (يوليو) سنة ١٩٨٢، توفي في بيروت المناضل الفلسطيني الكبير جمال الحسيني الذي قضى حياته في خدمة القضية الفلسطينية والعمل لاجلها.

ولد جمال الحسيني في القدس عام ١٨٩٢، ودرس في المدرسة الانكليكانية بها. ثم التحق بالجامعة الامريكية في بيروت سنة ١٩١٢. ولكنه لم يقض فيها سوى عامين عاد بعدهما الى القدس لان الجامعة اغلقت ابوابها عند نشوب الحرب العالمية الاولى، وعين بوظيفة في ادارة الاحتلال البريطاني، ثم استقال منها وافتتح في القدس مكتبا للترجمة.

انضم جمال الحسيني الى الحركة الوطنية الفلسطينية، وشارك في مقاومة الانتداب البريطاني والغزو الصهيوني، وفي سنة ١٩٢١ اختير سكرتيرا للجان التنفيذية التي كانت تنبثق من المؤتمرات العربية الفلسطينية. وفي سنة ١٩٢٨ اصبح سكرتيرا للمجلس الاسلامي الاعلى الذي تراسه الحاج محمد امين الحسيني، كما كان عضوا في الوفد الفلسطيني الذي قام بجولة في بعض البلاد الاسلامية لشرح القضية الفلسطينية والاخطار الصهيونية التي تهدد ذلك الجزء من الوطن العربي.

واختير عضوا في الوفد الفلسطيني الى لندن عام ١٩٣٠، وكان الوفد برئاسة الحاج محمد امين الحسيني. ثم سجن مع آخرين في عكا على اثر اشتراكه في تنظيم المظاهرات الكبرى التي سارت في القدس ويافا وبقيادة موسى كاظم (باشا) الحسيني في تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٣٣ وكان لها دوي واسع في الوطن العربي والاوساط البريطانية والصهيونية.

وبعد تفكك اللجنة التنفيذية العربية في سنة ١٩٣٤ نظم جمال الحسيني «الحزب العربي الفلسطيني» واختير رئيسا له وكان احد ممثليه في «اللجنة العربية العليا» التي انشئت في سنة ١٩٣٦، وتراس الوفد الفلسطيني الى لندن في تلك السنة. ولما حلت السلطات البريطانية «اللجنة العربية العليا» ونفت بعض اعضائها الى جزيرة سيشل، توارى جمال الحسيني عن الانظار بعض الوقت، والتحق سرا بالحاج محمد امين الحسيني في بيروت، ثم سمح له بترؤس الوفد الفلسطيني الى مؤتمر الطاولة المستديرة في لندن في شباط (فبراير) عام ١٩٣٩ وحضره ممثلون عن الدول العربية المستقلة، وكان جمال الحسيني المتكلم عن الوفود العربية جميعها في هذا المؤتمر.

جمال الحسيني

ولما اندلعت الحرب العالمية الثانية ذهب جمال الحسيني الى العراق مع عدد من المناضلين العرب الاخرين، وايد حركة مايس سنة ١٩٤١ (المعروفة بحركة رشيد عالي الكيلاني) وانتقل الى ايران بعد اخفاقها. الا ان البريطانيين تمكنوا من القبض عليه في طهران. ونفوه مع عدد من قادة الحركة الاخرين الى روديسيا، حيث قضى اربعة اعوام.

واطلق سراح جمال الحسيني في سنة ١٩٤٥ وسمح له بالعودة الى فلسطين في سنة ١٩٤٦، وكانت الحرب قد انتهت. فاستأنف نشاطه السياسي واعاد تشكيل «اللجنة العربية العليا»، ولكن هذه اللجنة لم تعمر طويلا بسبب الخلافات الحزبية بين اعضائها. فتدخلت جامعة الدول العربية في الامر، وتقرر في مؤتمر بلودان الذي عقدته الجامعة تاليف «الهيئة العربية العليا» التي حلت محل «اللجنة العربية العليا» وكانت امتدادا لها. واختير لرئاستها الحاج محمد امين الحسيني الذي كان انذاك في المنفى، كما اختير جمال الحسيني نائبا للرئيس، وبهذه الصفة تراس عددا من الوفود الفلسطينية الى اجتماعات جامعة الدول العربية، ووفد الهيئة العربية العليا الى لندن، ووفدها الى اجتماع الامم المتحدة اثناء عرض قضية فلسطين في سنة ١٩٤٧.

وقد رفض جمال الحسيني مشروع التقسيم الذي تبنته الامم المتحدة وحث الفلسطينيين على الحيلولة دون تنفيذه بالقوة.

وبعد نكبة فلسطين في عام ١٩٤٨ غادر جمال الحسيني الى القاهرة حيث اشترك في «حكومة عموم فلسطين» برئاسة احمد حلمي باشا، وفي المؤتمر الفلسطيني في غزة عام ١٩٤٨. ثم انتقل الى بيروت وتابع نشاطه داخل الهيئة العربية العليا، واخيرا ذهب الى المملكة العربية السعودية وعين مستشارا للملك سعود، الى جانب عمله في التجارة، وتوقف عن النشاط السياسي المباشر، الا فيما كانت الحكومة السعودية تستشيره فيه مما يتعلق بقضية فلسطين.

عرف جمال الحسيني طيلة حياته السياسية برزانته ورجاحة عقله ومعالجته المشاكل بهدوء واتزان، ولذلك كان محل احترام جميع الاوساط والشخصيات التي اتصل بها وعمل معها. وتوفي في بيروت عن تسعين عاما، في مثل هذا اليوم قبل سبعة اعوام.

نجدة فتحي صفوة

في كل مكان

● طلال ضليمي مدير عام «تهامة المنى» الدولية عاد الى جدة بعد مشاركته في اجتماعات الندوة التي نظمها مؤخرا فرع الجمعية الدولية للاعلان في الامارات واقيمت في دبي، وجرى خلالها دراسة اقتراحات العاملين في حقل الاعلان في دول الخليج حول مواصفات البحث الميداني الاول للوسائل في المملكة العربية السعودية.

كما اعيد تقديم اهم المحاضرات التي قدمت من دول الخليج خلال مؤتمر آفاق الاعلان الثاني الذي اقيم في مايو الماضي في القاهرة.

وشارك الاستاذ ضليمي ببحث عنوانه: «اسلوب الاتصال العربي.. هل هو موجود» وقد ركز البحث على دراسة الانماط السلوكية للمستهلك العربي وطبيعة اتجاهاته وتعددها ومدى الحاجة الى اساليب اتصال عربية تتفهم تلك المتغيرات.

● العقيد المتقاعد طه محمد سعيد خضري يغادر جدة وبرفقته العائلة لقضاء اجازة الصيف في القاهرة.

***

● استضافت جمعية السيدات المسلمات المصرية مفيدة عبد الرحمن المحامية في ندوة نظمتها عن الخسائر التي تلحق بالاسرة التي يقع احد افرادها ضحية للادمان.

وقد طالبت مفيدة عبد الرحمن اعضاء الجمعية بتخصيص الجزء الاكبر من اوقاتهن في العمل بتوعية مختلف الاسر بخطورة هذه السموم الهدامة.

● السيدة عبلة حرم السفير العراقي في المغرب سمير النجم وجهت دعوة الى مجموعة من سيدات المجتمع المصري اللاتي تعرفت عليهن خلال فترة عمل زوجها في القاهرة سفيرا لبلادها في مصر وذلك في اطار توطيد العلاقات التي تحرص عليها حرم السفير العراقي في المغرب مع صديقاتها.

***

● تلقى مستشفى الدكتور سليمان فقيه رسالة شكر من منظمة الامم المتحدة لرعاية الاطفال (اليونيسيف) لمساهمته الفعالة في برامج المنظمة من اجل مكافحة امراض الاسهال والنزلات المعوية من خلال مشاركة الدكتور عهدي عامر استشاري طب الاطفال في المستشفى والخبير في هيئة اليونيسيف ومنظمة الصحة العالمية في وضع هذه البرامج ومتابعة تنفيذها.

ندوات

ندوة في طنجة

حول مشكلات الترجمة المهنية في العالم العربي

«الرباط ـ «الشرق الاوسط»:
نظمت مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بتنسيق مع الفيدرالية الدولية للمترجمين وبتعاون مع اليونسكو مائدة مستديرة في الفترة ما بين ١ و٣ يونيو (حزيران) ١٩٨٩ في موضوع «مشكلات الترجمة العربية المهنية واسهام التكنولوجيا الحديثة في معالجتها». تميزت جلسات اللقاء بمشاركة مكثفة من قبل المعنيين بهذا المجال.

ابتدأت الندوة بمداخلة عبد الله عميد من اليونسكو (باريس) تناول فيها وضعية المترجم القانونية في البلاد العربية، مذكرا بمراكز تكوين المترجمين والاعمال المنجزة والهيئات التي يمارس لها المترجم مهنته، مشيرا الى ندرة مؤسسات التكوين المتخصص وخلص الى ان العالم العربي مازال يفتقر الى قانون ينظم هذه المهنة ويقننها، ودعا الى ضرورة التنسيق بين مؤسسات الترجمة، ووضع قانون يحمي حقوق المترجم والعمل على توعية الراي العام العربي باهمية المترجم.

وقد تناول علي القاسمي (اسيسكو) في مداخلته الصعوبات التي تواجه المترجم العربي كضيق الوقت وعدم جودة المعاجم الثنائية اللغة وندرتها، وذكر بمشكلة عدم تداول المصطلحات العربية الموحدة، كما تساءل حول مدى اهمية المواد المدرسة في مؤسسات الترجمة بالنسبة لتكوين المترجم.

وتعرضت كلمة محمد الدايداوي من اليونيدو (فيينا) للشروط الواجب توفرها في المترجم كي يلتحق بمنظمة الامم المتحدة، كما ابرز المتدخل الدور الكبير الذي يقوم به المراجع في الامم المتحدة واقترح تدريب ابناء المهاجرين العرب على الترجمة لأنهم ادرى الناس في المهجر باللغة العربية هذا فضلا عن كونهم يتكلمون لغات أخرى.

وتطرق السيد هيثم صفر (جامعة مونس ببلجيكا) للدور الذي يلعبه المترجم في التواصل ونقل الخطاب مشيرا الى الامكانيات اللغوية للغة العربية الأمر الذي يجعلها في غنى عن اللجوء الى الاقتراض من اللغات الاخرى.

واعطى سعيد علوش من كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، لمحة تاريخية عن الترجمة الادبية والادب المقارن في العالم العربي. وقسم بحثه الى ثلاث مراحل معتمدا على بعض الاحصائيات.

أما السيد نايف خرما من جامعة الكويت فقد اشار الى ان الاختلاف الحاصل في البرامج التعليمية بالدول العربية هو اختلاف طبيعي ناتج عن مجموعة من العوامل منها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ودعا الى الاهتمام بمترجمي الادب.

مثل اليوم

ـ الجامع يجمع والمفرق يفرق.

أبيض و أسود

من أجل السياسة

لو ان كل بلد تحدد اهميته وفقا لاهتماماته لتوجب علينا ان نضع بلدا مثل الولايات المتحدة بعد سيرلانكا وبنغلاديش. فالذي يتابع الصحف وانباء الاذاعة والتلفزيون الامريكية يظن ان هذا البلد يعيش في مكان بعيد خارج الكرة الارضية. فالرأي العام مشغول بقضية حق المراة في الاجهاض من عدمه. مشغول بقضية حق المراة في ارضاع طفلها في الاماكن العامة ام ان هذا يعد من الاساءة للذوق العام او ربما يقع تحت طائلة الاخلال «بالآداب العامة». وقضيته الاولى هي مسالة حرق العلم، هل هو جرم يحاسب عليه القضاء ام انه يدخل تحت بند حق التعبير العلم. وهل يفترض ان تبادر الشرطة الى ملاحقة الناس الذين يحملون الاعلام على ملابسهم الداخلية او يزينون بها احذيتهم وكلابهم؟ ام ان هذا يدخل تحت باب الحقوق الشخصية؟

كنت اظن اول مازرت الولايات المتحدة ان هذه الامة الثرية القوية تتابع انباء العالم وتهتم على كل المستويات، على الاقل، بالاوضاع السوفييتية التي تمثل الند الاول للبلاد. كنت اظن ان انباء التطوير الذري والتقني العسكري في مقدمة اهتمامات الاغلبية المتعلمة. لكن لا شيء من هذا القبيل كان حقيقة. فالولايات المتحدة تشبه بشكل او بآخر اي دولة في العالم. فاهتمامات عامة الناس لاتتجاوز حاجاتها اليومية. واذا فاضت الحاجات الاساسية انشغلت بالامور العادية، بل بتوافهها. الفارق الوحيد بيننا وبينهم ان نسبة متابعتنا لانبائهم التافه منها والعظيم تتجاوز ملاحقتهم لها.

قلت لصديق لو ان العالم العربي حرم من شغفه بالسياسة او احبها باعتدال لعاش هانئا مستقرا ولوجد الوقت الكافي لتأمل اموره الشخصية وامور مجتمعه الصغير. في العالم العربي حب غريب للسياسة لا يفوقه حب آخر. فالجميع يعتبرون المسائل السياسية من خصوصياتهم التي لا يحق لغيرهم انكارها عليهم. يعتبرونها مكملات غذائية لا يجوز تناول طعامهم دون تمليحه بها. والمشكلة انه مع كل هذا الاهتمام المفرط نجد سطحية في التعرف على مؤثرات العمل السياسي وابرزها عاهات المجتمع وكونه في مرحلة الحضانة الطويلة الامد.

من المبكر التعليق على الوضع الجديد في السودان، ولكن اجدني اتفق كثيرا مع ما ذكره الفارس الجديد منتقدا الحكومة السابقة لانها اضاعت وقتها في الثرثرة السياسية. هذه حقيقة لا مراء فيها. فالناس شغلت بجدل بيزنطي طويل في بلد حاجاته الاولى هي الغذاء والدواء. بل حقيقة ان معظم السياسيين في العالم النامي مفتونون بالثرثرة السياسية ومعهم شعوبهم يتابعونها بجدل مبسط. فمشكلة السودان هي مشكلة معظم العالم العربي والعالم النامي بصفة اوسع. وهي ماساة ٣٠٠ مليون طفل يعيشون في حالة مجاعة ونقص تغذية. فهناك ٨٠٠ مليون فقير من اجمالي الف مليون.

للولايات المتحدة المبرر الكبير ان تكون منشغلة في قضية علم لان الاغلبية تملك ماترتديه ويفيض عن حاجتها. لها كل الحق في ان تقطع الوقت في الثرثرة عن اين ترضع الام طفلها لان الامهات تجاوزن مشكلة الحصول على الحليب. في الغرب يوجد مليون ونصف مليون طبيب ونسبة التعليم لديهم تفوق الـ ٩٦٪ مع انهم لا يتجاوزون ربع سكان العالم.

لو ان السودان امضى سنواته القليلة الماضية يحرث ويغرس ويعلم ويتعلم بدلا من ان يتحدث ويتحدث وبدون نتيجة عملية ملموسة، لكانت الاوضاع تستحق من يرفع القلم ليدافع عنها.

عبد الرحمن الراشد



الحوت القاتل يبحث عن مأوى

الحوت يوليسيس الذي يبلغ طوله ١٥ مترا ووزنه ٣ آلاف كيلوجرام يسمى «الحوت القاتل» لكنه يتعامل بمحبة مع هذا المدرب الذي صرح بانه الان، هو وادارة حديقة الالعاب المائية في برشلونة، يبحثان الان عن مقر جديد لهذا الكائن الذي قررت الحديقة الاستغناء عنه.

تصعيد الحجاج الى المشاعر خلال ٢٤ ساعة

جدة ـ «الشرق الاوسط»:

أكد امس العقيد يحيى سرور الزايدي مدير مرور مكة المكرمة ان رجال المرور يتواجدون طول اليوم في مناطق المشاعر بحيث تحقق الانسياب الكامل لحركة السير هذا العام بعد تنفيذ الكثير من الانفاق والطرق والمشاريع لموسم حج هذا العام والاعوام السابقة.

واضاف ان ادارة مرور مكة المكرمة من الادارات التي تتحمل اعباء ومسؤوليات كبيرة لاستقبال حجاج بيت الله الحرام حيث يتم جمع افواج الحجيج في اليوم الثامن من ذي الحجة، كما تشرف على تنظيم العمل الذي يتضمن تنظيف المواقع والشوارع، وتوزيع الضباط والافراد والآليات والاجهزة والتواجد ميدانيا في كافة المواقع على مدار اربع وعشرين ساعة.

عرب وعجم



● الشيخ ابراهيم دعيج الصباح غادر تونس عائدا الى الكويت.

***

● ملكس شترايبل، رئيس حكومة ولاية بافاريا الالمانية. قام بزيارة رسمية لبلدية بون حيث وقع على «السجل الذهبي» للعاصمة الالمانية، كما جرت العادة لدى رؤساء حكومات الولايات الالمانية بعد استلام مناصبهم.

***

● امين مدينة الرياض الاستاذ عبد الله العلي النعيم، وصل الى لندن امس في زيارة رسمية لبريطانيا تستغرق ثلاثة ايام.

عبد الله العلي النعيم

***

● تيري هاندز مدير فرقة شيكسبير المسرحية الملكية اعلن امس انه سيعتزل العمل، ويتقاعد نهائيا عام ١٩٩١. وصف تيري حياته العملية بأنها كانت «سلسلة من اضطرابات لا تنتهي».

***

● حسن المفتي، المخرج المغربي يخرج حاليا مسلسل «بيت في آخر الشارع» للتلفزيون المغربي بمشاركة الممثلين: سعاد صابر وبن ابراهيم وصلاح الدين بن موسى، وهو من تأليف أحمد اومال.

***

● مونيكا هوهلماير شتراوس، ابنة السياسي الالماني الراحل فرانتس جوزيف شتراوس رئيس وزراء ولاية بافاريا، اعلنت امس بانها سوف تدخل المعترك السياسي، وترشح نفسها في الانتخابات البلدية التي ستجري في ميونخ خلال العام المقبل ١٩٩٠.

***

● بيبا وفيكتوريا وجين وكيتي جريس، بنات مدرب البولو بيتر جريس يشاركن في اول دورة تنظم في بريطانيا للعبة البولو للنساء فقط.

***

● نيجيل هافرز الممثل البريطاني يشارك حاليا في تصوير فيلم «وداعا للسلطان» حيث يقوم بدور نقيب بريطاني في بورنيو.

***

● بيتر اوستينوف الممثل البريطاني كان ضيف الشرف امس في حفل لترويج ادوات الكتابة من انتاج شركة بريطانية كبرى. وصفت بطاقات الدعوة بيتر بانه «الممثل والكاتب وصاحب الحكايات المسلية».



الاميرة آن

● الاميرة البريطانية آن تعمل خمسة ايام في الاسبوع، ولا تحصل الا على اسبوعين في العام كاجازة، وتشغل الاميرة مائتي منصب رسمي، اضافة الى ٣١ زيارة رسمية تقوم بها خارج البلاد.

***

● وليام كوانت مستشار الأمن القومي في عهد الرئيس الامريكي الاسبق كارتر والمتخصص في شؤون الشرق الاوسط، اجرى بتونس سلسلة من اللقاءات مع كبار المسؤولين وخاصة مع السيد الهادي البكوش الوزير الأول.

● وزير الشؤون الدينية ورئيس بعثة الحج التونسية الاستاذ قاسم بوسنينة، وصل الى جدة مساء امس وكان في استقباله بمطار الملك عبد العزيز الدولي وكيل وزارة الحج والاوقاف لشؤون الاوقاف حسام خاشقجي ووكيل الوزارة المساعد لشؤون الحج الاستاذ عبد الرزاق متبولي وسفير تونس لدى المملكة محمد جنيفان.

● بول براون، المراقب الجوي البريطاني، هو آخر من سمع صوت المليونير تشارلز تشيرش قبل ان تسقط طائرته اول امس. كان تشيرش هاويا للطيران وسقط بطائرة عتيقة، من طراز سبيتفاير، وقال براون ان نداءه الاخير كان هادئا ومتماسكا وهو يطلب السماح له بهبوط طوارىء في مطار بلاك بوش الميداني.

مواليد

● محمود سعد محمد بشركة تهامة للاعلان فرع الرياض رزق وحرمه بمولود سمياه «محمد».

***

● احمد الضبيبان مدير عام التعاون الاعلامي بالامانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية رزق وحرمه بمولود سمياه «معاذ».

***

● الصادق طه الدقيل بشركة كهرباء المنطقة الوسطى في الرياض رزق وحرمه بمولودة سمياها «وئام».

***

● ابراهيم عاشور المحاسب بمستشفى الدكتور سليمان فقيه رزق وحرمه بمولودة سمياها «لبنى».

***

● كامل حسن متخير بعمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك عبد العزيز في جدة رزق وحرمه بمولودتهما البكر سمياها «ماريا».

***

● عدنان محمود ابو صلاح المهندس في شركة نسمة للمعدات الطبية رزق وحرمه بمولودة سمياها «دلال» انضمت الى اشقائها الاربعة.

***

● نضال محمد رشيد رضوان من منسوبي الهاتف السعودي في الرياض رزق وعقيلته مولودا سمياه عادل.

أفراح

● احتفاء بزفاف السيد محمد بهاء الدين بسلقني والآنسة باريحان بشار قطلي اقيمت في قاعة فندق بارك لاين في لندن مساء السبت الماضي حفلة عشاء ساهرة ضمت اكثر من ٧٠٠ مدعو.

***

● احتفل آل الاحمد وآل الضبعان في الرياض بزفاف محمد سليمان الضبعان على كريمة عبد العزيز عبد المحسن الاحمد.

***

● السيد عبد الله فضل قاضي، المستشار الاعلامي بوزارة الاعلام السعودية، احتفل وسط فرحة الاهل والاصدقاء بزفاف كريمته الى الشاب علي محمد مسعود قاضي، وذلك مساء يوم الاثنين الماضي بفندق «الفاو هوليداي ان» في جدة.

بسم الله الرحمن الرحيم

Asharq Al-Awsat

The international daily newspaper of the Arabs

الشرق الأوسط

جريدة العرب الدولية

London - Wednesday, 5 July 1989 - Front Page No. 2 Vol. 12 No. 3872

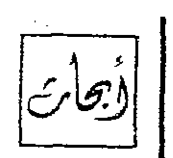
الاربعاء ٣ ذو الحجة ١٤٠٩ هـ ٥/٧/١٩٨٩م ـ السنة الثانية عشرة ـ العدد ٣٨٧٢

أخبار الغد

أمراض

● توصل المعهد الوطني للأمراض المعدية والحساسية بالولايات المتحدة الامريكية الى اختبار سريع لتشخيص كل انواع طفيليات الملاريا. ويتميز بانه اكثر بساطة وسهولة واقل تكلفة من الوسائل الاخرى المستخدمة حاليا ويمكن استخدامه في اي منطقة او اقليم تستوطنه الملاريا للتعرف على مستوى انتشار المرض ووضع حد لتكاثره او عودة المرض مرة اخرى عن طريق الحشرات الناقلة له.

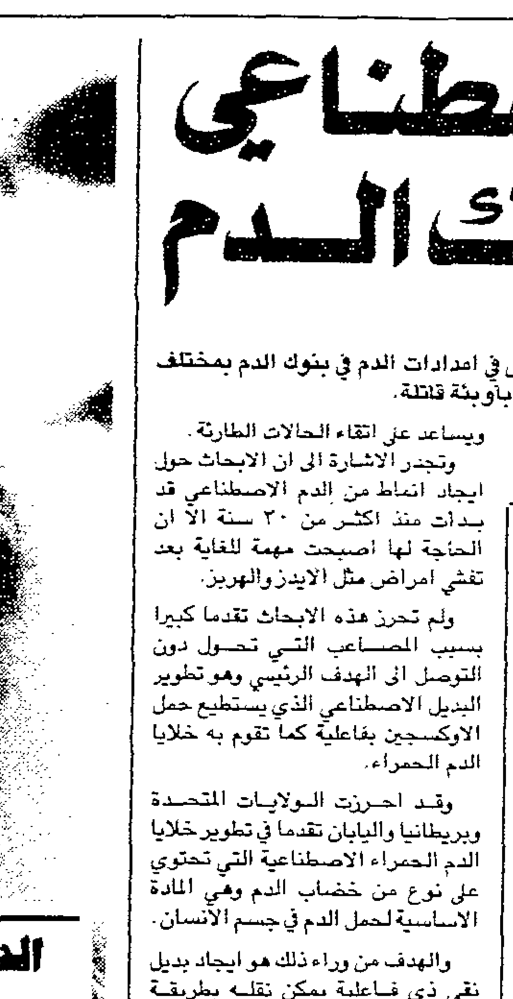
أبحاث



● وافقت الحكومة البريطانية على اجراء اثنين من برامج التكنولوجيا العضوية خلال السنوات الخمس المقبلة. تتكلف المرحلة الاولى منها ٩,٥ مليون جنيه وتسهم في تطوير قواعد العلاقة بين الابحاث الاكاديمية والمشاريع الصناعية. وفي المرحلة الثانية (تتكلف ٧,٥ مليون جنيه) يتم الاتفاق على برامج الابحاث الدفاعية.

طاقة

● وضعت السلطات السوفياتية في مدينة مينسك عاصمة جمهورية بيلوروسيا احدث خريطة للمناطق التي تأثرت بالاشعاعات الذرية بعد ثلاث سنوات من وقوع كارثة انفجار مفاعل تشيرنوبيل النووي. وابرزت الخريطة الجديدة ان مناطق شاسعة اضيفت الى المناطق السابق الاعلان عنها قد اصبحت ملوثة



إنتاج دم اصطناعي يحل مشكلة بنوك الدم

لندن ـ الرياض ـ «الشرق الاوسط» ووكالات الانباء:

اعلنت امس مصادر طبية بريطانية عن قرب التوصل الى حل لمشكلة النقص في امدادات الدم في بنوك الدم بمختلف انحاء العالم. ولمشكلة اخطر وهي تلوث احتياطي الدم الموجود في المستشفيات باوبئة قاتلة.

وقالت المصادر ان الباحثين يوشكون ان يتوصلوا الى انتاج دم اصطناعي يساعد على تذليل مصاعب نقل الدم كما يحمي من الامراض الوراثية والمعدية ويساعد على اتقاء الحالات الطارئة.

وتجدر الاشارة الى ان الابحاث حول ايجاد انماط من الدم الاصطناعي قد بدأت منذ اكثر من ٣٠ سنة الا ان الحاجة لها اصبحت مهمة للغاية بعد تفشي امراض مثل الايدز والهربز.

ولم تحرز هذه الابحاث تقدما كبيرا بسبب المصاعب التي تحول دون التوصل الى الهدف الرئيسي وهو تطوير البديل الاصطناعي الذي يستطيع حمل الاوكسجين بفاعلية كما تقوم به خلايا الدم الحمراء.

وقد احرزت الولايات المتحدة وبريطانيا واليابان تقدما في تطوير خلايا الدم الحمراء الاصطناعية التي تحتوي على نوع من خضاب الدم وهي المادة الاساسية لحمل الدم في جسم الانسان.

والهدف من وراء ذلك هو ايجاد بديل نقي ذي فاعلية يمكن نقله بطريقة مأمونة الى اي شخص.

ويفرز العلماء في المركز القومي للابحاث الطبية جينات اصطناعية داخل مخ العظام حيث يتشكل الدم. ويعتقد اخصائيو نقل الدم ان البدايل الاصطناعية لن تحل محل عمليات التبرع بالدم الا بعد مضي عدة سنين.

وكان عدد من نجوم هوليوود مثل جورج هاميلتون قد قرروا انشاء بنوك خاصة للدم يستفيد منها هو واصدقاؤه المقربون المشاركون في البنك، عن طريق اخذ كميات من دمائهم دوريا، بعد اجراء الفحوص الطبية الملائمة عليهم، والتأكد من خلوها من أمراض الدم.

وحذت عائلات كبيرة عديدة في الغرب، حذو مشاهير النجوم وبدأت بتكوين بنوك الدم العائلية، ولكن النجاح في خلق بديل اصطناعي للدم البشري يخلو من التأثيرات الجانبية يمكن ان يكون افضل من كل هذه الحلول.

وحتى يكتمل تحقق هذا الهدف العلمي يظل التبرع بالدم امرا ضروريا لسد النقص في المستشفيات العامة.

صباح الخير

مع المغفلين المعاصرين

أحمق، وأحمق منه

من امتع الجلسات الاجتماعية واظرفها ما يقوم منها على سرد حكايات الحمقى والمغفلين. والسر في المتعة النادرة التي يشعر بها رواة مثل هذه الحكايات هو انها تعطيهم شعورا مريحا يجعلهم، في ضحكهم على حماقات الغير، ينسون حماقاتهم الذاتية. وهو ما اشعر به بالضبط الآن وانا اكتب هذه الخاطرة.

لقد نسيت حماقتي في عدم تعليم نفسي السباحة طيلة حياتي ورحت اتندر امام صديقي عبد المعبود على الرجل الذي وصل نهر الزاب وحار في عبوره فسأل مامور الري الواقف على الضفة. ايمكن عبور هذا النهر دون ان اغرق؟ فاجابه المامور بالايجاب. ولكنه ما ان سار مترين او ثلاثة في النهر حتى اوشك على الغرق ونكص راجعا يشتم ويولول ويلوم مامور الري على سوء نصحه، فاجابه هذا، «اخي، قبل دقيقتين، اجت بطة وبعيني الاثنين شفتها نزلت بالنهر وحركت رجلها شوية هكذا وعبرت. انت اش بيك؟ يعني قابل البطة احسن منك؟».

وبعد ان استغرق صديقي عبد المعبود بالضحك، استغفر ربه ثم قال: ولكن هذه الحكاية غير خارقة يا اخي ابو نائل، هنا عندك رجل مامور حكومة والغفلة في امثاله شيء متوقع. ولكنني رأيت يوما رجلا واقفا على جسر الملك فيصل رافعا يده الى الاعلى في وجوم تام فادهشني امره فقصدته واستفسرت منه عما يفعل، وبدون ان ينزل يده او يحرك راسه همس في اذني، «انا رافع ايدي انتظر ينزل ويوكر عليها طير خضيري حتى امسكه وابيعه للي يحبون اكل الطيور».

وبالطبع ضحك عبد المعبود من ذلك ساخرا، وقال للرجل الواقف، اولا انه لا يوجد في بغداد هذا النوع من الطيور، ثانيا هذه طيور وحشية لا ترى انسانا الا وهربت منه. لاسيما اذا كان ذلك الانسان واقفا على جسر من جسور بغداد. هذه حماقة ما بعدها من حماقة. ولكن الرجل ابتسم وقال، نعم ولكن هنالك من هو احمق مني. انظر الى ذلك الاستاذ الجالس في المقهى دفع لي دينارين عربون على الطير.

ويظهر ان هذا الاستاذ المثقف قد تعلم حماقته من مثقف اخر هو الاستاذ ميخائيل تيسي، صاحب جريدة «كناس الشوارع» الهزلية. قيل ان ميخائيل كان جالسا في نفس المقهى وطلب من الخادم ان ياتيه بقطعة من ثلج يضعها في قدح السينالكو الذي امامه. وعندما جيء له بالثلج توجس وسخا فيه ولم يجد ما يغسله به، فاخذ يدير عليه من السينالكو يغسله بها. وعندما انتهى من تنظيف الثلج لم يجد في القدح شيئا من السينالكو يضع فيه القطعة.

بالطبع ان ميخائيل تيسي مات بسنين قبل ان تختلق السينالكو. ولكن هذه غفلة صغيرة من غفلاتي. ربما كان في القدح شيء غير السينالكو.

خالد القشطيني



الدوقة هي السبب

الميجور بريان رايت، الضابط السابق بخيالة القصور الملكية البريطانية هو ابرز المرشحين لاحتلال منصب السكرتير الخاص للأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا، وهناك شائعات تؤكد ان دوقة يورك هي التي رشحته للمنصب الذي يبلغ راتبه السنوي ٦٠ الف جنيه استرليني، لكن المكانة الاجتماعية التي يوفرها اعلى كثيرا من الراتب.

كبار التنفيذيين البريطانيين حياتهم الزوجية فاشلة

لندن ـ «الشرق الاوسط»:

اظهرت دراسة اجريت على كبار التنفيذيين البريطانيين الذين يعملون في اوروبا ان ساعات العمل الطويلة، ورحلاتهم المتتالية الى الخارج للعمل تدمر حياتهم الزوجية.

وقال احد كبار المديرين لشركة استخدام متخصصة في ملء الوظائف الشاغرة بالادارة العليا: ان الفرحة بالمنصب الكبير تزول سريعا، ويكون عليك ان تدفع ثمن نجاحك من صحتك ومن حياتك الزوجية.

وشبه مدير كبير آخر، يعمل في شركة اوروبية وظيفته بمدة حكم عليه بها في سجن ناء. وقال: «اني اعمل دون توقف واسافر بصفة دائمة ويعتقد البعض ان هذا مجد، لكني اعتبره نوعا من العقوبة الشاقة».

وتقول ساره لوسون (لقبها الصحيح صاحبة الشرف ساره لوسون) بنت الثري لورد بيرنهام: ان حياة العمل المستمر، والنجاح المستمر لم تكفل الاستقرار لزواجها من مايكل جريد أحد كبار التنفيذيين بالتلفزيون البريطاني. فقد شغلهما النجاح عن كل شيء حتى عن حياتهما وطفليهما اليسون وجوناثان.

وتنصح ساره كل زوجين يستغرقهما العمل بأن يتنبها الى ما يحدث في حياتهما. وان يقف احدهما ـ او كلاهما اذا امكن ـ ليسأل سؤالا: هل ندفع ثمن نجاحنا بفشل حياتنا الزوجية؟

وقد تم طلاق ساره ومايكل قبل ثمانية اشهر، وكان زواجهما قد استمر ست سنوات لم يكن الآخرون يرون خلالها الا نجاحهما وما يحيط بهما من ثراء واناقة.

وامام ساره الآن ثلاثون مشروعا جاهزا للتنفيذ على مدى السنوات القليلة المقبلة. ولكنها لا ترى في كل هذا ما يستحق الحماس لأن زواجها فشل، وهذه هي الطامة الكبرى.

وتعيد ساره الآن النظر في كل ما حدث طوال السنوات الماضية فتقول: اننا لم نكن نتبادل الكلام. ولم ادرك ذلك الا بعد فوات الأوان.

والغريب ان كبار التنفيذيين البريطانيين العزاب يعانون ايضا من الثمن الاجتماعي الباهظ الذي يدفعونه مقابل وظائفهم الكبيرة ونجاحهم المادي. وقال احدهم: انني لا اعيش الجانب الاجتماعي من الحياة.

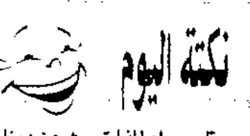
لا تقرأ هذا الخبر

لندن ـ ر: اكتشفت الام سر غياب طفلها ساعات طويلة وراء اشجار حديقة البيت، عندما رأت خيطا من الدخان يخرج من وراء الاشجار في اخر الحديقة.

فوجئت الام مورين جلين بطفلها ريتشارد (٧ سنوات) يدخن سيجارة بداخلها حشيش، سرقها من والده ستيوارت جلين اثناء زيارة الوالد الاسبوعية لبيت الأسرة.

ستيوارت ومورين منفصلان بانتظار اتمام اجراءات الطلاق.

نكتة اليوم





سئل جحا: لماذا تبحث عن دينارك في هذا الشارع رغم انه سقط منك في الشارع المجاور؟

قال جحا: لأن الشارع الآخر مظلم وهذا مضيء.

من القارىء

إلياس حامد



بريطانيا سلة نفايات اوروبا

لندن ـ كونا: حذر اطباء بريطانيون امس من مغبة تحول بريطانيا الى «سلة نفايات اوروبا» وطالبوا بضرورة الاسراع في تخفيض كميات النفايات السامة المستوردة.

وحث هؤلاء الاطباء الحكومة البريطانية على تبني سياسة وطنية تضمن الحفاظ على قواعد السلامة.

وابلغ عدد من الاطباء البريطانيين الاجتماع السنوي للجمعية الطبية البريطانية انه نتيجة لزيادة النفايات السامة فان العديد من الاطفال اصيبوا باضطرابات في الحنجرة والعيون.

وذكروا ان حجم النفايات السامة التي تتم معالجتها في بريطانيا قفز من مجرد ٥٠٠٠ طن عام ١٩٨١ الى حوالي ٥٣٠٠٠ طن عام ١٩٨٧.

تواضع قدرات البشر

واشنطن ـ س ب: اعلن علماء امريكيون امس ان الدماغ البشري بقدرته الاستيعابية المتواضعة لا يتسع لأكثر من ١٥ تريليون معلومة. واكدوا ان هذا القدر من المعلومات يشمل مثلا: الرائحة المميزة للبطاطس المقلية ومقياس حذاء مارلين مونرو. اذا تصادف انك قرأته ذات مرة في صحيفة صدرت عام ١٩٥٧.

وللعلم فان التريليون مكون من واحد وأمامه خمسة عشر صفرا.

«بامبينا» ذواقة للموسيقى

روما ـ «الشرق الاوسط»:

فرانكو زيفيريلي المخرج الايطالي الشهير يقول ان كلبته «بامبينا» خبيرة بالموسيقى الكلاسيكية وتفضل موتسارت وفيردي وفيفالدي. اذا سمعت انغامهم تقعد وتنصت. واذا سمعت غيرهم تنبح غاضبة.

ولكن اسوأ ما يمكن ان يعزف في حضرة «بامبينا» هو اي عمل يحتوي على صوت بلاسيدو دومينجو المغني الذي قدم اوبرا عايدة في مصر، فهي لا تطيقه.

تزايد نسبة الاشعاع في مياه السين

باريس ـ واس: اعلنت امس اللجنة الفرنسية الاقليمية المستقلة المختصة في اخبار الاشعاع ان مياه نهر «السين» على ارتفاع منطقة «نوجانت موريسين» بفرنسا مشعة اكثر من المتوقع.

وتؤكد اللجنة ان طحلب نهر «السين» يحتوي على مادة كوبلت ٥٨ بنسبة ضعفين بالمقارنة مع الاختبار الذي اجري على مياه السين في مارس ١٩٨٩ وبنسبة ٧ اضعاف بالمقارنة مع اختبار اكتوبر ١٩٨٨.

مع قهوة الصباح

اوراق الأجداد!

اذا كان عندك اوراق قديمة من تراث الاجداد فلا تتركها تتآكل.. ولا تتركها للفئران.. ولا تتركها لاحد غيرك يعبث بها.. بعض اوراق الاجداد قد تكون ثروة.. بل ان اكثرها كذلك.

القصة التالية تحكي قصة اوراق قديمة قفز سعرها عند عرضها للبيع الى ملايين الدولارات ودارت حولها صراعات وقضايا قبل ان يقول القضاء كلمته الاخيرة.

والقصة من ايطاليا.. وبطلها الاصلي هو عازف الكمان والمؤلف الموسيقي الشهير «نيكولو باجانيني» ويقال انه صاحب اعظم انامل عزفت على الكمان في التاريخ.

وقد كتب باجانيني الكونشرتو الرابع للكمان في الفترة بين ١٨٢٩ ـ ١٨٣٠ في ٩٠ صفحة. ثم ترك الكونشرتو وسافر الى باريس حيث عاش.. وحيث نسي تماما كل شيء عن الاوراق التسعين الثمينة.

وجاء احد احفاد باجانيني وطلب من كبير الخدم في قصره ان يقوم بتنظيف الغرف المنسية في القصر مما بها من اوراق وكراكيب.. ولم يكلف كبير الخدم نفسه، بل كلف احد باعة الروبابكيا.. ان يقوم بالتنظيف مقابل الاستيلاء على ما يجده من مهملات.

ولم يكن بائع الروبابكيا مثقفا.. ولكنه كان يعرف ان هذا القصر كان يسكن فيه الموسيقار العظيم.. وهكذا عندما عثر على الاوراق التسعين احس انه عثر على شيء مهم.. فاسرع به الى احد التجار.. واستشار التاجر صديقا موسيقيا، ولم يكد الموسيقي يقرأ الاوراق والعنوان حتى ادرك ان صديقه التاجر وقع على كنز عظيم.. واسرع التاجر لبيع المخطوطة الثمينة، ونشرت الصحف القصة. فاسرع احفاد باجانيني يطلبون الحصول على مؤلف جدهم الخالد.. ورفض التاجر.. ورفع آل باجانيني دعوى امام القضاء.. وظلت القضية تتداول حتى قال احد القضاة كلمته وهي بيع المخطوطة بالمزاد واقتسام ثمنها بين آل باجانيني.. وبائع الروبابكيا.

واقيم مزاد في قاعة كريستي الشهيرة للمزادات.. وانتقلت ملكية المخطوطة الى المايسترو «تومانيني» الذي يستعد لعزفها قريبا حيث يستمع العالم الى الكونشرتو الرابع للكمان الذي لم يستمع اليه احد من قبل.

شكرا لبائع الروبابكيا..

عبد الله باجبير